مع إيقاف التنفيذ







الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

رقم الإيداع

٢٠١٧/١٣١٦م



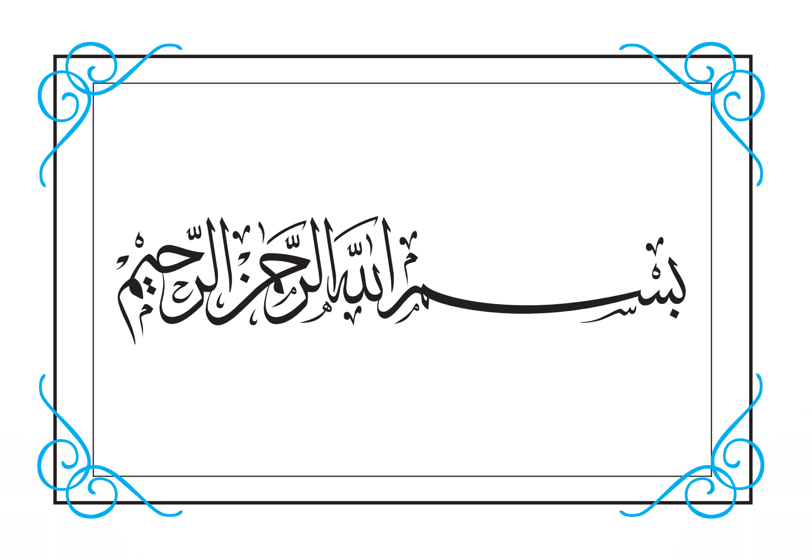




عقل مع إيقاف التنفيذ

تأليف
إيهاب شاهين




بسم الله الرحمن الرحيم



إلى مَن لهما عَلَيَّ بعد الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ حَقٌّ وفضل في كل أموري،،

أبي الحبيب وأمي الحبيبة عنوان البذل والتضحية وإنكار الذات أسأل الله تعالى أن يمتعهما بالصحة والعافية.

زوجتي الحبيبة التي تحمل معي أثقال الهمِّ وأوجاع الحلم، صبر على المكاره وعطاء في الشدائد، أسأل الله تعالى أن يجزيها خير الجزاء وأن يشملني وإياها قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد:٢٣-٢٤].



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

مما يؤسف له أن بات شباب أمتنا نهبًا لغزوٍ فكريٍّ ملحد وبعد أن كانت أمتنا على رأس الأمم أصبحت في ذيلها لما تخلت عن سبب عزتها وقوتها التي تكمن في التمسك بأصول دينها الذي هو بمثابة طوق النجاة من الانحراف الفكري أو العقدي فضلًا عن الحماية القلبية من أمراض الشهوات واللهث وراء الهوى، مما أوقع الكثيرين في التجرإ على دين الله تعالى بغير علم مما سبب ضلالًا وإضلالًا، كما قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**» [رواه البخاري].

فالجهل أحد أسباب الضلال، ومن علامات الجهل أن يظن إنسان أنه قد وصل بعقله إلى منتهى العلوم، وأنه قد حصل ما لم يصل إليه الأولون، فينظر نظرة ازدراء إلى من سبقه، فيسبق إلى رميهم بالفشل والغباء، وأحسن أحواله قوله أنهم لم يطلعوا على ما اطلع عليه، وتزداد نبرة الغرور حتى يظن تعارضًا بين كتاب الله وسنة النبي ﷺ، فيذهب إلى إحدى الغياهب إما إنكار السنة كليةً، أو تأويلها تأويلًا باطلًا، أو اتهام القرآن بأنه نزل في حقبة زمنية لا يتناسب مع عصر التقدم والازدهار والتكنولوجيا الحديثة، فضلًا عن اتهام حملة السنة والقرآن بقلة أو عدم فهم ما يحملون، مما حدا بكثير من الشباب أن يفقد الثقة في علماء الأمة، ومن ثم يتجرأ على سنة النبي ﷺ ومن ثم كتاب الله، فيتطاول على



كتـاب الله وسـنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينتهي بـه الحال إلى عدم الإيـمان بالله تعالى، أو الاعـتراف بوجوده لكن اتهامه بأنه عاجـز، أو شرير أو غير ذلك من التوهمات التـي يلقيها الشـيطان في قلوب هـؤلاء، هذه الفئة التي تفتخـر الآن كونها ملحدة ويطالبـون بحقـوق لهـم في المجتمع مـا تجرءوا كذلـك إلا بعد انزواء المؤسسـات الرسـمية عن دورها الحقيقي في التصدي لمثل هذه الأفكار التي تدمر المجتمعات سـلوكيًّا واجتماعيًّـا، وحـين ضعـف دور الأسرة في تربية أبنائهم وحـين فُقد دور المعلم في المدرسة، وحين اهتم طالب العلم بأمور ثانوية فرعية وترك أصول دينه، فوجد هؤلاء مرتعًا لبث شرورهم وشـبهاتهم، التي هي خيالات يلقيها الشـيطان ليلبس على الناس دينهم، وهذا الكتاب هو محاولة لتفنيد هذا الفكر الخبيث والرد عـلى شـبهاته بطرحٍ بعيد عـن التعقيد الممل، وهـذه هي الطبعة الثانيـة لكتابي هذا الموسـوم بـ«عقـل مع إيقـاف التنفيذ» بعد نفـاد الطبعة الأولى منـه بفضل الله، مع تقديـم وتأخير لبعـض موضوعاته وتنقيح وزيادة بعـض الموضوعات الهامة التي لم تكـن مدرجـة بالطبعـة الأولى، وكذلك طرح بعض الشـبهات والإجابة عليها، فـما كان مـن توفيق فمن الله تعـالى، وما كان من زلل وخطأ فمني ومن الشـيطان، وأسأل الله العفو والقبول. والحمد لله رب العالمين.

كتبه

إيهاب شاهين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

إن هذا العصر، عصر الازدهار العلمي، وعصر المخترعات والمكتشفات، عصر الذرة، وعصر الأقمار الصناعية والمراكب الفضائية، عصر غزو الفضاء وعصر ظهور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؛ لتحقيق قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:٥٣]. إن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى وقد تحدى الله عَزَّوَجَلَّ المشركين أن يأتوا بمثله، قال تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ٣٣ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور] ثم تحداهم بعشر سور: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [هود]. ثم تحداهم بسورة واحدة: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة].

فعجز جميع الخلق أن يعارضوا ما جاء به، ثم سجّل على الخلق جميعًا العجز إلى يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [الإسراء:٨٨].



لقد كان الإعجاز العلمي واحدًا من جوانب التميز التي تفرد بها هذا الكتاب، وانكشافُ الحقائق العلمية التي يحتويها الكتاب للبشر جيلًا بعد جيل، هو جانب من جوانب استمرارية الرسالة التي نزل بها الكتاب، فهو ليس لجيل واحد تنتهي مهمته بعدها، أو تنقطع صلة الأجيال به، بل هو لكلِّ الناس في كل جيل، يهديهم إلى ربهم، ويوجههم إلى الخير وإلى الحق، ويربيهم على المنهج القويم، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون من آيات الإعجاز العلمي في خلق الكون والشمس والقمر والنجوم والسماوات، وبدء الكون ومصيره.

إن العلوم الفضائية، والعلوم الطبيعية لا زالت تحبو للتعرف على أصل الكون ونشأته والمادة الأولية التي تتكون منها الأجرام السماوية وطريقة تشكيلها، وقد أشار القرآن الكريم إلى حقائق كونية في غاية الوضوح، وَفَصَّلَ في آيات أخرى مراحل الخلق والتكوين، ولم يصل العلم الحديث حتى الآن إلى معرفة أصل الوجود المادي للكون، على الرغم من توصل العلم إلى نجاحات كبيرة في مسائله التطبيقية والاستفادة من دراسة خصائص المادة، واستخدام الطاقات الكونية المختلفة، وعلى الرغم من محاولة العلم الحديث التعرف على اللبنات الأولى التي ينبني عليها الكون المادي، ومحاولة التعرف على الذَّرَّة، إلا أنه لم يخرج بطائل من دراسته هذه، فطالما أن الإنسان -أي إنسان- لم يشهد خلق السماوات والأرض، وكذلك لم يشهد خلق نفسه ولا خلق غيره، فكيف يعرف الحقيقة إذن؟ قال تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ [الكهف:٥١].

لم يُعـرف هذا الأمـر إلا عن طريق الوحي، وهذا دليـل واضح على أن القرآن وحي من الله لرسـوله محمـد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمِنْ أين لمحمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الأُميُّ بعلم الذرة أن يعرف هذا العلم قبل ألف وأربعمائة عام؟ قبل أن تظهر أي أدوات يتـم التعـرف بها على مـا في الكون إلا عن طريق عليـم خبير خلق هذا الكون[١].

لقـد ظهرت طائفة شـاذة عبر الزمـان تنفي وجود الله تعـالى، وتنفي أن يكون للكـون خالـق، فكان الـرد عليهم من الله تعالى كافيًا شـافيًا، ولقد اغْـتَرَّ أُنَاسٌ في هـذا العصر بعلوم العـصر، وظَنُّوا أن هناك تعارضًا بين ديـن الله والعلم، فزعموا كأسلافهم الأوائل أنهم توصَّلوا لحقيقة خلق الكون والحياة والإنسان، وأن وجود الله –سـبحانه– وخلقه للكون والحياة إنما هو وَهْمٌ وخرافة، وراحوا يطيرون كل مطار بنظريات أقل ما يقال فيها أنها خرافة، ولكن أصبحت عند هؤلاء الملحدين عقيـدة ومنهجًا؛ لذلك –من أجلهـا– كذبوا وَزَوَّرُوا وافـتروا، حتى يثبتوا خرافةً لا معنى لها.

لقـد أخذت هذه القضيـة حيزًا كبيرًا في المجتمعـات الأوروبية،وظَهَرَ صَدَاهَا داخل المجتمعات الإسلامية والوطن العربي، رغم أنها قضيةٌ هَشَّةٌ، وتأتي هشاشتها لأنها لم تُبْنَ على أصول علمية فضلًا عن أن تكون قد بنيت على أصول عقلية، ففي بدايـات القـرن العشرين ظهرت نظرية وصفَها أهلُها بأنهـا نظرية علمية، وهي لا تنهـض لأن تكون فرضية،، تشـبَّث بها أهلها لأنها السـبيل العلمـي الوحيد الذي يؤيد نظرتهم للخلق زعموا، وقد انتشرت هذه القضية، انتشارًا كبيرًا بين كثير من

(١) انظر: «المعجزة الخالدة براهين ساطعة وأدلة قاطعة» د. علي محمد الصلابي.

الشباب، بسبب الفراغ العقدي الموجود عند كثير منهم، أو للاختلال النفسي عند البعض، أو بغرض ممارسة الشهوات بصورة خالية عن العتاب والتأنيب.

وتأتي خطورة هذه القضية من زيادة نِسْبَةِ الشباب الذين وقعوا في الإلحاد على مستوى بلدان العالم؛ حيث بلغت نسبتهم حوالي مليار نسمة حتى الآن، وهذا وفق آخر إحصائية موجودة على مستوى العالم(١). إن النسبة داخل البلاد الإسلامية والعربية ليست بالكبيرة، لكنها تنبئ عن خطر كبير، يجب أن ننتبه إليه،

(١) أُجريت عدة استطلاعات عالمية شاملة حول هذا الموضوع أبرزها استطلاع قامت به مؤسسة غالوب الدولية سنة ٢٠١٥، حيث شارك في الاستطلاع أكثر من ٦٤٠٠٠ مشارك، أشار منهم ١١٪ أنه «ملحد بقناعة» في حين كانت النتيجة سنة ٢٠١٢ في استطلاع سابق ١٣٪ من أفراد العينة عرفوا عن أنفسهم أنهم «ملحدون بقناعة». وبحسب مسح قبل هيئة الإذاعة البريطانية، في عام ٢٠٠٤، وجد أن نسبة الملحدين كانت حوالي ٨٪ من سكان العالم. وتشير تقديرات أخرى قديمة إلى أن نسبة الملحدين حوالي ٢٪ من مجمل سكان العالم، وفي حالة أُضيف اللادينيون تصبح النسبة ١٢٪. ووفقًا لدراسات أخرى، فمعدلات الإلحاد هي من بين أعلى المعدلات نموًّا في الدول الغربية، ومرة أخرى بدرجات متفاوتة: الولايات المتحدة، على سبيل المثال، حوالي ٤٪ من سكانها ملحدون، في حين تصل في كندا إلى ٢٨٪. وفقًا لمعطيات مسح يوروباروميتر ٢٠١٠ في الاتحاد الأوروبي حوالي ٢٠٪ من سكان الاتحاد الأوروبي لا يؤمنون «بأي نوع من الروح أو الله أو قوة الحياة». وفقًا لإحصائية معهد بيو لعام ٢٠١٠ وجدت أن اللادينيين (تضم الملحدين واللاأدريين) تصل أعدادهم إلى حوالي ١,١ مليار نسمة (١٦,٣٪) أي ثالث أكبر المعتقدات الدينية بعد المسيحية والإسلام؛ ويشكلون ٢١,٢٪ من مجمل سكان القارة الآسيوية، و١٨,٢٪ في أوروبا، و١٧,١٪ من مجمل سكان قارة أمريكا الشمالية، في حين تصل نسبة اللادينيين ٧,٧٪ في أمريكا اللاتينية و٢,٣٪ في أفريقيا جنوب الصحراء و٠,٦٪ في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وقد وجدت الدراسة عينها أنّ ستة دول ذات أغلبية لا دينية وهي: جمهورية التشيك (٧٥٪)، كوريا الشمالية (٧١٪)، إستونيا (٦٠٪)، اليابان (٥٧٪)، هونغ كونغ (٥٦٪)، والصين (٥٢٪).

فالنسـبة لا تتعدى المئات من الملحدين الحقيقيين، فقد قُدِّرت هذه النسبة من عدة سـنوات بالعشرات، وقد أصبحت الآن بالمئات، فالتسـارع في زيادة النسـبة، وإن كان ليس كبيرًا إلا إنه يُنبئ عن خطرٍ كبير في المجتمعات..

لذلـك يجـب مواجهة هـذا الفكر الـذي بدأ يـدب -بين بعض الشـباب- في الجامعـات والمنتديات والمقاهي وغيرها، حتى يَنْهَارَ تمامًا بإذن الله. وسـوف يتبين للقارئ أن هذا الفكر في أصله خرافة، وعندما تذهب لِتهدمَ الخرافةَ بأصولٍ علميةٍ تجـد صعوبةً بالغـة، وتكمن الصعوبة في ذلك في جمود عقل مَـنْ يتبنى هذا الفكر، فهذا إن كان عنده عقل، فهو عقل مع وقف التنفيذ، فهذه دعوة لتحرير العقل من الجمود والتوقف عن مكابرة العقول وتكذيب المنقول.

كتبه

إيهاب شاهين

طنطا -الغربية

١ ربيع ثاني ١٤٣٧هـ - ٣٠ ديسمبر ٢٠١٦م





تعريف الإلحاد

ما هو الإلحاد؟ وهل نبت هذا الفكر حديثًا أم أن له جذورًا تاريخية؟

الإِلحاد في اللغة: المَيْلُ عن القصْد، ولحَدَ إِليه بلسانه: مال. وقال الأَزهري في قول القرآن: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣]؛ قال الفراء: قرئ يَلْحَدون فمن قرأ: يَلْحَدون أَراد يَمِيلُون إِليه، ويُلْحِدون يَعْتَرِضون. وأَصل الإِلحادِ: المَيْلُ والعُدول عن الشيء.

الإلحاد كمذهب: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والملحد عند تعريفه يقصد به (المنكِرُ لوجود خالقٍ لهذا الكون). أما كلمة الإلحاد، فقد وردت في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع: **الأول:** في سورة الأعراف ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِىٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، **والثاني:** في سورة الحج ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٍ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥]، **والثالث:** في سورة فصلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ﴾ [فصلت:٤٠]. ولو أردنا أن نعرف معنى الإلحاد في المواضع الثلاثة، فسنجد أنها تشترك في معنًى واحدٍ، وهو الميل والانحراف عن الطريق المستقيم. فمعنى الإلحاد في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِىٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ هو الميل، والانحراف عن إثبات الأسماء والصفات بطريقة صحيحة كما جاءت في الكتاب والسنة، فتَسْمِيَةُ الله بأسماء لم يُسَمِّهَا لنفسه، ولم



يُسَمِّهَا له النبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أو تشبيه الله تعالى بخلقه، أو اشتقاق أسماءٍ للأصنام من أسماء الله تعالى، أو نفي أسماء الله وصفاته، كل هذا نوع من الإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته.

وأما المعنى الثاني للإلحاد كما ورد في سورة الحج في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فالمقصود هو الانحراف عن الطاعة إلى الوقوع في المعصية والتعدي لحدود الله، وهذا مَيْلٌ عن الطاعة وميل عن الطريق المستقيم.. وتُثبتُ الآية الثالثة من قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾. أن ثمة إلحادًا في آيات الله تعالى، وحتى يتبين المعنى المقصود، لابُدَّ أن نعرف أن آيات الله تنقسم إلى نوعين: آيات كونية آفاقية، آيات شرعية دينية.

النوع الأول: **الآيات الكونية الآفاقية:**

التي هي مخلوقات لله تعالى، مثل الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار والمحيطات والفِجاج والأنهار، النَّظَرُ في الآيات الكونية للاستدلال على وجوده تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أمرٌ مأمور به شرعًا، قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت:٢٠]. وقال: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:٥٣].

ما معنى الإلحاد في الآيات الكونية؟

يكون الإلحادُ بِأَحَدِ أمرين:

الأول: نسبة هذه الآيات إلى غير خالقها سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، كأن يقول: إن الشمس والقمر والنجوم والبحار وغير ذلك من هذه الآيات، خَلَقَها أَحَدٌ غير الله تعالى.

الثاني: أن يكون الإلحاد في هذه الآيات بأن ينسب هذه الآيات إلى غير خالق، ويقول: إن هذه الآيات، أنشأتها الطبيعة أو أوجدتها الصدفة.

إذن؛ في الصورة الأولى سيقول: إن هناك خالقًا، ولكن ليس هو الله، وينسبها إلى غير الخالق. والثاني: لا يُقِرُّ بوجود خالق أصلًا، ويقول: إنها أوجدت نفسها بنفسها، أو أن الطبيعة هي التي أوجدتها، وكلا النوعين هو إلحاد في آيات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

النوع الثاني من الآيات: ***الآيات الشرعية:***

التي جاءت على لسان الشرع في الكتاب أو على لسان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ما معنى الإلحاد في الآيات الشرعية:

الإلحاد في الآيات الشرعية يكون هو بتحريفها أو تكذيبها أو مخالفتها، وهذا النوع سَيَقَعُ فيه كُلُّ مَنْ وَقَعَ في الإلحاد في الآيات الكونية بنوعيه اللذين ذكرناهما، فكلاهما لا يقر بالآيات الشرعية، والذي لا يقر بوجود خالق أو يقول: إن هذا الكون وُجِدَ نتيجة الصدفة ونتيجة العوامل والقوانين الكونية، كلاهما لا يقر بالآيات الشرعية ولا يعترف بوحي ولا أنبياء ولا رسل ولا غير ذلك.

والسؤال الآن: هل نَبَتَ هذا الفكر حديثًا أم أن له جذورًا تاريخية؟

مما لا شك فيه أن المطلع على الثقافات المختلفة يظهر له بوضوح أن هذا الفكر ليس حادثًا، بل له جذور قديمة، فكيف بدأ ومتى ظهر؟

نشأة الإلحاد قديمًا:

ظهر الإلحادُ منذ زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل قبله، وكان هؤلاء الملحدون يُسَمَّوْنَ بالدهريين، كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤]. يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: ما ثَمَّ إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة، ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول. وقد قال بعض العلماء بأن هؤلاء لم ينكروا وجود إلهٍ خَالِقٍ لهذا الكون، ولا مدبر لهذه الحياة، وإنما أنكروا البعث والمعاد، ولذلك قال العلماء لا توجد أمة من الأمم أنكروا وجود الله تعالى.. وعلى أي الأحوال تجد أن هؤلاء كانوا طائفة أو ثلة قليلة جدًّا على مر الزمان؛ لأن الكفار على مر الأزمان كانوا جميعًا يقرون بوجود رب خالق رازق مدبر محيي مميت، كما أخبر الله تعالى عنهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١]؛ إذن هم يُقِرُّونَ بوجود خالق رازق مدبر محيي مميت، أما منكروا وجود الرب تعالى،

فطائفة شاذة تسمى بالدهرية، وقد رَدَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على كل هذه الطوائف التي تقول بأن هناك ربًّا خالقًا رازقًا، ولكن لا يجعلون له حق التشريع والتحريم، ورد على الذين يقولون بأنه ليس هناك خالق للكون، وليس له مدبر، وليس هناك خالق لهذه الحياة، وليس هناك خالق للإنسان، بِأَدِلَّةٍ فطرية وعقلية ونقلية. أدلة عقلية في المقام الأول مع الدليل الفطري؛ ولأن هؤلاء لا يقرون بكتاب ولا سنة، فكان لا بد من خطابهم خطابًا عقليًّا، والأدلة العقلية التي تبين أن لهذا الكون خالقًا رازقًا مدبرًا، خلق هذه الحياة وخلق هذا الإنسان لا تحصى كثرة، وهذه الأدلة قد أَمَرَنَا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. أن نسير في الأرض وننظر فيها حتى تدلَّنا على هذا الأمر العظيم، قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت:٢٠].

أمرنا الله أن نسيرَ في الأرض ونتفكرَ ونتدبر ونتلمس الأمورَ الحسية التي خلقها فتدلنا عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وليست هذه الآية كما يفهم البعض أن الأمر اجتهادي، والله أمرنا أن نجتهد اجتهادًا مطلقًا في البحث عن إدراك كيفية خلق الكون، بل إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمرنا أن ننظرَ في الآيات التي خلقها هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فتدل على خلقه وتؤكد أن إعادة الخلق بعد فنائه أَمرٌ ميسور، ولذلك قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ ﴾ وهذا بلا شك سَيَدُلُّنا على وجود الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كانت هذه باختصار قصة الإلحاد قديمًا، فما هي أسباب انتشاره حديثًا؟



أسباب نشأة الإلحاد في العصر الحديث:

أحداث قصة نشأة الإلحاد في العصر الحديث تبدأ منذ عدة قرون؛ حيث كان رجال الدين في الكنيسة الكاثوليكية قد تَبَنَّوا آراءً لأرسطو وبطليموس وهما عالمان كبيران في ذلك التوقيت، فتبنوا آراءهم العلمية حول الكون ونشأته، وارتباط العلاقات بين المجرات والكون والشمس والقمر والجاذبية، وتَبَنَّوا الآراء العلمية لهم في الفيزياء والكيمياء والكون، وألحقوها بمفاهيم مقدسة، وبناء على هذه المفاهيم التي جعلوها مقدسة -فهي تعبر عن رأي الرب الإله- كَوَّنُوا صورةً عن الإنسان في هذا العالم، وتلك كانت البداية. ومن خلال المفاهيم المقدسة التي أخذوها عن أرسطو وبطليموس وجعلوها مفاهيم مقدسة، بنوا عليها معتقداتهم وآرائهم.

الآراء التي تبنتها الكنيسة وكانت سببًا في الإلحاد:

✯ أن الأرض هي مركز الكون، فالأرض ثابتة في مركز الكون والشمس والقمر وكافة الكواكب تدور حولها، وهذا ما تَوَصَّلَ إليه أرسطو وبطليموس في بداية الأمر، أن المجموعة الشمسية كلها بالكواكب والشمس والقمر كل شيء يدور حول الأرض.

✯ أن الإله خلق العالم عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد وأن العالم سينتهي عام ٤٠٠٤ بعد الميلاد، لماذا هذا التاريخ تحديدًا؟

قالوا: لأن هذا التاريخ يتوسطه ميلاد المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لِذَلِكَ اختاروه، وكيف استنتج الكهنة هذا التاريخ؟ لماذا لا يكون مثلًا ٢٠٠٤ قبل الميلاد؟ استنتجوا هذا التاريخ عن طريق جمع أعمار الأجيال المتتالية من أبناء آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى أن وصلوا

إلى زمانهـم هـم، فقالوا: إن هذا يُقَدَّرُ بـ ٤٠٠٤ سـنة، فيكون هذا بداية خلق الإله للعالم، وبعد ٤٠٠٤ سنة بعد الميلاد سينتهي هذا العالم.

✯ أن العالم يسير وفقًا لخطة إلهية محكمة غَائِيَّة، أي أن هناك غاية وحكمة من خلق هذا الكون، فكل المخلوقات موجودة لغاية ولم توجد هكذا، فالشمس مثلًا خُلِقَتْ لِتُوَفِّرَ النورَ وهكذا كل شيء مخلوق له هدف وغاية من خلقه.

✯ أنـه يوجد وراء هذا الخلق كله وهذه الحِكَم والغائية إله خالق لهذا الكون، فَيُقررون ويثبتون وجود إله خالق.

✯ أن العـالم عبارة عـن نظام أخلاقي وقيم أخلاقية يحددهـا الإله، فأثبتوا أن هناك غائية وأن هناك قيمًا وأخلاقًا وأن الإله الذي حددها.

✯ أن رجـال الكنيسـة هـم الواسـطة بين الإلـه وبين النـاس في قبـول التوبة والحصول على صكوك الغفران ودخول الجنة أو النار ، وهذا أخطرهم في الحقيقة، وهـو الذي قلـب الدنيا بعد ذلـك. فصار للكنيسـة في هذا التوقيت بسـبب ذلك سـلطان كبـير في قلوبهم، موضوع صكوك الغفران أن أي أحـد يفعل أيَّ ذنب أَيًّا كان، يذهب فقط عند الباباوات يُعْطِيهِ صَكًّا بعد الاعتراف بالخطيئة: إنك اعترفت ونحن قَبِلْنَا تَوْبَتَك، فبذلك يكون الرب قد قبل توبتك؛ لأنهم الواسطة بين الناس وبـين الـرب، وَمَـن يريد شراء مقعد في الجنـة، يدفع ثمنه، ومَن حُكِـمَ عليه أنه في النـار ويريد أن يفر منها يبيع مقعده في النار ويشـتري واحدًا في الجنة بكذا، تخيلوا كَمَّ الملايين التي جمعوها! وفي العصر الحديث، جاء رجل مِن أتباع الكنيسـة، لكنه عرف خطأه ورجع عما كانوا يفعلونه، وتاب، فقال لهم: أريد أن أشـتريَ صكوك



النـار، بكم تبيعونها؟ قالوا: هل تسـتطيع أن تدفع ثمنها؟ قال: نعم، فقالوا: المبلغ المطلـوب كـذا، فدفع المبلـغ وأخذ كل صكـوك النار، وبعد أن أخـذ الصكوك في يـده نظـر إلى الناس وقـال لهم: افعلوا ما شـئتم ولا ترجعوا الى الكهـان والرهبان والبابـاوات، فإنـه لا مكان لكم في النار، فقد أغلقتها بعد أن اشـتريت صكوكها، وبالطبع وُضِع البابـاوات في موقف حرج جدًّا! ماذا سيفعلون بعد ذلك. الخطورة هنا أنهم كانوا يتكلمون باسـم الإله، ومعنى أنهم قـرروا تلك المعتقدات،أن الإله هـو الذي قرر ذلك، فماذا لو اكتشـفوا خطأ معتقد منهم بعـد ذلك؟ إذن معناه أن الإله هو الذي أخطأ ويؤدي ذلك إلى نسـف فكرة الإله عندهم، فالكنيسـة بدأت تتكلم باسم الإله بقوة شديدة جدًّا حتى مع الملوك أنفسهم، كان سلطان الملوك في هذه القرون الوسطى تحت سلطان الكنسيين،حتى أن الكنيسة كانت تعزل وتعين الملـوك، فأصبح لهم سـلطان كبير على الإقطاعيين وأصحـاب الأموال والملوك في العَزْلِ والتعيين.

لماذا قَبِلَ الناس التسلط الكنسي؟

السـبب في ذلك يرجـع إلى الغريزة الفطرية داخل الناس بسـلطان الدين. بدأ سلطان الكنيسة يَطْغَى، واللهث وراء أموال الأغنياء واضطهاد الفقراء ومعاملتهم معاملـة العبيد، حتى وصل الأمر بعد ذلك إلى اضطهاد العلماء؛ لأنهم سـيكونون سـبب في سقوط سلطانهم؛ حيث بدأ ظهور الاكتشـافات العلمية على يد جاليليو وغيره من العلماء، فكانت هذه الاكتشافات العلمية أول مسمار في نعش الكنيسة! هـم يؤرخون لذلك بصدور كتاب في دوران الأفلاك لكوبر نيكوس، بتأليف هذا الكتـاب وقعت الطامة الكبرى من وجهة نظر الكنيسـة؛ لأن كوبر نيكوس أعلن

أن بحساباته الرياضية، ثم باختراع جاليليو للتلسكوب، أعلن أن الأرض ليست مركزَ الكون، بل هي مجرد كوكب تابع يدور حول الشمس مع بقية الكواكب. طبعًا هذه كانت الطامة الكبرى جدًّا، والسقطة الكبيرة للكنيسة، لماذا؟ لأن الذي قرر أن الأرض هي الثابتة وبقية المجموعة الشمسية تدور حولها هي الكنيسة.. أي أن الرب الخالق هو الذي قَرَّر ذلك! فعندما يأتي عالم من العلماء ليكتشف العكس، وأن الأرض ليست هي مركز الكون، بل إن الأرض تدور مع المجموعة الشمسية، وهي كوكب تابع يدور حول الشمس، يصبح هذا الكلام مناقضًا لكلام الإله، والنتيجة أن هذا الإله أخطأ! وبالتالي قضية التكلم باسم الإله أصبحت آيلة للسقوط عند الكنسيين، فماذا فعلت الكنيسة؟ بدأت الحربَ على العلماء بالحديد والنار، أي نظرية تخرج تُوأَدُ في مَهْدِهَا، ومَن لم يستجب يقتلوه، أو يحرقوه، حتى قتلوا أكثر من ٣٢ ألف عالمًا. وكان السقوط الثاني لسقوط سلطان الكنيسة، باكتشاف الميكروسكوب سنة ١٥٩٠، وتلك كانت الصدمة الكبري للكنيسة؛ لأنه باكتشاف الميكروسكوب، بدأ العلماء يَرَوْنَ الجراثيم والفيروسات التي كانت تنقل الأمراض كسبب، والصدمة في ذلك، أن الكنسيين كانوا يقولون أن الله أو الشيطان هو الذي ينزل الطاعون والأوبئة بالبشر، وحتى تُدفع هذه الأمراض والأوبئة كانت صلوات رجال الكنيسة، بمقابل مادي كبير، فيذهب من أصابه طاعون أووباء لرجال الكنيسة كي يصلوا من أجله، ليذهب عنه الأذى، وعندما اكتشفوا أن هناك أسبابًا للأوبئة والأمراض وأن الطاعون والأوبئة ليست فعل الرب بهم، فكانت تلك الواقعة ثالثة الأسافي بالنسبة للكنيسة، فحدث انقلابٌ كبير جدًّا على الكنيسة، واضطهاد شديد جدًّا من الكنيسة للعلماء وتحريق للعلماء، ووأد أي ظاهرة أو تنقيب علمي، وأصبحت الحرب على أوجها بين الكنيسة

والعلماء، وكانت الأجواء مهيئة لحدوث ثورة على هذا الدين الجاهلي أو قل على من يستخدمون الدين لخدمة مصالحهم الشخصية، فكان لابد من حدوث ثورة، وحدثت بالفعل الثورة مِن الشعب على الكنيسة، وهذه الثورة لم تكن على الكنيسة فقط، بل على الملوك أيضًا؛ لأن الملوك كانوا تابعين للكنيسة حتى يظل سلطانهم قائمًا، فكانوا يعملون على إرِضَاء الكنيسة؛ لأن الكنيسة كان لها السلطان والهيمنة الكبيرة، قامت الثورة، وكان لابد أن تقوم؛ لأن هذا دين باطل محرف يسوس الناس إلى الهاوية، وكانت الكلمة المشهورة في هذه الثورة التي قامت على الكنيسة: «اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس» فحدث انقلابٌ على الدين والحكم معًا.

بعد هذا الانقلاب خَفَتَ صوت الكنيسة جدًّا، وبدأت الاكتشافات والنظريات العلمية في الظهور شيئًا فشيئًا، فتم اكتشاف قوة البخار والآلة، فَتَحَوَّلَ الناس من الصورة الزراعية إلى الصورة الصناعية باختراع قوة البخار والآلة، فبدأ امتلاك المصانع الكبيرة التي قام عليها الإقطاعيون أصحاب الأموال وحازوا الثروات الضخمة، وبدأت صورة الرأسمالية في المجتمع تَفْشُو، فبدأ استغلال العمال استغلالًا فاحشًا جدًّا، وظهرت طبقات متفاوتة من الرأسماليين والفقراء شديدي الفقر، وانتشرت المظالم الهائلة، فبعد ظلم الكنيسة، بدأ ظلم الرأسماليين، وانقلبت الصورة رأسًا على عقب، فبعد أن كانت الكنيسة تسيطر على الإقطاعيين لحفظ مكانتهم وأموالهم، أصبح الإقطاعيون يسيطرون على الكنيسة ويوجهونها لخدمة مصالحهم الشخصية، فكانت الكنيسة تساند الرأسماليين الإقطاعيين وتشهد المظالم ولا تمنعها أو تنكرها، فأدى ذلك لانتشار الإلحاد في أوروبا والشك في وجود إله، وبذلك سقط سلطان الكنيسة تمامًا التي تمثل الدين، ولكنه دين منحرف كما ذكرنا، فاتهم الناس هذا الدين بالظلم في هذا الوقت، وهم محقون في ذلك؛ لأن هذا ليس

ديـن الرب الرحيم، رأى الناس عَجْزَ الكنيسـة عن تقديـم حلول للمجتمع تدفع الظلـم، وترد الحقـوق وتحافظ على الشـعب، وتلك كانت المرحلـة الثانية لوجود الإلحـاد وعـدم الإقرار بوجـود خالق لهذا الكون، وأن الكنيسـة والإلـه كانا وهمًا يَسِير الناس وراءه إذن؛ لا وجود للدين والإله.

ومِنْ عوامل انتشـار الإلحاد كذلك: ظهور المذاهـب الاقتصادية الإلحادية بعـد المذهـب الرأسـمالي، فظهر المذهـب الآخـر المناقض لـه تمامًا، وهـو المذهب الشـيوعي الاشـتراكي، والشـيوعية التي بَشَّرَ بهـا بعد ذلـك كارل ماركس، وهو يهـودي ألماني، وكان أبوه قد تَنَصَّر، هذا المذهب الشـيوعي الاشـتراكي ينطلق من منطلق اقتصادي بَحْت، ويهدف إلى معالجة المظالم الرأسمالية كما يقول مَنْ يُبَشِّر به، وإيجاد مجتمع اشـتراكي يعمل فيه كُلُّ إنسـان حسب طاقته، ويأخذ حسب حاجته أيًّا كان مسـماه أو وصفه؛ لكن القائمين على المذهب الاقتصادي هذا –للأسـف– صبغـوه صبغة عقائديـة، وزعم أصحابه أن الحياة التي يعيشـها الناس حياة مادية فقـط ولا يوجـد روح ولا بعث ولا إلـه ولا قِيم ولا أخـلاق، وأن الناس في هذه الحيـاة لا هَمَّ لهـم إلا المصالح المادية، وأن الأديانَ الموجـودةَ والتي يَنْتَحِلُها الناسُ أو الأنبياء، لتحصيل مَصَالِحَ شـخصية. بَثَّ الشيوعيون في هذا الوقت أن الأنبياء والقساوسـة و الرهبان ما هم إلا بعض الدجاجلة الذين يريدون تحقيق مصالحهم الخاصـة، وكانوا يتهمون مَنْ يتمسـك بعقيدتـه بالكفر والزندقـة، ويبعثون به إلى السـلطان، للتنكيـل بـه بقتل أو سـجن، فهذا كان عامـلًا ثالثًا من عوامل انتشـار الإلحاد في هذه المجتمعات.

كيف انتشر الإلحاد في أوروبا ودخل العالم الإسلامي. ومتى تأسس، وَمَنْ هم أبرز مَنْ تَبَنَّوا هذا الفكر الخبيث؟

إن مؤسسي الإلحاد في الحقيقة أتباع العلمانية، وطائفة تسمى الوجودية، والحركة الصهيونية[١] والشيوعية، وعلى رأسهم الداروينية، أرادت الحركة الصهيونية نشر الإلحاد في الأرض لإفساد أمم الأرض.

دور الصهيونية في انتشار الإلحاد:

الحركة الصهيونية قامت على نشر الإلحاد في هذا العصر، بالانسلاخ من كل الضوابط الشرعية والأخلاقية، لا ضوابطَ شرعية، لا دين، ولا قيم أخلاقية تضبط الناس في معاملاتهم، فتكون النتيجة هدم الأمم نفسها بنفسها، وهذا الذي يُرِيدُه القوم، كانت محاولات نشر الإلحاد داخل أوساط المجتمعات الإسلامية نشطة جدًّا بعد سقوط الخلافة الإسلامية، منذ عام ١٩٠٨م وحتى سقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م، أول مَنْ حاولَ نشر الإلحاد في المجتمعات الإسلامية رَجُلٌ يُدعى «إسماعيل أحمد أدهم»؛ حيث قام على نشر الإلحاد في مصر وأَلَّفَ أَولَ رسالة بهذا

(١) الصهيونية: هي حركة سياسية يهودية، ظهرت في وسط وشرق أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر، وقد دعا اليهود للعودة إلى أرض الآباء والأجداد (إيريتس يسرائيل) ورفض اندماج اليهود في المجتمعات الأخرى للتحرر من معاداة السامية والاضطهاد الذي وقع عليهم في الشتات، وبعد فترة طالب قادة الحركة بإنشاء دولة منشودة في فلسطين، والتي كانت ضمن الأراضي التي تسيطر عليها الدولة العثمانية، وقد ارتبطت الحركة الصهيونية الحديثة بشخصية اليهودي النمساوي هرتزل، الذي يُعَدُّ الداعية الأول للفكر الصهيوني الحديث، والذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم، وبعد تأسيس دولة إسرائيل، أخذت الصهيونية على عاتقها توفير الدعم المالي والمعنوي لإسرائيل. وقد عُقِدَ أول مؤتمر صهيوني في بازل بسويسرا لِيَتِمَّ تطبيق الصهيونية بشكل عملي على فلسطين، فعملت على تسهيل الهجرة اليهودية ودعم المشاريع الاقتصادية اليهودية.

الصـدد، وكانت بعنـوان (لماذا أنا مُلْحِـدٌ؟) طبعتها مطبعة التعاون بالإسـكندرية عـام ١٩٢٦م. تَبِعَهُ بعد ذلك «إسـماعيل مظهر» وهو الـذي ترجم لكتاب (أصل الأنـواع) لـداروِن. وأصـدر مظهر سـنة ١٩٢٨م مجلة العصـور في مصر للدعوة إلى الإلحـاد، وقد تاب في آخر حياتـه، وكانت هذه المجلة تدعو إلى الإلحاد بصورة فَجَّةٍ جدًّا، وتطعن في العرب والعروبة طعنًا قبيحًا، وتتهم العقول العربية بالجمود والتخلـف والانحطاط، وكان مظهر يشـيد بأمجاد إسرائيل ونشـاطهم وتفوقهم واجتهادهـم، وهـم ثلة قليلة جـدًّا كانوا ١٥ ألف نسـمة آنذاك، كيـف بدأت لهم حضـارة وصناعـة ومجتمع راقٍ! وظل يُشِـيدُ بأمجاد هـؤلاء الإسرائيليين في مجلته، وفي سـنة ١٩٢٨م أيضًا، أُسسـت جماعة لنشر الإلحاد في مصر تحت شعار الأدب، واتخذت دارًا -كانت تُسَمَّى دار العصور- مقرًّا لها، وكان اسم هذه الجماعة رابطة الأدب الجديـد، وكان أمين سرها هو كامل كيلاني، وإن كان تاب بعد ذلك، لكن نذكـر هذا الأمر للتأريـخ. وفي العموم، يؤرخ المؤرخون لموجـة الإلحاد العاتية في وقتنا الحاضر بأحداث ١١ سبتمبر، وهم يتعمدون إظهار أحداث ١١ سبتمبر أنها بداية ظهور الإلحاد،؟

الذي حدث أن مجموعة من الجهاديين الذين نسبوا أنفسهم للجهاد زُورًا وبهتانًا ضربـوا الأمريكان وإن كنا لا نجزم بذلك فقد كَثُرَ الكلام حول هذا الحدث حتى ذكـر بعض المحللين أن ذلك بفعل الأمريكان أنفسـهم، أيًّا كان فقد تم اسـتغلال هـذا الحدث للترويج أن ذلك تم لفرض سـلطان الدين! إذن؛ الدين هو موضوع لِهدم المجتمعات وقتل الأطفال والنسـاء وخراب الديـار!!. إذن الدينُ وَهْمٌ كبير خطـير، ومـن ثم فلا وجود للديـن، ولا وجود للإله، وهذا الـذي ذكروه أكذوبة

كبرى، فإن مَن تتبع الإحصائيات وجد أن أكبر نسبة قتل حدثت وتحدث في العالم حتى الآن بسبب الملحدين. فحقيقة وجود الإلحاد هي نشر لثقافة القتل والنصب والسرقة وسفك الدماء وخراب المجتمعات، وإليك بيانُ ذلك.

مآسي المسلمين في العالم:

☆ **مآسي المسلمين في ما كان يسمى الاتحاد السوفيتي:** لقد عمد الشيوعيون لأساليب إبادة رهيبة للمسلمين، فتمت إبادة عشرين مليون مسلم خلال خمسين عامًا، وقد ثبت بالإحصائيات الروسية أن ستالين وَحْدَه قتل ١١ مليون مسلم -سكان منطقة القرم.

☆ **مذابح أهل البوسنة في يوغسلافيا السابقة:** حيث أَبَادَ الشيوعيون فيها بعد الحرب العالمية الثانية مليون مسلم، منهم ١٢ ألفًا قتلوا في المسجد الكبير بفوجا في شرق البوسنة وذبح ٦ آلاف مسلم في جسر فورا.

☆ **مأساة المسلمين في الصين الشيوعية:** لقد حُورِبَ الإسلام في الصين الشيوعية منذ عام ١٩٥٤م، وشمل ذلك تعطيل المساجد وقتل وسجن العلماء وتقسيم تركستان الشرقية وتهجير المسلمين وقتل ٣٦٠٠٠٠ مسلم.

☆ **مذابح المسلمين ومآسيهم في منطقة الحبشة:** حيث وضع الطاغية هيلا سيلا سي خطةً لإنهاء المسلمين خلال ١٥ عامًا وتَبَاهَى بخطته أمام الكونجرس الأمريكي، وقام بإحراق الشيوخ والنساء والأطفال بالنار والبنزين في قرية جرسم، وأمر بالتعقيم الإجباري للمسلمين -رجالًا ونساء. وقام بعده السفاح منجستو بمذبحة كبيرة؛ حيث أمر بإطلاق النار على المسجد الكبير بمدينة ري



رادار بإقليم أوجا وين، فقتل أكثر من ألف مسلم كانوا يؤدون الصلاة في رمضان عام ١٣٩٩هـ.

مذابح المسلمين في الفلبين على يد حكومة ماركوس: حيث ارتكبت أفظع الجرائم من قتل جماعي، وحرق للأحياء، وانتهاك للأعراض والحرمات، وَفَقْءٍ لأعين الرجال وَبَقْرٍ لِبطون الأطفال، وذبح بالخناجر، وفصل للرءوس عن الأجساد.

مأساة المسلمين في فطاني في تايلاند: حيث قامت الحكومة البوذية بحرب الإسلام وإغلاق الكتاتيب، وإفساد عقائد المسلمين، وقامت بتصفية الدعاة والعلماء، وتم حرق ١٠٠ شاب مسلم بالبنزين: صرح رئيس البوليس في جنوب تايلاند أن حياة المسلم لا تساوي ٢٦ سنتًا فقط، أي قيمة الرصاصة[١].



(١) كي لا يستمر الهوان د. مهدي علي قاضي.



أفكار ومعتقدات الملحدين



١ إنكار وجود الله سبحانه -الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيرًا- الكون والإنسان والحيوان والنبات وُجِدَ صدفة وسينتهي كما بدأ، ولا توجد حياة بعد الموت.

٢ المادةُ أزلية أبدية، وإنها الخالق والمخلوق في نفس الوقت: وهذا الكلام كان يدرس لنا ونحن لا ندري، تذكرون قانون المادة في مادة العلوم في إعدادي (المادة لا تفنى ولا تُسْتَحْدَثُ من العَدَم) يعني أزلية أبدية، إذن هي الخالقة.

٣ النظرة الغائية للكون والمفاهيم الأخلاقية تُعِيقُ تَقدُّم العلم.. أي أن الاعتقاد بأن هذا الكون مخلوق لِغاية أو حكمة، وأنه يجب أن تسود مفاهيم أخلاقية تجعل العلاقات بين الناس تقوم على الأدب والخلق السمح، هذا الكلام عندهم يُعيقُ تقدم العلم، فلا قِيَمٌ ولا مبادئ ولا أخلاق؛ وهذا امتدادٌ لنظرية داورن التطورية التي تؤكد على أن البقاء للأصلح (الأقوى)، فالصراع من أجل تحصيل الشهوات والمصالح، سواء شخصية أم دولية.

٤ إنكار معجزات الأنبياء؛ لأن تلك المعجزات لا يقبلها العلم كما يزعمون، ومن العجب أن الملحدين الماديين يقبلون معجزات الطفرة الوحيدة التي تقول عليها الداروينية، ولا سند لها إلا الهوس والخيال؛ لأنهم أصلًا ينكرون الوحي، والرسالة في هذا الكون يقوم بها الأنبياء، فلا أنبياء عندهم ولا معجزات؛ لأن هذه أمور لا يقبلها العلم؛ لأنها ليست أمورًا محسوسة مادية، مع أنهم - يؤيدون وبكل قوة نظرية داورن، ويعتبرون أنها طفرة من

الطفرات، وهذه النظرية قائمة على أمور خيالية، ليست ملموسة، ومع ذلك يؤمنون بها، وَيُنَاقِضُون أنفسهم!!

٥ ينظرون لتاريخ الأمم السابقة على أنه صورة للجرائم والحماقة التي قامت في هذا الكون، وخيبة أمل كبيرة جدًّا، وقصة التاريخ عندهم لا تعني شيئًا[١]. والإنسان نفسه مادة تنطبق عليه قوانين الطبيعة التي اكتشفتها العلوم كما تنطبق على غيره من الأشياء المادية. يقولون: إن القوانين هي التي خلقت، وهو لم يفكر بعقله للحظة كيف عرف هذه القوانين؟ هذه القوانين مُسَيَّرة، وهو لا يستطيع أن يُغَيِّرَ في الثابت منها شيئًا، فكيف تكون خالقةً وهو يتحكم في توظيفها!

أسباب ظهور فكر الإلحاد في المجتمعات عمومًا وخصوصًا الإسلامية منها:

١ غياب القدوة الصالحة في كل الدروب، في البيت، في المدرسة، في الجامعة، في المتجر، في المصنع، في كل مكان يوجد فيه مجتمع من الناس، عند غياب القدوة الصالحة يُصْبِحُ ذلك عاملًا مؤثرًا كبيرًا جدًّا لوجود الإلحاد.

٢ تَعَرُّض بعض الشباب خاصة في بداية تكوينه الفكري لهذه الأفكار، وذلك من خلال قراءة كتب الفلسفة أو اتصاله بمفكرين ملاحدة أَعْجَبَهُ أسلوبهم في الكلام، وأسلوبهم في الكتابة، وأسلوبهم في العرض، وغير ذلك. مما كان سببًا من أسباب انتشار هذا الفكر، وهذا يجعل على عاتقنا مهمة كبيرة جدًّا، وخطيرة جدًّا، فيجب أن تكون بنفسك قدوة حسنة في المجتمع وَتَسْعَى لبناء القدوة الحسنة في المجتمع حتى تقضي على القدوات السيئة التي تسير

(١) «موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة» (مجموعة باحثين).

بأفكار الشباب إلى الهاوية، تسرب هذا الفكر لشبابنا عن طريق الفيس بوك، و حوارات المنتديات مع الملحدين، فيتشكل فكره منذ نعومة أظفاره.

٣ غلبة الشهوة على كثير من الشباب وأنهم يَرَوْنَ أن الدين مانع لهم عن تصريف هذه الشهوة، فيبدأ في الابتعاد عن الدين لأنه سيقول له: هذا حلالٌ وهذا حرام، لا تتكلم مع هذه البنت، لا تمارس هذه العادة، لا تفعل هذا الفعل، فَلِغَلَبَةِ شهوته عليه، وهو لا يستطيع أن يصرفها تصريفًا صحيحًا، يذهب للإلحاد؛ حتى لا يشعر بتأنيب الضمير ودورنا أن نبين له كيف يكون التصريف الصحيح للشهوة، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»

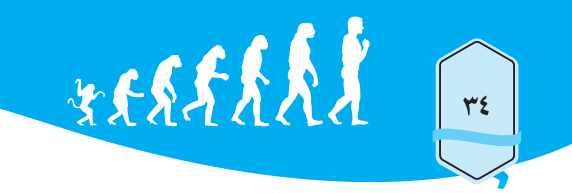
[رواه البخاري].

٤ أمرًا أصبح داخل بيوت كثيرة، إلا من رحم الله، وهو انتشار القنوات الإباحية، والإنترنت، ودور النشر والمقاهي الثقافية، وهذه كلها أماكن تُبث فيها الشهوات والشبهات بطريقة كبيرة جدًّا، الشاب يجلس على الفيس أو الإنترنت ٢٤ ساعة، وشات مع فلان ومع فلانة، والملحدون يخترقون الشباب من خلال هذه الأمور اختراقًا ناعمًا.

٥ من المآسي: عدم قيام المؤسسات الموجودة في الدولة أو الدول عمومًا بدورها، من تعليم في المعاهد والجامعات والمدارس، وعدم القيام بأنشطة للوقوف ضد انتشار هذا الفكر الإلحادي، وبطء الاستجابة جدًّا في رد الفعل على هذا الفكر الخبيث.

٦ وجـود فئـات مـن المجتمـع أسـاءت للديـن بِعَمْـدٍ أو بغير عمـد من خلال حماسـها غـير المنضبـط، والجهـل العريض، فيتحـول الديـن إلى مظاهر فقط دون مضمون من خلال الحماس والعاطفة غير المنضبطة، ومن خلال الجهل العريض، فيتحول إلى مظاهر لا يصاحبها جوهر ولا مضمونٌ نقي، فيتسبب في حدوث رد فعل عند هؤلاء الشباب أنه لا يريد الدين.






أنواع الملحدين وأقسامهم

ينقسم الملحدون إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: فلاسفة بَيَّنُوا الإلحادَ وتبنوا نظرية دارون..

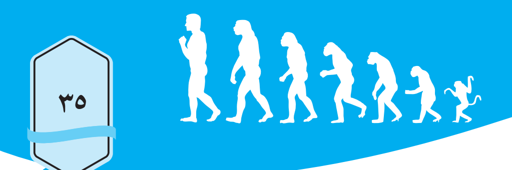
النـوع الثاني: الشـيوعيون الذين يريدون تحويل المجتمعات إلى مسـتعمرات لهم، ولن يكون لهم ذلك إلا بهدم المعتقدات الدينية وهم في روسـيا بكثرة، ولينين وماركـس والنازيـة، وغير ذلـك من الأفـكار التي جـاءت لتحويـل المجتمعات لمستعمرات لهم.

النـوع الثالـث: أفـراد غـير مُؤَدلجين، ليسـوا أصحاب فكـرة مُتبَنَّـاة، وجدوا في القـول بالإلحـاد هروبًا من قيود الديـن كما أشرنا في الأسـباب التي تمنعهم عن تصريف شهواتهم كما يريدون.

النـوع الرابع: موجود في كل المجتمعـات وفي كل الديانات؛ لأنهم عبارة عن عدد من الأفراد الصامتين المتشككين، ولكن لا يطرحون شَكَّهُم هذا للنقاش حتى يُـرد عليه، وهذه الطائفة التي غَلَبَ عليها الجانب النفسي بسـبب طريقة الانغلاق في التربية أوصلهم ذلك إلى فقدان الثقة في أنفسهم، فسلطان فكر الملحدين عليهم كبير فلا يستطيعون الرد أو النقاش.

أقسام الملحدين من حيث علاقتهم بربهم تقوم على ثلاثة أسس:

مـن حيـث علاقة الملحد بربه، ومـن حيث علاقة الملحد بإلحـاده، ومن حيث أسباب الإلحاد.




أولًا: من حيث علاقة الملحد بِرَبِّهِ لدينا نوعان من الملحدين:

- **الملحد القوي:** وهو الذي يُنكر وجودَ رَبٍّ خالق للكون، ويأتي بأدلة على ذلك، وهي طبعًا أدلة واهية، وهذا يسمى عندهم مُلحد قوي؛ لأنه ينكر وجود خالق للكون مع تقديم أدلة لما يقوله؛ لكنها واهية.

- **الملحد الضعيف:** هو أيضًا ينكر وجود خالق لكن ليس معه دليل، ولا يستطيع تقديم دليل، ولا يتقبل دليل على وجود خالق.

من حيث علاقة الملحد بإلحاده لدينا ثلاثة أنواع:

الأول: مُلحد سَقَطَ في الإلحاد عن طريق الشبهات، وهذا في الحقيقة رَدُّهُ عن الإلحاد أمر سهل بعد تفنيد الشبهات، فيجدها شبهات ساقطة واهية وكثير منهم تَرَاجَعَ.

الثاني: ملحد تأقلم مع إلحاده، فهو وَجَدَ في الإلحاد بُغْيَتَهُ، وبدأ يرد ويأتي بأدلة، فحدث عنده تأقلم مع الإلحاد.

الثالث: وهذا أصعبهم نفسيًّا، ملحد لا يستطيع التأقلم مع إلحاده، وهذا غالبًا نهايته بالانتحار؛ لأنه بداخله الفطرة تأنُّ عليه أن هناك خالقًا، وإلحادُه يقول له: لا ليس هناك خالق، فيتنازع الأمر ويتناقض مع نفسه تناقضًا شديدًا يؤدي به في النهاية إلى الانتحار.



أسباب الإلحـاد

☆ **أسباب علمية:** وهذه ذريعة كبيرة للإلحاد، والملاذ الذي يعتمدون عليه في ظَنِّهم هو نظرية التطور من خلال كتاب «أصل الأنواع» وكتاب «أصل الإنسان» لداروِن، وكأن هذين الكتابين هما الملاذ العلمي للملحدين في العالم حتى يُؤَصِّلُوا لهذا الفكر الخبيث.

☆ **أسباب نفسية:** وأكثر الملحدين الذيـن يقولون بأنهم ملحـدون، تجد أن الأسـباب التـي يذكرونها بعد البحث والتنقيب أسـبابٌ نفسـية، أو عاطفية هزته وجدانيًّـا، فـأدى بـه إلى الوقـوع في الإلحـاد، أو ابتلي بالمـرض أو بفقـد الأحبة أو بفقـد المال أو غير ذلك، ولا يسـتطيع الصبر عليها، - أناس كثـيرون جدًّا يدعون ولا يستجاب لهم، فيكون هذا سبب في إلحادهم، يظل المرء يدعو ويدعو ولا توجد اسـتجابة، والنبـي ﷺ قد حذر من هذا الأمر، فقال: «**يُسـتجاب لأحدكم مـا لم يَعْجَـل**» [رواه مسـلم] ونهى ﷺ أن يقـول الرجل: «**قَدْ دَعَـوْتُ فَلَا -أَوْ فَلَمْ- يَسْتَجِبْ لِي**» [رواه مسلم].

بعض المصطلحات المتعلقة بالإلحاد:

أولًا: الملحد: هو المنكر لوجود الخالق، ومن ثم ينكر وجود دين.

ثانيًـا اللاديـني: منكر لوجـود الدين، لكـن ليس بالـضرورة أن ينكر وجود الإلـه، أي أن الـلا دينـي من الممكـن أن ينكر الإلـه والدين، أو ينكـر الدين فقط ويعترف بوجود إله، لا يعرف له اسمًا ولا صفة ولا فعلًا!

ثالثًا: اللاأدري: هو الذي يؤمن أن قضايا الألوهية والغيب لا يمكن إثباتها وإقامة الحجة عليها، كما لا يمكن نفيها! وهو مشتق من كلمة لا أدري، أي لا ينكر ولا يثبت، ليس عنده أدلة تثبت وجود خالق، وليس عنده أدلة تنفي وجوده، وهو مُتشكك، وهذا اللاأدري في الحقيقة عندما تبحث عنه لا تجد له وجودًا في الحياة؛ لأن كل شيء عنده لا أدري! لا أعرف!، مثلًا: رجل سُرقت سيارته، وكان بها مثلًا نصف مليون جنيهًا، فُتحت وسُرقت، سيذهب لعمل بلاغ في القسم فيسأله الضابط في البلاغ: ماذا كان لون السيارة؟ فيقول: لا أدري! يقول له: هي سيارتك أم لا؟ يقول لا أدري! يسأله: هي الأموال التي كانت بالسيارة سُرقت؟ يقول: ممكن تكون سُرقت وممكن تكون ضاعت، يسأله: لماذا جئت؟ يقول: لست أدري، فهذا ليس له وجود في الحياة في الحقيقة، هو مجرد أمر ذهني لا ينكر ولا يثبت ولا وجود له؛ لأن هذا أصلًا إنسان مجنون في الحقيقة.

رابعًا: الربوبي: وهؤلاء موجودون بكثرة، وعندهم شبهات وقد ترى كثيرًا منهم على شاشات التلفاز، فالربوبي: هو مَن يثبت وجود رب، حتى يخرج من قضية إثبات وجود الرب والأدلة عليه ونقد النظريات التي تنفي وجود الرب ويُريح نفسه ويقول: أنا معترف بوجود رب، فيثبت وجود الرب ولكن عنده هذا الرب على ثلاثة أحوال على اختلاف الربوبيين كالتالي: إما أن هذا الرب خلق الكون وتركنا ونحن نفعل ما نشاء في الكون، ويشبهون هذا الرب بصانع ساعة الزنبرك تملأها وتتركها فتعمل فترة طويلة وحدها، فيقول الرب خلق الكون وتركه يعمل وحده، وهذا نوع من أنواع الربوبيين حتى ينخلع من أيِّ رقابة وأي دين،أو يثبت وجود خالق، لكن يقول: إن هذا الخالق رب شرير؛ لأنه خلق الشر

وأوجده وعاجز عن دفعه عن خلقه، أوهو رب خلق الكون وتركه لا شأن له به، في النهاية: الربوبي لا يعبد شيئًا.

خامسًا: مصطلح العلماني: العلمانية هي دعوة لإقامة الحياة على غير دين، والعلمانيون درجات، درجة منهم تنكر وجود الإله تمامًا وهم الملحدون، ودرجة منهم يقولون بوجود إله، لكن هذا الدين الذي جاء من عند الإله لا يصلح لإقامة الحياة، فالدين هو علاقة شخصية بين العبد وربه، هذه كانت بعض المصطلحات التي أردنا أن نشير إليها.

✩ كيف بدأ الخلق:

- خلق الكون.
- خلق الحياة.
- خلق الإنسان.

قضية خلق (الكون- الحياة- الإنسان)؛ قضية تشغل كل حي؛ لأن هذا الأمر -كما ذكرنا- أمرٌ فطريٌّ في كل إنسان، يسأل لماذا خُلِقْتُ وَمَنِ الذي خلقني؟ ومن أين جئتُ؟ وإلى أين المصير؟

في دين الإسلام تَكَفَّلَ الله بالإجابة على هذه الأسئلة وَدَلَّنَا عليها، وَمَنْ سلك غير طريق الوحي يسير في ضلال وحيرة وتَخَبُّطٍ وعشوائية مريرة.



كيف خُلق الكون؟



بيَّن لنا الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن كيف خلق السماوات والأرض وكيف خلق الإنسان والحياة؛ لأن هذا العلم يستحيل أن يُتَوَصَّل إليه إلا مِن خلال الوحي، والسبب في ذلك أمر بدهي؛ لأن الإنسان لم يشهد خلق السماوات والأرض ولا حتى خلق نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الكهف:٥١].

ولكن أبى المُلحِدون إلا أن يطوفوا بعقولهم في غير نطاقها، ومِن هنا حدث الخلل؛ لأن العقل له نطاق واسع يتجول فيه، وإذا تخطى هذا النطاق وذهب يبحث عن عللٍ لأشياء تفوق قدرته؛ تعطل وتوقف عن أداء وظيفته، كمن يكلِّف أحدًا أن يسمع بأذنه فوق مداها فلن يستطيع، وهذا الذي يؤدي إلى تعطيل الأذن.

وهذه القضية ليس للعقل إدراكها وحده؛ لأن الأمور التي لم يشهدها الإنسان لها طريقان للمعرفة: إما المشاهدة، أو الإخبار عن طريق الثقات. والسبيل الأول في قضية خلق السماوات والأرض -وكذلك الإنسان- سبيلٌ معدوم؛ لأن الإنسان لم يشهد ذلك. والسبيل الثاني مقطوع إلا عن طريق خالق السماوات والأرض والإنسان، وهذا في حد ذاته إثبات لربوبية الله -تعالى-. هذا الأمر البدهيّ أَنكَرَه المَلاحِدة؛ ولذلك سعوا بكل سبيل لإثبات نظرياتٍ في الكون والإنسان، وأن هذا الكون أَزَلِيّ، أو أن المادة هي الأَزَلِيّة الخالِقة، وأن الإنسان وُجِدَ عن طريق جرثومة في البِرَك مَرَّت بمراحل تطورت فيها عبر ملايين السنين حتى وصلت إلى صورة



الإنسان الحالي!، كل هذا الصراع والهروب مِن الفطرة والبدهيات مِن أجل إنكار وجود الله الخالق!

وصعوبة الحوار مع هؤلاء تكمن في إنكارهم للبدهيات؛ لذلك قال العلماء: «مِن المُعضِلات تبيين الواضحات!».

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتمثل هذا البيت للرد على أمثال هؤلاء:

ولا يصح في الأذهان شيء   إن احتاج النهار إلى دليل!

ولذلك يجدر بنا أن نعود إلى الوحي حتى نعرف كيف بدأ الخلق؟ ذُكرت قصة الخلق في سورة البقرة، ثم فُصِّلَت، والنازعات، وق. ففي سورة البقرة ذَكَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنه خَلَق الأرض أولًا، ثم السماوات في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٩]، وفي سورة فُصِّلَت بَيَّنَ مُدَّة ذلك فقال: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [فصلت:٩-١٢]. ولكن قد يَرِدُ على هذا الترتيب البديع إشكالان، تَمَسَّك به المَلاحِدة للطعن في الدين.

الأول: ما ظنه البعض مِن أن مجموع الأيام ثمانية؛ إذ ضمّ الأيام الأربعة إلى اليومين السابقين فيكون المجموع ستة أيام، ثم خلق السماوات في يومين فيكون مجموع الأيام ثمانية.

وللإجابة على هذا الإشكال، يقول الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الظاهر أن معنى قوله هنا: ﴿أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ أي: في تتمة أربعة أيام، وتتمة الأربعة حاصلة بيومين فقط؛ لأنه -تعالى- قال: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾، ثم قال: ﴿أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ أي: في تتمة أربعة أيام، ثم قال: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ فتضم اليومين إلى الأربعة السابقة، فيكون مجموع الأيام التي خلق فيها السماوات والأرض وما بينهما ستة أيام. وهذا التفسير الذي ذكرناه في الآية لا يصح غيره بحال؛ لأن الله -تعالى- صرَّح في آياتٍ متعددة مِن كتابه بأنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، كقوله في السجدة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة:٤]؛ فلو لم يفسَّر قوله تعالى: ﴿أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ بأن معناه في تتمة أربعة أيام؛ لكان المعنى أنه -تعالى- خلق السماوات والأرض وما بينهما في ثمانية أيام» «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن».

ومثله قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ**» [متفق عليه]، هل المقصود ثلاثة قراريط؟ قيراط للصلاة عليها، وقيراطان لشهودها حتى تدفن؟ لا، ليس هذا هو المراد، وإنما المجموع يكون هكذا في قيراطين: الأول للصلاة، والثاني لاتباع الجنازة؛ فهذا مثل هذا. وبذلك تتسق آيات الكتاب مع بعضها. الإشكال الثاني الذي يَرِد على ترتيب خلق الله عَزَّوَجَلَّ للسماوات والأرض في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت:١١]، يعني بعد خلق الأرض، وفي سورة «النازعات» قال: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا﴾ [النازعات]، فذكر السماء

أولًا ثم الأرض، فما الجمع بيْن هذه الآيات؟! وللإجابة على هذا الإشكال؛ يقول العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أولًا أن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا سُئِل عن الجمع بيْن آية «السجدة»، وآية «النازعات»، فأجاب بأن الله -تعالى- خلق الأرض أولًا -قبل السماء- غير مدحوة، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبعًا في يومين، ثم دحا الأرض بعد ذلك، وجعل فيها الرواسي والأنهار، وغير ذلك». فأصل خلق الأرض كان قبْل خلق السماء، ودحوها بجبالها وأشجارها ونحو ذلك حدث بعد خلق السماء. ويدل لهذا أنه قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ ولم يقل: «خَلَقَها»، ثم فسَّر دحوه إياها بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾، وهذا الجمع الذي جمع به ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بيْن هاتين الآيتين واضح لا إشكال فيه، مفهوم مِن ظاهر القرآن العظيم. إلا أنه يَرِد عليه إشكالٌ آخر مِن آية البقرة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩]، وإيضاحه أن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا جمع بينهما بأن خلق الأرض كان قبل خلق السماء، ودحوها بما فيها حدث بعد خلق السماء.

وإن كان في هذه الآية التصريح بأن جميع ما في الأرض مخلوق قبْل خلق السماء؛ فإيضاحه: أن هذا الإشكال مرفوع مِن وجهين؛ كل منهما تدل عليه آية مِن القرآن.

الوجه الأول: أن المراد بخَلْقِ ما في الأرض جميعًا قبْل خلق السماء هو الخلق اللغوي الذي هو بمعنى التقدير، لا الخلق بالفعل، الذي هو الإبراز مِن العدم إلى الوجود، والعرب تُسمِّي التقدير خلقًا، ومنه قول زهير:

يعني ما قَدَّرْتَ، فالخالق بمعنى المُقَدِّر، ثم الذي أوجد الأشياء على مقتضى ما قَدَّر، فقوله: «لأنتَ تفري ما خلقتَ» يمدح به ملكًا يقول له: أنتَ تخطط وتنفذ، «وبعض القوم يخلق» أي: يُقَدِّر، «ثم لا يفري»: أي: لا يستطيع أن يُنَفِّذ؛ إذ ليس عنده إمكانيات مِن أجل تنفيذ ما يؤمله ويخطط له. ويمكن أن نمثل لتقريب المعنى بصناعة الطاولة مثلًا؛ فهذا يحتاج إلى تقدير أولًا، وكذا بناء المسجد يحتاج إلى مخطط هندسي، بتقدير معين، مِن حجم المسجد وأبعاده وارتفاعه، ثم بعد ذلك التنفيذ، وهذا هو الإيجاد. فالله عَزَّوَجَلَّ لما خَلَق الأرض غير مَدحُوَّة -وهي أصل لكل ما فيها- كان كل ما فيها كأنه خُلِق بالفعل، لوجود أصله فعلًا. والدليل مِن القرآن على أن وجود الأصل يمكن به إطلاق الخلق على الفرع -وإن لم يكن موجودًا في الفعل-: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ...﴾، فقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ أي: بخَلْقِنا وتصويرنا لأبيكم آدم الذي هو أصلكم.

الوجه الثاني: قال بعض العلماء في الجمع بينهما بأن قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ أي: مع ذلك، فلفظة «بعد» بمعنى «مع»؛ فهي للمزامنة والمعية، وليس للترتيب والبَعْدية، ونظيره قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم:١٣]، أي: مع ذلك. وهذا جواب آخر، وعليه فلا إشكال.



ماذا قال المستشرقون عن الكون وخالقه؟

✍ **يقول أفلاطون**: «إن العالم آية في الجمال والنظام، ولا يمكن أن يكون هذا نتيجة علل اتفاقية، بل هو صنع عاقل، توخى الخير، ورتب كل شيء عن قصد وحكمة». ويقول «ديكارت»: «إنِّي مع شعوري بنقصٍ في ذاتي، أُحسُّ في الوقت نفسه بوجود ذاتٍ كاملة، وأراني مضطرًّا إلى اعتقادي؛ لأنَّ الشعور قد غَرَسَتْه في ذاتي تلك الذات الكاملة المتحلِّية بجميع صفات الكمال؛ وهي الله».

✍ **ويقول أناكسا غورس** -أحد فلاسفة اليونان الأوائل-: «من المستحيل على قوة عمياء، أن تبدع هذا الجمال، وهذا النظام اللذين يتجليان في هذا العالم؛ لأن القوة العمياء لا تنتج إلا الفوضى، فالذي يُحرِّكُ المادةَ هو عقل رشيد، بصير حكيم».

✍ **ويقول ديكارت أيضًا**: «أنا موجود فَمَنْ أَوْجَدَنِي ومن خلقني؟ إنني لم أخلق نفسي، فلا بد لي من خالق. وهذا الخالق لا بد أن يكون واجب الوجود، وغير مفتقر إلى مَن يُوجِده، أو يحفظ له وجوده، ولا بد أن يكون مُتَّصِفًا بكل صفات الجمال. وهذا الخالق هو الله بارئ كل شيء.

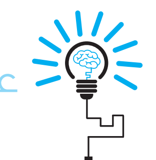
✍ **ويقول باسكال**: «إن إدراكنا لوجود الله، هو من الإدراكات الأولية، التي لا تحتاج إلى جدل البراهين العقلية، فإنه كان يمكن أن لا أكون، لو كانت أمي ماتت قبل أن أُولَدَ حيًّا، فلست إذن كائنًا واجب الوجود، ولست دائمًا ولا نهائيًّا،

فـلا بد من كائـن واجب الوجود، دائـم لا نهائي، يعتمد عليه وجـودي، وهو الله الذي نُدْرِكُ وجودَه إدراكًا أَوَّلِيًّا، بدون أن نَتَوَرَّطَ في جدل البراهين العقلية، ولكن على الذين لم يقدر لهم هذا الإيمان القلبي أن يسعوا للوصول إليه بعقولهم..». فلم يجحد وجوده تعالى من جحده من أعدائه إلا على سـبيل المكابرة، ولهذا قال تعالى في كفرهم بآياته: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].



كيف خُلِق الإنسان؟

قد تنوعت العبارات القرآنية والأحاديث النبوية في بيان بديع خلق الإنسان، لكن قد أبى مَن يريد لعقله الانتحار، رفض آي القرآن، وبَحَث عن كيفية خلق الإنسان بأساليب وطرق تأبى العقول السليمة قبولَها! ومن ذلك: ما زعمه الملاحدة -أنصار «داروِن»- أن أصل الإنسان مِن سلالة القِرَدَة! وأن الإنسان ما هو إلا حيوان مِن جملة الحيوانات، حادث بطريق النشوء والارتقاء! وأنه لمشابهته القرد لا يمنع أن يكون قد اشتق هو وإياه مِن أصلٍ واحدٍ! وقبْل أن نُفَنِّدَ هذه النظرية المتهالكة بالرد والنقض نبيِّن -أولًا- كيفية خلق الإنسان مِن خلال آي القرآن، ونرد على ما جاء في ذلك مِن إشكالات، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، وقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران:٥٩]، وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة:٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات:١١]، وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٦]، وقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن:١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان:٥٤]. وقد حدد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تلك العملية بمراحل،



أو كما أسماها -تعالى- الأطوار السبعة التي يتطور فيها الإنسان في بطن أمه، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح:١٤]، وأوضحها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون]. بيَّن لنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن أصل سلالة الإنسان هي ذاتها التي ابتدأ بها الله -تعالى- خلق هذا الكائن، وأنه صمم شكله وهيئته هذه على هذا النسق. وهنا زعم الملاحدة تضاربًا، وأوردوا بعض الإشكالات: هل آدم خُلِق أولًا أم حواء؟ وهل خُلِق آدم خَلْقًا مباشرًا؟ أم تدريجيًّا تطويريًّا مِن خلية أحادية مرَّت بمراحل عبْر ملايين السنين إلى أن وصلت لصورة الإنسان الحالي كما يزعم الملاحدة؟! وهل خلق الإنسان مِن تراب أم مِن طين أم مِن ماء أم مِن علق أم مِن أمشاج؟ إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء:١].

يقول الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولم يقل: «خلقكم مِن زوجين» وانتهى؛ لأنه عندما يُردّ الشيء إلى اثنين قد يكون لواحدٍ مِن الاثنين هوى، وإنما هذه رُدت إلى واحدةٍ فقط، فيجب ألا تكون لكم أهواء متنازعة؛ لأنكم مردودون إلى نفسٍ واحدة، وهذه هي العظمة؛ أنه خلق الرجل وخلق الأنثى، وهي مِن جنسه، ولكنها تختلف معه في النوع بحيث إذا التقيا معًا أنشأ الله منهما رجالًا ونساءً. إذن فهي عملية مقصودة، وعناية وغاية وحكمة، وانظروا إلى عظمة الأسلوب في قوله: ﴿وَبَثَّ﴾ أي: نشر، والخلق يجب أن ينتشروا في الأرض، كي يأخذوا جميعًا مِن خيرات الله في الأرض جميعًا.

والنشر معناه: تفريق المنشور في الحيز، فهناك شيء مطوي وشيء آخر منشور، والشيء المطوي فيه تجمع، والشيء المنشور فيه تفريق وتوزيع، إذن فحيز الشيء المتجمع ضيق، وحيز الشيء المبثوث واسع، ونريد أن نفهم هذه كي نأخذ منها الدليل الإحصائي على وجود الخالق؛ فهو ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ والجمع البشري الذي ظهر مِن الاثنين سيبث منه أكثر... وبعد ذلك يبث مِن المبثوث الثاني مبثوثًا ثالثًا، وكلما امتددنا في البث تنشأ كثرة؛ فكلما تقدَّم الزمن تحدث زيادة في السكان، ونحن نرى ذلك في الأسرة الواحدة، فهي مُكوَّنة عادةً مِن أب وأم، وبعد ذلك يمكن أن نرى منهما أبناءً وأحفادًا، وعندما يطيل الله في عمر أحد الوالدين يرى الأحفاد، وقد يرى أحفاد الأحفاد.

فكلما تقدَّم الزمن بالمتكاثر مِن اثنين يزداد، وكلما رجعت إلى الماضي يقل؛ فعندما يقول الحق: إنه خلق آدم وحواء عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، وتحاول أنتَ أن تسلسل العالم كله سترجعه لهما، وما دام التكاثر ينشأ مِن الاثنين، فمن أين جاءا؟! الحق -سبحانه- يوضح لنا ذلك بقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات:١٣]، وكان مِن الضروري أن تأتي هذه الآية كي تحل لنا اللغز في الإحصاء؛ فكلما أتى الزمن المستقبل كثر العالم، وكلما رجعنا إلى الماضي قلَّ التعداد إلى أن يصير وينتهي إلى اثنين، وإياك أن تقول إلى واحدٍ؛ لأن واحدًا لا يأتي منه تكاثر، فالتكاثر يأتي مِن اثنين. ومِن أين جاء الاثنان؟ لابد أن أحدًا خلقهما، وهو قادر على هذا، ويعلمنا الله ذلك فيقول: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ ونأخذ مِن (بَثَّ) الانتشار؛ ولو لم يقل الله هذا لكانت العقول الحديثة تتوه وتقع في حيرة، وتقول: نسلسل الخلق حتى يصيروا اثنين، والاثنان هذان كيف جاءا؟! فلا بد أن نؤمن بأن أحدًا قد أوجدهما مِن غير شيء! وهو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

إشكال آخر يطرحه بعض المَلَاحِدَة، وهو: إن كان الأمر كما ذكرنا أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خُلِقَ خَلْقًا مُباشِرًا؛ فهل خُلِقَت حَوّاء مِن نفس الجنس وبنفس الطريقة؟ وما هو توجيه الآيات التي تنص على خلق الإنسان ويظهر فيها تعارض؟ هل خلق مِن تراب، أم مِن طين، أم مِن ماء، أم مِن عَلَق، أم مِن أمشاج؟ وهذا في الحقيقة لا إشكال فيه؛ لأن الأمر -لمن يعقل- ميسور. نقول: إذا قيل: خُلق الإنسان مِن طين، أو مِن تراب، أو مِن صلصال؛ فهو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، بدلالة الآيات التي ذكرت أن الإنسان خُلق مِن تراب ومِن ماء ومِن طين. فهذه أطوار في الخلق؛ فإن التراب إذا ابتل بالماء أصبح طينًا، والطين إذا تعفن صار طينا لازبًا، فأمكن تشكيله بصورة ما ليكون جسمًا ماديًّا، ثم يَبس الطين اللازب فصار صلصالًا كالحمأ المسنون، له رائحة ولون مِن السواد، وإذا نشف أكثر صار صلصالًا كالفخار، وبعدها نفخ فيه الروح. يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر]؛ فهذه الأطوار التي مرت على خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ. أما حَوّاء أُمُّ البشرية، زوجة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد خلقت مِن ضلع آدم، كما بَيَّنَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذلك بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء:١]، وبَيَّنَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ**» [متفق عليه]. وحينما يقول ذلك فإنَّه لا يذمُّ النساء بهذا -كما يزعم المبطلون!-، وإنَّما هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحدِّد طبائع النساء، وما اختصهنَّ الله به مِن تفوُّق العواطف على العقل، على العكس من الرَّجل الذي يتفوَّق فيه العقلُ

على العواطف، فما زاد في المرأة نقص مِن الرجل، وما زاد في الرجل نقص مِن المرأة. أما بقية البشر فجاءوا مِن التزاوج، طورًا مِن بعد طور، وحتى لا يظنن أحدٌ تعارضًا بيْن ما ذكرنا وبين قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون]؛ فإن النسل والتزاوج لا ينفي أن كل إنسان فيه جزء مِن التراب والطين، وعليه فلا إشكال -بحمد الله تعالى-. ولذلك كله قال العالم الفرنسي «مونيه» عندما أراد أن يرد على الخرافات التي يقولونها مِن أن أصل الإنسان كذا وكذا، قال: «أنا أعجب ممن يفكرون هذا التفكير، هل تُوجِد المُصادَفة ما نسميه «ذكَرًا»، ثم تُوجِد المُصادَفةُ شخصًا نسميه «أُنثى» ويكون مِن جنسه، لكنه مختلف معه في النوع بحيث إذا التقيا معًا جاءا بذَكَرٍ كالأول أو بأنثى كالثاني؟ كيف تفعل المصادفة هذه العملية؟ سنسلم أن المصادفة خلقتْ «آدم»، فهل المصادفة أيضًا خلقت له واحدة مِن جنسه، ولكنها تختلف معه في النوع بحيث إذا التقيا معًا ينشأ بينهما سيل عاطفي جارف وهو أعنف الغرائز، ثم ينشأ منهما تلقيح يُنشئ ذَكَرًا كالأول أو ينشئ أنثى كالثاني؟! أي مصادفة هذه؟! هذه المُصادَفة تكون عاقلة وحكيمة. هم يسمونها مُصادَفة ونحن نسمي ذلك الإله الواحد القادر»[١].

---

(١) «تفسير الشعراوي» سورة النساء (١).



الإعجاز العلمي في خلق الإنسان:

خلق الله الإنسـانَ بطريقة تبهر العقولَ تدل على إبداع وإحكام متقن لاتتطرق إليه العشوائية أو يترك الصدفة تغيره وإليك مراحله.

قـال تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون]. قـال تعـالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة].

كانـت البداية خليةٌ واحدةٌ فقـط في بطنِ الأم، وجودٌ عاجزٌ ومحتاجٌ إلى حماية، أصغرُ من حُبَيْبَةِ ملحٍ واحدة. وبعد فترة، انقسَـمَتْ هذهِ الخليةُ وأصبحتِ اثنتَين، ثمَ انقسمت مرةً أخرى وأصبحت أربعَ خلايا، ثم ثماني، ثم ستَ عشرة. استمرتِ الخلايـا بالتكاثر، ثـم ظهرتْ أولًا قطعةُ لحم، ثم أخذت قطعةُ اللحم هذه شـكلًا وأصبحـت لها يـدانِ ورِجـلانِ وعينان، فالخليـةُ الأولى كبُرت مئةَ مليـارِ ضِعف، وأخـذت وزنًا بسـتةِ مليارِ ضِعف. فالتي كانت قطرةَ ماءٍ فقط في السـابق، أجرى اللهُ تعالى فيها معجزاتٍ عدة، فخلقَ منها الإنسانَ الذي يقرأ هذه الكلمات.

الناسُ المنغمسـونَ في نَزعَةِ الحياةِ اليومية، يسـيرونَ لا مبالـينَ بالمُعجزةِ المُهمَّةِ المُتحَقِّقَةِ أمامَ أعينِهم، هذه المعجزةُ هي خلقُ الإنسان. تبدأُ أولُ مرحلةٍ في معجزةِ الخلـقِ بنُضجِ خليَّةِ البويضةِ في عضوٍ في جسـمِ المرأةِ يسـمى المبيـض، هناكَ رحلةٌ

طويلةٌ أمامَ البويضةِ الناضجة، ستدخُلُ أولًا أنبوبَ فالوب وهنا ستقطَعُ مسافةً طويلةً حتى تصلَ إلى الرَّحِم، يبدأُ أنبوبُ فالوب بالحركةِ للإمساكِ بالبويضةِ الناضجةِ قبل خروجها من المبيضِ بمُدَّةٍ قصيرة، ويُحاولُ إيجادَ خليةِ البويضةِ عن طريقِ لَمساتٍ خفيفةٍ على المبيضِ، ونتيجةَ هذا البحثِ يجدُ أُنبوب فالوب البويضةَ الناضجةَ ويسحبُها لِداخِله، وحينئذٍ تبدأُ رِحلةُ خليةِ البويضة. يتوجبُ على البويضةِ قطعُ طريقٍ طويلٍ عَبْرَ أُنبوبِ فالوب، لكن ليس لها أيُّ عُضوٍ يؤمِّنُ لها قَطْعَ هذا الطريقِ كالزعانفِ أو الأرجل، ولهذا خُلقَ لرحلتِها نظامٌ خاصّ، فقد وُظِّفَت ملياراتُ الخلايا التي توجدُ في السطحِ الداخلي لأنبوبِ فالوب لإيصالِ البويضةِ إلى الرَّحِم.

تحرِّكُ الخلايا هذه الشعيراتِ الموجودةَ على سطحِها، المسماة بـ«cilia» نحوَ الرَّحِمِ باستمرار، وهكذا تُحمَلُ خليةُ البويضةِ من يدٍ إلى يدٍ إلى الجهةِ التي يجبُ ذهابُها نحوَهُ كحملٍ ثمينٍ جدًّا.

عندَ ملاحظةِ هذهِ الشعيراتِ نجدُها قد نُسِّقَت في المكانِ والشكلِ الذي يجبُ أن تكونَ عليهِ ضِمنَ خُطَّةٍ ذكيةٍ جدًّا، وتقومُ بحركةِ نقلٍ معًا وإلى الجهةِ نفسِها وكأنَّها آلةٌ مبرمجَة، فلو لم يقُمْ قِسمٌ من هذهِ الخلايا بمهمته أو قامَ بنقلِها إلى جهاتٍ مختلفةٍ لن تصِلَ البويضةُ إلى هدفِها، ولا تتحققُ الولادةُ أبدًا.

ولكنَّ خَلْقَ اللهِ تامٌّ، فَكُلُّ خليَّةٍ تنفِّذُ مُهمَّتَها التي أُوكِلَت إليها دونَ أيِّ خطأ، وهكذا تتقدَّمُ إلى المكانِ المُجَهَّزِ خصوصًا لأجلِ البويضةِ أي إلى رَحِمِ الأم. لكنَّ خليةَ البويضةِ المنقولةِ بِدِقَّةٍ بِهذا الشَكلِ عُمرُها لا يتجاوزُ أربعًا وعِشرينَ ساعة،

وتمـوتُ ما لم تُلقَّح في هذهِ المُدة. وتحتاجُ إلى مـادَّةٍ حياتيةٍ للتلقيح: النُّطفةُ التي تأتي من جسمِ الرجل.

تصميمُ النطفة:

النُّطفـةُ: خليَّـةٌ موظَّفَةٌ لإيصـالِ معلومَـةِ الذَّكَـرِ الوراثيَّةِ إلى خليـةِ البويضةِ في الأنثى. إذا دقَّقنـا عـن كثـب، نـرى جهـازًا مُصَمَّمًا بشـكلٍ خاصٍّ لحمـلِ هذهِ النُّطفة، فالقِسـمُ الأمامـيُّ للنُّطفَـةِ مغطى بِـدِرعٍ واقٍ وتحتَهُ دِرْعٌ ثـانٍ، وتَحتَ هذا الدِرعِ الثاني أيضًا يوجدُ ما يشـبِهُ الشـاحِنَةَ التي تحمِلُ النُطفة. ويوجد داخلَ هذه الشـاحنة ثلاثـةٌ وعِـشرونَ صبغيًّا عائـدًا للرجل. جميـعُ المعلوماتِ العائدةِ لجِسـمِ الإنسـانِ وأدقِّ تفاصيلِه مخفيٌّ في هذه الصِّبغيات، ولظهورِ إنسـانٍ جديدٍ يجبُ أن تَتَّحِدَ الصِّبغياتُ الثلاثةُ والعِشرون الموجودةُ في نُطفَةِ الرجلِ مع الصِّبغيات الثلاثةِ والعِشرين الموجودةِ في بويضةِ المرأة، وهكذا سـيظهَرُ أولُ تكوينٍ لجِسـمِ الإنسانِ من ستةٍ وأربعين صبغيًّا. تصميمُ الدِّرعِ الموجودِ في الجِهةِ الأماميَّةِ لِلنُّطْفَة سَيَحمي هَذا الحِملَ الثَمينَ طوالَ هذه المسافةِ الطويلةِ من جميعِ أنواعِ الأخطار.

وتصميـمُ النطفـةِ غيرُ محصورٍ في هذا فقط، فهناكَ في القِسـمِ الأوسـطِ للنُّطفةِ محرِّكٌ قويٌّ جِدًّا، ويرتبطُ بِطَرَفِ هذا المحرِكِ قسـم ذيل للنطفة. القوةُ التي ينتجُها المحركُ تدوِّرُ الذيـلَ كالمِروحةِ، وتؤمِّنُ للنطفةِ قطعَ الطريقِ بسرعة. ولوجودِ هذا المحرِّكِ لا بُدَّ من وَقودٍ لتشـغيلِه، وقد حُسـبت هذه الحاجَةُ أيضًا فرُتِّب لهُ الوقودُ الأكثرُ اقتصادًا أي سُـكر الفركتوز على السائل الذي يحيط بالنطفة. وهكذا فقد تَمَّ تَوفيرُ وَقود المُحَرِّكِ خلالَ الطريقِ الذي ستقطَعُهُ النُّطفَة.

بفضلِ هـذا التصميمِ الكامِلِ تَقطَـعُ النطفةُ طريقًا نحـوَ البويضةِ بسرعة. عندَ ملاحظـةِ حجـمِ النُّطفةِ بالنِسبَةِ إلى المَسـافَةِ التـي قطعتها تظهَرُ حركتُهـا السريعةُ التي تُشـبه قارِبَ السـباق. هذا الجهازُ المدهـشُ ينتَجُ بمهارَةٍ كبـيرة؛ حيثُ يوجدُ داخـلَ كلِّ خِصيـةٍ -مركزُ إنتاجِ النُّطَـف- أقنيةٌ مجهريةٌ يصـلُ طولُها إلى خمس مئة متر. الإنتاجُ في هذهِ الأقنية يُشـبِهُ تمامًا نِظامَ السِّكةِ الحديديةِ المستخدَمَةِ في المعامِلِ الحديثة، فأقسامُ النُّطفةِ من دِرعٍ ومحركٍ وذيلٍ تُركَّبُ معَ بعضِها على الترتيب. وفي النهايـةِ تظهَـرُ روعة الهندسـة الكاملة. علينـا التفكيرُ ولو قليلًا في هـذهِ الحقيقة.. كيف عَرَفتِ الخلايا التي لا وعيَ لها طريقةَ تجهيزِ النُّطفةِ بشكلٍ يتناسبُ معَ جِسمِ الأُمِّ رغمَ جَهلِها بها تمامًا؟

كـيـف تعلمـتِ النُّطَفُ صُنعَ الـدِّرعِ والمُحَـرِّكِ والذيلِ حَسْـبَ حاجَةِ جِسـمِ الأُم؟ بـأيِّ عقلٍ تتركَّبُ هذه القِطَعُ بالترتيـبِ الصحيح؟ من أين تعلَمُ أنَّ النُّطَفَ ستحتاجُ إلى سكرِ الفركتوز؟ كيف تعلّمت صنعَ محرِّكٍ يعملُ بسكَّرِ الفركتوز؟

هناكَ جوابٌ واحدٌ فقط لكلِّ هذهِ الأسئلة:

النُّطَفُ والسـائلُ المرتَّبُ داخلَها خَلَقَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بشكلٍ خاصٍّ لاستمرارِ نَسْلِ الإنسـان. علَّقَ الدكتور البروفيسـور جواد بابونا الطبيب في كلية الطب في جامعة اسـتانبول، المختـصُّ بأمراضِ النسـاءِ والتوليـد، والوزيرُ السـابق على خصائصِ النطفـةِ بقولـه: «خلايا النطفةِ منتَجَةٌ في جِسـمِ الأب، أمَّا مُهِماتُها فلا تتحقَّقُ إلا في جِسـمِ الأم، ولا تملِـكُ أيُّ نُطفـةٍ منـذُ تاريخِ البشريـةِ العودةَ إلى جسـمِ الأبِ مرةً أخـرى بعدَ إنهاءِ مهمتِها في جِسـمِ الأمِّ لإخبارِ الخلايا المنتِجَـةِ لها عن مهمتِها وما فعلتْهُ وعنِ الأحداثِ التي واجهتها.



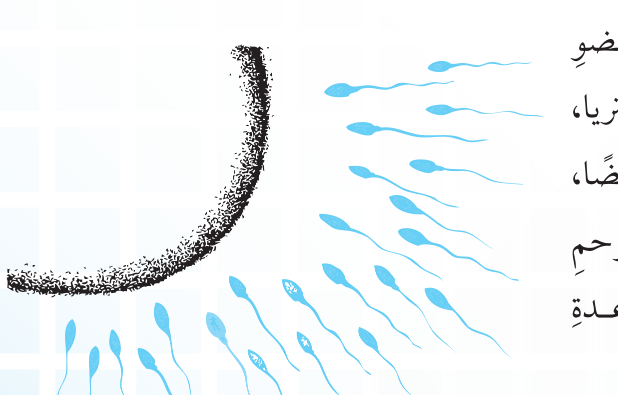
في تلـك الحالةِ، كيفَ تكونُ خليةُ النُّطفةِ ذاتَ بنيةٍ مختلفةٍ تمامًا عن آلافِ أنواعِ الخلايـا الموجـودةِ في بنيـةِ الأب، من أيـنَ تعرِفُ خليـةُ النُّطفةِ أن تذهـبَ بالحِملِ الوراثـيِ الـذي أخذته مـن الأبِ إلى بنيةٍ سـتُرزَقُ الحياةَ بعـدَ مُدَّةٍ بحمـلِ دِرعٍ في مقدمتِـه؟ من أينَ تعـرِفُ خليةُ النُّطفَةِ أنَّهُ يلزَمُها ثَقبُ ذلكَ الغشـاءِ الرقيقِ فتأخذُ معَها أسلحةً كيميائيةً مرتَّبَةً خلفَ الدِرعِ؟

كـما ترَون، لا يمكنُ أن تكونَ جميعُ عناصِرِ هذه الآلية، الحوادث التي تكلفت بهـا، والمُهـمات التي تقوم بها النطفـةُ مصادفةً، ولا يمكِنُ أن تكـونَ المعرفةُ جاءت عـن طريقِ التَّكرار. هذا دليلٌ واضحٌ عـلى أن اللهَ ألهمَها هذه المهمةَ وعلَّمَها كيفيةَ الإتيـانِ بها على أكملِ وجه. هـذا التصميمُ الخارِقُ في النطفةِ وَحـدَهُ مُعجِزَةُ خَلقٍ كبـيرةٌ، وهكذا يشـدُّ اللهُ تعـالى انتباهَنـا إلى خلقِ هذهِ النطفـةِ في آيةٍ قرآنيـةٍ بقولِه:

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الواقعة].

رحلة النطفة الشاقة:

يُرسَـلُ إلى رَحِـمِ الأمِّ في المرةِ الواحدةِ ما يقارِبُ المئتين وخمسـين مليونِ نُطفَة، حُدد هذا العددُ بهذِهِ الكَثرةِ بشكلٍ خاصّ؛ لأنَّ النطفَ تواجِهُ أخطارًا مميتَةً بمجردِ دخولِها إلى الرَّحِم.



فهناكَ خليطٌ حمضيٌّ كثيفٌ في العضوِ التناسـليِ للمرأةِ يمنَعُ وصولَ البكتريا، هذا الخليطُ قاتلٌ بالنسـبةِ للنطفِ أيضًا، فبعـدَ دقائـقَ عِـدَّةٍ يُغطى جـدارُ الرحم بملايـينِ النطـفِ الميتـة، وبعـدَ عـدةِ



ساعاتٍ يكونُ قسمٌ كبيرٌ منَ المئتين وخمسين مليون نطفةٍ ميتًا. الخليطُ الحمضيُّ هذا مهمٌّ جدًّا لِصحَّةِ الأمِّ وقويٌّ جِدًّا بحيثُ يستطيعُ قتلَ كلِّ النطفِ الداخلةِ إلى الرحِمِ بسهولة. في هذهِ الحالةِ، لن يتحققَ التلقيحُ أبدًا، وينتهي نسلُ الإنسان. لكنَّهُ أخذَ الاحتياطَ الضروريَ أيضًا، فأثناءَ إنتاجِ النُّطَفِ في جِسمِ الرجلِ يضافُ إلى السائِلِ المحتوي على النُّطَفِ الخليطُ الذي يحمِلُ خاصيةً قُلوية (Base)، هذا الخليطُ يزيلُ قِسمًا من تأثيرِ الخليطِ الحمضي في رحمِ الأم، وبفضلِ هذا الخليطِ تستطيعُ آلافُ النطفِ الوصولَ إلى مدخَلِ قناةِ فالوب مرورًا برحِمِ الأم.

ولقد لاحظ العلماء أن النطف جميعًا تتجه إلى جهة واحدة، إذًا كيف تجدُ الجهةَ الصحيحةَ هذه؟ من أينَ تعرِفُ مكانَ البويضة التي بحجم حبيبةِ المِلح؟.. تجدُ النطفةُ مكانَ البويضةِ لأنَّ نظامًا كاملًا آخرَ خُلِقَ وتدخَّلَ لأجلِها.

حيث ترسِلُ البويضةُ إشارةً كيميائيةً لتشُدَّ إليها النطفَ البعيدةَ عنها بما يقارب خمسةَ عشَرَ سنتيمترًا، فالنطفُ بفضلِ هذهِ الإشارةِ تتَّجِهُ نحوَ البويضة، باختصار... تدعو البويضةُ إليها النطفَ التي لا تعرِفُ عنها أيَّ شيء، ولم تقابِلها من قبلُ أبدًا، وتتراسلُ الخليتانِ الغريبتانِ اللتانِ لا تعرفانِ بعضَهما.

هذه الحقيقةُ دليلٌ آخرُ أيضًا على خلقِ البويضةِ والنطفةِ بتناسقٍ كبيرٍ معَ بعضِهما. اللقاء الكبير.

وفي النهايةِ، تستطيعُ مئاتُ فقط الوصولَ إلى البويضة، غيرَ أنه لم ينتهِ السباقُ حتى الآن، فلا تقبل البويضةُ إلا نطفةً واحدةً فقط، ولهذا يبدأُ سباقٌ جديد، هناكَ عائقانِ مهمانِ جدًّا أمامَ النطفِ: الطبقة الحامية التي تقتل جميع أنواع الجراثيم التي تحاول الاقتراب من البويضة، وقشرة البويضة المتينة التي يصعب ثقبها إلى حدٍّ كبير.

خلق في النطفة أنظمة خاصة لاجتياز هذين العائقين، فهناك الأسلحة المخفية التي خبأتها النطف تحت طرف الدرع الصلب إلى هذه اللحظة، إنها أكياس الإنزيم المذيبة والتي تسمى بالهيالورونيديز، هذه الأكياس ستثقب العائق الأول الذي على أطراف البويضة أي الطبقة الحامية، بإذابتها، فعندما تجتاز النطفة هذه الطبقة، وتتقدم في الطبقة يتآكل درعه شيئًا فشيئًا ثم يتفتت ويتبعثر، أما تفتت درعه هذا فهو جزء من الخطة المنفّذة الكاملة؛ لأنه بفضل هذا التفتت ستبدأ أكياس الإنزيم الثانية الموجودة داخل النطفة بالظهور. وهذا يؤمن اجتياز آخر عائق يواجه النطفة، أي: ثقب قشرة البويضة. هذه الحوادث التي تحققت دون أن يدركها الإنسان، وهذا التخطيط الدقيق لكل مرحلة من هذه المراحل دلائل واضحة على خلق الإنسان من قِبَلِ الله تعالى.

بالنتيجة نجد أن الذي قام بعملية تلقيح البويضة هو عبارة عن نطفة واحدة تمكنت من الوصول إلى البويضة وثقبت جدارها الخارجي، ولقد أشار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة إلى هذه الحقيقة بقوله: «**مَا مِنْ كُلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ خَلْقَ شَيْءٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْءٌ**» [رواه مسلم][١].

(1) Why Are 250 Million Sperm Cells Released During Sex?

«Every sperm is sacred. Every sperm is great. If a sperm is wasted, God gets quite irate, « goes the song from Monty Python's movie The Meaning of Life. If the lyrics strike you as funny, it's most likely because calling a sperm cell «sacred» sounds ridiculous when men can produce so many of them.

In fact, the average male will produce roughly 525 billion sperm cells over a lifetime and shed at least one billion of them per month. A healthy adult male can release between 40 million and 1.2 billion sperm cells in a single ejaculation.. In contrast, women are born with an average 2 million egg follicles، the reproductive structures that give rise to eggs. By puberty, a majority of those follicles close up and only about 450 will ever release mature eggs for fertilization.

العلــــق:

تقـوم نطفـة الرجل بالاتحـاد مع البويضـة، فتصبـح المعلومة الوراثيـة للنطفة والبويضـة إلى جانب بعضهـا بعضًا. وتتحقق واحدة من أكبر المعجزات على وجه الأرض؛ حيـث يتحقـق اختـلاط معلومتين وراثيتـين واجتماعهما لتكوين إنسـان جديـد، وتحقق اللقاء... ربما يكون تصديقه صعبًا، إلا أنه يوجد داخل هذه الخلية جميـع المعلومـات العائدة للإنسـان الذي لم يُولَـد بعد. عين الطفل الذي سـيولد، جلده، لون شـعره، وشـكل وجهه، وجميع الخصائص الفيزيائية له مشفّرة هنا.إلا أنه ليس مظهره الخارجي فقط؛ بل حُدد هيكله وأعضاؤه الداخلية جلده، عروقه، وحتى أشكال خلايا الدم التي تدور في عروقه إلى عددها العائدة للجنين إلى جميع التفاصيل. خصائص الإنسـان في السّن السابعة وحتى خصائصه في سِن السبعين كل الأشـياء وضحـت وكتبت داخل هـذه الخلية. تقوم الخلية بعـد التلقيح بمدة قصـيرة بتصرف آخر محيّر جدًّا، تنقسـم وتكوّن خليتين حديثتين، ثم تنقسـم هذه الخلايا مرة أخرى وتصبح أربعة، فقد بدأ الآن تكوين إنسان جديد. ولكن... لماذا تتخذ الخلية قرار الانقسـام هذا؟ لماذا تتكلف وتقوم بمهمة تكوين الإنسـان؟ مَنْ أعطـى الخليـةَ معلومـة هـذا التكوين؟ هذه الأسـئلة توصلنا إلى وجـود الله تعالى صاحـب العلم والقـدرة اللا متناهيتين، خالـق الخلية، والإنسـان الموجود داخل الخليـة، والعـالم الذي يوجد فيه الإنسـان وجميع الكون، خالقهـم من العدم. هذه البويضة الملقحة ليسـت إلا كتلة دائرية مكونة من الخلايا الشبيهة ببعضها، وليس

لها أي نتوء أو ممسك خاص يُؤَمِّنُ لها التعلق بمكان ما، فإذًا كيف تستطيع التمسك بجدار الرحم؟ وهذا أيضًا قد حُسب له حسابه.....عند وصول البويضة الملقحة إلى رحم الأم يتدخل نظام خاص آخر.

تُفرز الخلايا الموجودة في السطح الخارجي للبيضة الملقحة إنزيمات خاصة تُذِيب جدار الرحم، وبذلك تتمسك البيضة الملقحة بالرحم بشدة وتنجو من سقوطها خارج الرحم. وجود الخلايا على سطح البيضة الملقحة في المكان اللازم وإفرازه الإنزيم اللازم يُوَضح مرة أخرى كون خلقه بدون نقصان.بفضل هذه الخلقة الكاملة تنغرز البيضة الملقحة في جدار الرحم.

هذا المخلوق الجديد الذي يكبر بتمسكه بالرحم يُسَمَّى منذ الآن بالجنين. هذه الحقيقة التي اكتشفتها البيولوجيا الحديثة ذُكِرَت في القرآن الكريم، فعندما يذكر الله تعالى أول مرحلة للطفل في رحم الأم يستخدم كلمة العَلَق، قال تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ [العلق].

أما كلمة العلق بالعربية فيُقَالُ للشيء المتمسك بمكان والمتعلق به، وحتى أصل كلمة العلق يستخدم للتعريف عن بعض الطفيليات التي تلتصق بالجلد وتمصّ الدم من ذلك المكان.

استخدم البيان الإلهي كلمة العلق لتعريف البيضة الملقحة في رحم الأم في الوقت الذي كانت المعلومات البيولوجية للناس ضئيلة جدًّا.



التمايز (مرحلة المضغة):

تعيش في عالمنا الذي هو كوكب مليء بالحياة أنواع لا تُحصى من الكائنات وحيدات الخلية، جميعها تتكاثر عن طريق الانقسام وتكوّن نسخة عنها أثناء انقسامها. الجنين النامي في رحم الأم يبدأ الحياة بخلية واحدة تتكاثر هذه الخلية بنسخ نفسها كذلك. تنمو هذه الكتلة وتتمايز وتتخصص بالتدريج لتكون براعم الرأس والدماغ والقلب والأطراف والعظام، وَتُسمى هذه المرحلة علميًّا بـ «Embryo» وبالنظر إلى شكلها فهي تشبه قطعة لحم أو لبان ممضوغة، ولقد سَمَّاها القرآن الكريم بلفظ مُضْغَةٍ، قال تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ [المؤمنون:١٤]. وهنا لولا تدخل تنظيم خاص لَلَزِمَ من انقسام خلايا المولود ظهور كتلة لحم مؤلفة من خلايا متشابهة وليس إنسانًا. لكنه لا يحصل شيء كهذا؛ لأن الخلايا ليست عاطلة إلى هذا الحد، بل تبدأ النطفة والبويضة بعد الالتقاء بأسابيع بالتمايز عن بعضها بأمر خفي أُعْطِيَ لهم، إن هذا التغير يعتبره علماء الأجنة معجزة هائلة، فالخلايا التي لا وعي لها بدأت بإنشاء الأعضاء الداخلية والهيكل والدماغ.

ففي هذه المرحلة تبدأ خلايا الدماغ بالتكوُّن.....تنمو خلايا الدماغ ويزداد عددها بسرعة، وفي نهاية هذا الإنشاء يصبح الجنين هذا ١٠ مليارات من خلايا الدماغ. كُلُّ خلية جديدة تتصرف بمعرفة سابقة إلى أين ترجع، ومع أي الخلايا يجب أن ترتبط، كل خلية تجد مكانها بين احتمالات لا حصر لها، وترتبط مع الخلايا التي يجب أن ترتبط معها. يوجد في الدماغ ١٠٠ تريليون صلة وصلة لتستطيع الخلايا صنع تريليونات الوصلات هذه بالشكل الصحيح، يجب أن تملك عقلاً

يفوق عقل الإنسـان بكثير، غـير أنه ليس لهذه الخلايـا أي عقل. ليس فقط خلايا الدمـاغ، بل كل واحدة من الخلايا المتكاثرة بانقسـامها داخـل الجنين تقوم برحلة من أول مكان تكوّنت منه نحو النطفة التي يجب أن تتواجد فيها، وكل واحدة تجد المكانَ المخطط لها، وهنا تقوم بالارتباط بالخلايا التي يجب أن ترتبط معها. حسنًا.. هذه الخلايا التي ليس لها أي وعي.. فمن يتتبع هذه الخطة الذكية؟

يجيب الدكتور البرفيسور جواد بابونا على هذا السؤال بقوله:

«كيـف تقوم جميع هذه الخلايا المتشـابهة مع بعضها برحلة فجـأة وكأنها تَلَقَّتْ أمـرًا من مـكان واحد، وتذهب كلهـا إلى أماكن مختلفة تعمل عـلى تكوين أعضاء مختلفة؟ هذا يُبين بشكل واضح أن هذه الخلايا المتماثلة خلايا لا تعرف ما ستفعله، الخلايا متماثلة والـ«DNA» الوراثية كلها، تشكّل بعضها الدماغ، وبعضها القلب، وبعضها تشكل الأعضاء الأخرى.

إن الذي يُوَجِّهُهَا هو الله وَحْدَه خالق السماوات والأرض.

يَـدُومُ التكويـن في رَحِـمِ الأم، وتبـدأ بعـض الخلايـا المتغـيرة بالانقبـاض والانبساط فجأة. وبعد ذلك تجتمع مئات الآلاف من هذه الخلايا في مكان واحد، لِتكـوِّن القلـب..... هذا القلب سيسـتمر بالخفقـان طـوال العمر. بعض الخلايا المسـتقلة عن بعضها تتماسـك ببعضها، وَتُقِيمُ ارتباطات فيما بينها، وتشكل خلايا العروق. تـرى... مـن أيـن تعلمت هذه الخلايـا وجوب تكوين العـروق وكيفية القيام بهذا؟ هذه من الأسئلة التي لم يوجد لها جواب في الأوساط العلمية.

في النهايـة تصنـع خلايا العـروق نظامًـا أنبوبيًّا رائعًـا ليس عليـه أي ثقب أو شق. السـطح الداخلي للعروق أملس، وكأنه صنع بيد صانع ماهر. نظام العروق

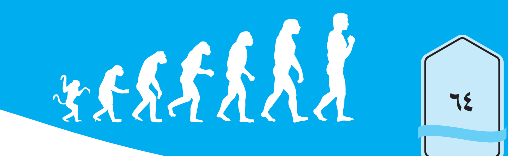
الرائع هذا سيبدأ بعد مدة بنقل الدم لجميع جسم الجنين، ويبلغ طول شبكة العروق كلها (٤٠٠٠٠ كم)، وهذه المسافة تساوي الطول الكامل لمحيط الأرض. يستمر النمو في بطن الأم دون توقف، وتصل أطراف الجنين في نهاية الأسبوع الخامس إلى حالٍ تشبه النتوء. هذا النتوء سيصبح يدًا بعد مدة، تبدأ بعض الخلايا بصنع الأيدي. إلا أنه يقوم قسم من الخلايا بعد مدة بعمل محير جدًّا: تقوم الآلاف من الخلايا بتضحية جماعية. ترى.. لماذا تقدم الخلايا أنفسها؟ هذه التضحية تخدم هدفًا مهمًّا جدًّا، أجسام الخلايا الميتة على خط معين ضروري لتكوين الأصابع، وتأكل الأخرى الخلايا الميتة وتتشكل في هذه المناطق الفراغات اللازمة بين الأصابع.

حسنًا.. لماذا تقوم آلاف الخلايا بتضحية كهذه؟ كيف تقوم الخلية بالتضحية بنفسها ليصبح الطفل المولود ذا أصابع في المستقبل؟ من أين عرفت الخلية أنها بهذه التضحية تخدم هدفًا كهذا؟ كل هذا يوضح مرة أخرى أن جميع الخلايا المكوّنة للإنسان موجّهة من قِبَلِ الله تعالى. وفي هذه الأثناء تبدأ بعض الخلايا بصنع الساق. لا تعرف الخلايا أن الجنين سيحتاج إلى المشي على الأرض، رغم ذلك تكوِّنُ الساق والأرجل. بعد أربعة أسابيع. تتكون حفرتان في جانبي رأس الجنين، أمر تصديقه صعب، لكن في هذين الحفرتين ستُنشأ العينان. يبدأ تشكل الأعين في الأسبوع السادس وتعمل الخلايا طوال الأشهر داخل خطة لا يستوعبها العقل وتكّون أقسام العين المختلفة بِتَتَابُعٍ رتيب. تصنع بعض الخلايا القرنية وبعضها الحدقة، وبعضها العدسة، تقف كل خلية عند وصولها إلى حد انتهاء القسم الذي يتوجب عليها صنعها، وتكون العين المكونة من ٤٠ طبقة مختلفة بشكلٍ كامل... وهكذا فالعين التي تُعَدُّ أفضل كاميرا في العالم تُخلق في بطن الأم من العَدَم، فقد



حُسب أن الإنسان الذي سوف يُولَد عندما يفتح عينيه سيقابل عالمًا ملونًا خُلقت العين من أجله، متناسبًا مع هذا العالم. وقد حسبت الأصوات التي سيسمعها، والأنغام التي سيستمع إليها أيضًا، والأذن التي ستسمع هذه الأصوات كذلك تنشأ في بطن الأم؛ حيث تُشكِّل الخلايا أفضلَ جهاز لَاقِطٍ للصوت على وجه الأرض. وهذا يذكرنا مرة أخرى أن السمع والبصر من النعم الكبيرة التي منحها الله تعالى للإنسان، بذلك يتفضل الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:٧٨].

لقد أذهلت الآيات القرآنية التي تتكلم عن خلق الإنسان والأحاديث النبوية الشريفة، العديد من جهابذة علماء العصر ومن بينهم البروفيسور كيث مور أستاذ علم الجينات في الجامعات الأمريكية، وصاحب أشهر كتاب عن الجنين في العالم. لقد قال مور: «لقد كان نبيكم إنسانًا بسيطًا و رجلًا أميًّا، وقد عاش و مات في القرن السابع الميلادي، أي في وقت لم يكن فيه لعلم الأجنة أساس و لا خبر، كما لم يكن هناك مجاهر على الإطلاق، ولم يكن علم البصريات قد ظهر إلى عالم الوجود بعد، فَمِنْ أين له بهذه المعلومات العلمية المذهلة؟ و كيف شاهد اندماج نطفة الذكر بنطفة الأنثى؟ وكيف عرف أن في نطاف الرجل نطف وأن في ماء المرأة نطفة؟ يذكر الله تعالى الناس كهؤلاء في القرآن الكريم بقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ



﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون][1].

كيف خُلقت الحياة؟

وهل خُلقتْ قبْل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ومِن أي مادة خلقت؟ وهل خُلقت خلقًا مباشرًا مثل ما بيَّنا في خلق الإنسان أم أنها وُجدت بالتطور كما يزعم الدراونة، وعلى رأسهم دارون في كتابه «أصل الأنواع»؟! وكما ذكرنا أنه لم يشهد أحدٌ مِن البشرية شيئًا مِن ذلك؛ فلا سبيل إلى التعرف على ذلك إلا مِن خلال الوحي -كتابًا وسنة-، ففي «صحيح مسلم» أن الحيوان والنبات وغيرها خلقت قبْل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي فَقَالَ: «**خَلَقَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ**». وخلق هذه الأشياء المذكورة وغيرها قبْل خلق الإنسان لا شك أن له حِكَمًا جليلة -علمها مَن علمها وجهلها مَن جهلها-، ولعل مِن هذه الحكم: أن الله عَزَّ وَجَلَّ لما خلق الإنسان لعبادته وحده لا شريك له، وكرَّمه على سائر مخلوقاته، وجعل الكون كله في خدمته، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠]، هيأ له الأرض وقدَّر فيها أقواتها وبث

(١) «الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان». د. محمد نبيل النشواتي.

فيها الدواب ليكون ذلك كله في خدمة الإنسان المكرَّم، حتى يؤدي الوظيفة التي مِن أجلها خُلِقَ وهي عبادة الله تعالى، وشأن الكريم أن يهيئ الإكرام لمَن يريد إكرامه قبْل قدومه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي كرَّم الإنسان هو أكرم الأكرمين، يقول في محكم كتابه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة:٢٩]. قال أهل التفسير: «خلقه للانتفاع والاعتبار والاختبار». ويقول الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية:١٣]، ويقول تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾[الرحمن:١٠]، فتهيئة الأرض للسكنى، وخلق هذه الأشياء قبْل خلق الإنسان هي مِن باب التكريم الذي خص الله تعالى به الإنسان؛ يُضاف إلى هذا أن هذه الأشياء كلها تسبِّح بحمد الله تعالى، فهي في نفسها عابدة لله، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء:٤٤].

أما عن مادة خلقه: فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور:٤٥]، وهو نص صريح في أن الله تعالى خلق جميع أنواع الدواب التي فصَّل في بيان بعضها، مِن الماء، لا مِن بعضها البعض، ولا مِن أصلٍ واحدٍ -كما يعتقده التطوريون!- وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ [الزخرف:١٢]، ولعله يكون نصًّا صريحًا كذلك في أن أنواع المخلوقات على الأرض قد خُلقت «أزواجًا» (بالخلق المباشر)، وليس تدرجًا مِن أصلٍ واحدٍ. ولذلك كان خلق الحيوان أيضًا خلقًا مباشرًا، ولكن زعم أتباع «دارون» أن الحيوانات جاءت عن طريق التطور!

كذلك يزعم أصحاب التطور الموجّه بأن الأنواع الحيوانية تشترك في أصلٍ واحدٍ، وتطورت عنه إلى أنواعها الموجودة! لكنهم ينكِرون أن يكون حدوث ذلك راجعًا إلى العشوائية والصدفة! زاعمين أن هذه حقيقة علمية ثابتة لا تقبل النقاش، وأن إنكارها يعد مخالفًا للمنهج العلمي! وهذا في الحقيقة سب وتنقص لحكمة الله -تعالى- وعلمه؛ ذلك أن خالقًا كان لا يخلق إلا خلقًا ناقصًا متخلفًا عن لوازم البقاء في الأرض والاستقرار النوعي، ثم «طوَّر» ذلك الخلق تدريجيًّا و«حسَّنه» بما يناسِب حتى يصلح للبقاء، وسبب ذلك أن هؤلاء استندوا إلى تأويل بدعي؛ لقوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت:٢٠]. فهم يعتقدون أن الآية تأمرهم بالتنقيب في الحفريات للبحث في الكيفية التي بها جَرَت أحداث الخلق الرباني للدواب وسائر المخلوقات الحية على الأرض.. لقد أدرك العلم الحديث شيئًا جزئيًّا من حياة الحيوان بالمخالطة والتتبع والاستقراء، وتأكد لدى الباحثين أن كل حيوان ينتمي إلى فصيلة معينة تجمع بين أفرادها خصائص واحدة وتربطها فيما بينهم نظم ثابتة، فهل من خالق غير الله؟ سبحان الله وتعالى. وبذلك نكون قد أجبنا باختصار على الأسئلة الثلاثة خلق الكون والإنسان والحياة. نجد مما سبق أن القرآن والسنة بَيَّنَا مرحلة خلق الكون وخلق الحياة وخلق الإنسان، بِمَا أبهر العقول وأذهل العلماء.



المنهج القويم في الرد على الملحدين



قـد أَوْدَعَ الله عَزَّوَجَلَّ في كتابـه الأدلةَ الفطرية والأدلة العقلية والحسـية التي تدل على وجوده دلالة واضحة جدًّا، ومن يخرج عن هذا الطريق لابد أن يَضِلَّ وسَيَقَعُ في تَخَبُّطٍ وحيرة شـديدة جدًّا. لذلك فـإن المنهج الصحيح والطريقة المؤثرة في الرد عـلى الملحديـن أن نبدأ بالأدلة الفطرية ثم العقلية والحسـية ثم نفنـد النظريات أو الفرضيات التي تبنوها.

دليل الفطرة:

الفطـرة لغـة: من فطر الشيء يفطـره فطرًا فانفطر وفطره: أي شـقه. وتفطر: تشـقق. فالفطر: الشـق، وجمعه فطور، ومنه فطر ناب البعير، إذا طلع، وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار:١] أي انشقت، وفي الحديث عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: «أن النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ...» وفطر الله الخلـق، يفطرهـم: خلقهم وبدأهـم. فالفطر أيضًا: الابتداء والاختراع، كما قال تعـالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، أي خالقهما ومبتدئهما، وكما قال ابن عبـاس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: كنـت لا أدري ما فاطر السـماوات والأرض حتى أتـاني أعرابيان يختصـمان في بئـر فقـال أحدهمـا: أنا فطرتهـا، أنـا بدأتهـا.. والفطرة أيضًـا الخلقة، بالكسر، أنشد ثعلب:

هـون عـلـيـك! فـقـد نـال الـغـنـى رجـل   فـي فـطـرة الـكـلـب لا بـالـديـن والـحـسـب

أي في خلقة الكلب. فأصل كلمة «فطر» يرجع إلى التشقق، الابتداء، والخلق، والمعنيان الأخيران «الابتداء والخلق» يناسبان المعنى الاصطلاحي.



الفطـرة اصطلاحًـا: وردت لفظـة الفطـرة مصـدرًا في القـرآن الكريم في آية واحـدة هـي قولـه تعـالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:٣٠]. أمـا السـنة: فقد ورد لفـظ الفطرة مصـدرًا في أحاديث كثيرة، أشهرها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كلُّ مولودٍ يولـدُ علـى الفطرة، فأبواه يهوِّدَانه، أو ينصِّرَانه، أو يمجِّسَـانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء؟**» [متفق عليه].

وفي روايـة قـال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في آخر الحديث: «اقرءوا إن شـئتم: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:٣٠]».

وقد اختلف العلماء في المعني المراد من الفطرة التي وردت في آية الروم، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على مذاهب، أشهرها وأصحها عند عامة أهل العلم بالتأويل، أنها الإسـلام. ومما يدل أيضًا على أن المراد بالفطرة الإسـلام مـا رواه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ أن حذيفـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَأَى رَجُلًا لَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّـجُودَ، قَالَ: «مَـا صَلَّيْتَ وَلَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَى غَيْرِ الفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا» [رواه البخاري].

تحقيق المراد من قوله لا تبديل لخلق الله[1]:

قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تفسير شـيخ المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ لقولـه تعـالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ يقـول: لا تغيير لدين الله أي لا يصلح ذلـك ولا ينبغي أن يفعل ثم ذكر بإسـناده الصحيح عن ابـن أبي نجيح عن مجاهد قـال: «لا تبديل لخلق الله» قال: لديـن الله وروي عن عبد الله بن إدريس عن ليث قـال: أرسـل مجاهد رجلًا يقال له قاسـم إلى عكرمة يسـأله عن قـول: ﴿لَا تَبْدِيلَ

(١) «فطرية الدين» د. محمد إسماعيل المقدم.

﴿لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾ فقال عكرمة: هو الخصاء فرجع إلى مجاهد فقال: أخطأ لا تبديل لخلق الله إنما هو الدين ثم قرأ: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ وروي عن وكيع عن نصر بن عربي عن عكرمة: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾: (لدين الله). وروي أيضًا عن حسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة: فطرة الله التي فطر الناس عليها قال: الإسلام. وكذلك روي عن وكيع عن سفيان الثوري عن ليث عن مجاهد قال: (لدين الله). وروي عن سعيد عن قتادة: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾: أي لدين الله وكذلك روي عن ابن عيينة عن حميد الأعرج قال: قال سعيد بن جبير: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾ قال: (لدين الله)، وكذلك عن المحاربي عن جويبر عن الضحاك في قوله: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾ قال: (دين الله)، وكذلك عن وكيع عن سفيان الثوري ومسعر عن قيس بن مسلم عن إبراهيم النخعي: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾ قال: دين الله، وكذلك عن مغيرة عن إبراهيم قال: لدين الله، وعن عمرو ابن أبي سلمة سألت عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن قوله تعالى: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾ قال: (لدين الله)، وروي أيضًا عن ابن عباس أنه سُئل عن إخصاء البهائم فكرهه وقال: لا تبديل لخلق الله وعن حميد الأعرج قال: قال عكرمة: الإخصاء، وعن حفص بن غياث عن ليث عن مجاهد قال: الإخصاء قلت (ابن تيمية): مجاهد وعكرمة: روي عنهما القولان؛ إذ لا منافاة بينهما كما قال تعالى: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١١٩]. فتغيير ما خلق الله عليه عباده من الدين تغيير لخلقه، والخصاء وقطع الأذن أيضًا تغيير لخلقه ولهذا شبه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أحدهما بالآخر في قوله: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل

تحسـون فيها من جدعاء؟ فأولئك يغيرون الدين وهؤلاء يغيرون الصورة بالجدع والخصاء هذا تغيير لما خلقت عليه نفسه، وهذا تغيير ما خلق عليه بدنه.

الفرق بين تبديل الفطرة وتغييرها[1]:

قال شـيـخ الإسـلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما احتجاج إسـحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقول أبي هريرة: اقرءوا إن شـئتم: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا ﴾ [الروم:٣٠] قـال إسـحاق: نقول: لا تبديل للخلقـة التي جبل عليها فهذه الآية فيها قولان: أحدهما: أن معناها النهي كما تقدم عن ابن جرير أنه فسرها بالنهـي أي: لا تبدلـوا ديـن الله الذي فطر عليـه عباده، وهذا قـول غير واحد من المفسرين الذين لم يذكروا غيرهم كالثعلبي والزمخشري.

والثانـي: مـا قاله إسـحاق: وهو أنه خـبر على ظاهرها وأن خلـق الله لا يبدله أحـد، وظاهـر اللفظ أنه خبر فلا يجعل نهيًا بغير حجة وهذا أصح، وحينئذٍ فيقال: المـراد مـا خلقهم عليه من الفطرة لا تبدل فلا يخلقون عـلى غير الفطرة لا يقع هذا قط، والمعنى أن الخلق لا يتبدل فيخلقون على غير الفطرة، ولم يرد بذلك أن الفطرة لا تتغـير بعـد الخلق بل نفس الحديث يبـين أنها تتغير، ولهذا شـبهها بالبهيمة التي تولـد جمعـاء ثم تجدع، ولا تولد بهيمة قط مخصيـة ولا مجدوعة، وقد قال تعالى عن الشيطان: ﴿ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ ﴾ فالله أقدر الخلق على أن يغيروا ما خلقهم عليه بقدرته ومشـيئته، وأما تبديل الخلـق بأن يخلقوا على غير تلك الفطرة فهذا لا يقدر عليها إلا الله والله لا يفعله كما قال: ﴿ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ ﴾ ولم يقل: لا تغيـير فإن تبديل الـشيء يكون بذهابه وحصول بدله فـلا يكون خلق بدل هذا

---

(١) «فطرية الدين» د. محمد إسماعيل المقدم.

الخلق، ولكن إذا غير بعد وجوده لم يكن الخلق الموجود عند الولادة قد حصل بدله، وأما قول القائل: لا تبديل للخلقة التي جبل عليه ولد آدم كلهم من كفر وإيمان فإن عنى بها أن ما سبق به القدر من الكفر والإيمان لا يقع خلافه فهذا حق، ولكن ذلك لا يقتضي أن تبديل الكفر بالإيمان وبالعكس ممتنع ولا أنه غير مقدور بل العبد قادر على ما أمره الله به من الإيمان وعلى ترك ما نهاه عنه من الكفر وعلى أن يبدل حسناته بالسيئات بالتوبة كما قال تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل]، و﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان:٧٠]. يقول ابن تيمية: وهذا التبديل كله هو بقضاء الله وقدره وهذا بخلاف ما فطروا عليه حين الولادة فإن ذاك خلق الله الذي لا يقدر على تبديله غيره وهو سبحانه لا يبدله قط بخلاف تبديل الكفر بالإيمان وبالعكس فإنه يبدله دائمًا والعبد قادر على تبديله بإقدار الله له على ذلك،ومما يبين ذلك أنه قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:٣٠] فهذه فطرة محمودة أمر الله بها نبيه فكيف يكون فيها كفر وإيمان مع أمر الله تعالى بها؟ وهل يأمر الله تعالى قط بالكفر؟ الإسلام دين الفطرة، وكل مسألة من مسائله يوجد في الفطرة ما يؤيدها، ويشهد لصحتها.

✍ **يقول الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه «الدين»**: فعامة شرائع الإسلام تساير الفطرة البشرية السوية، وتلبي أشواقها وتشبع احتياجات كل من الجسد والروح في توازن وانسجام بغير إفراط ولا تفريط على أساس مبدأ «فأعط كل ذي حقٍّ حَقَّهُ»، وعلى هذا فتزخر قصص المهتدين إلى الإسلام العائدين إلى فطرتهم التي فطرهم الله عليها، بالكم الغفير من الإقرار بحقيقة الفطرة، ولطالما عبروا عن هذه الحقيقة بألفاظ متباينة متعددة لكنها كلها تلقى في المعنى نفسه.

شهادة الواقع على حقيقة الفطرة[(١)]:

يقول المفكر الإنجليزي أبو بكر سراج الدين (مارتن لنجز سابقًا) خاض بحار البحث في الديانات المنتشرة في العالم، حتى استوقفه دين الإسلام، فوجده يتفق مع فطرة الإنسان، وذكر أنه وجد فيه ذاته، وشعر أنه إنسان لأول مرة! ثم قال في عقيدة المؤمن: شاء الله أن أكون مسلمًا، وعندما يشاء الله فلا رادَّ لقضائه، وهذا هو سبب إسلامي أولًا وقبل كل شيء.

وقالت الكاتبة والشاعرة الأمريكية «إيفلين كوبلد»: يغلب على ظني أنني مسلمة منذ نشأتي الأولى، فالإسلام دين الطبيعة الذي يتقبله المرء فيما لو تُرك لنفسه.

ويقول هندوسي أسلم كذلك: إن أول شيء جذبني إلى الإسلام هو البساطة والوضوح، إن العديد من الديانات تتسم بالغموض والطقوس الغريبة التي لا تتمشى مع الفطرة السليمة التي فطر الله الإنسان عليها.

أما الفتى الأمريكي ألكساندر فريتز، قررت والدته أن يتركه ليختار دينه بنفسه بعيدًا عن تأثيرات عائلية أو اجتماعية، فأحضرت له مجموعة كتب في الأديان السماوية. وبعد قراءتها قرر أن يُسلم، بدون أن يلتقي بمسلم واحد، وتعلم الصلاة بنفسه، وحفظ بعض السور، وتعلم الأذان، وقرر أن يكون اسمه «محمد عبد الله» تيمنًا باسم رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وعندما سُئل عن سبب إسلامه قال: لا أدري، كل ما أعرفه أنني قرأت عن الإسلام، وكلما زادت قراءتي ازددت له حبًّا.

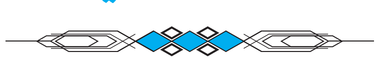
---

(١) «فطرية الدين» د. محمد إسماعيل المقدم.

وقال عامر علي داود: «.. بفضل دراستي الحرّة البعيدة عن كل تعصّب مقيت، أصبح إيماني بهذا الدين [الإسلام] قويًّا راسخًا، لقد آمنت برسالة القرآن، وأحسست أن الإسلام هو دين الفطرة والكمال، أنزله الله على قلب آخر الأنبياء، وخاتمهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لقد اكتشفت أن الإسلام يخاطب الناس مباشرة، ودون أية واسطة من أي نوع، من أجل ذلك، كان هذا الدين متمشّيًا مع الفطرة البشرية.

ويقول (بنوا): «اتضح لي أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتمشى مع الفطرة الإنسانية». وهو أعلى الأدلة التي يجب أن نتكلم بها ونبرزها إبرازًا كبيرًا؛ لأن الفطرة موجودة داخل كل إنسان، تدله على وجود الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهذا من أعظم الأدلة الموجودة؛ لأن كل الناس خلقهم الله تعالى على هذه الفطرة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:٣٠] وقد ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث القدسي، قال تعالى: «**إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ** -أي: أخرجتهم عن دينهم- **وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا**» [رواه مسلم] كل الناس خلقهم الله على هذه الفطرة على هذه الحنيفية السمحة.. ولكن صار مآلهم بعد ذلك بعد البلوغ أن صار منهم كفار ومنهم مؤمنون، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن:٢] صار بعد ذلك في المآل، لكن الخليقة كلها خلقت على هذه الفطرة؛ لذلك يجب أن نبرزَ دليلَ الفطرة جدًّا، وهذا أول أمر يجب أن نردَّ به على الملحدين، ثم الأمر الثاني الذي يَتْبَعُه بعد ذلك الأدلة العقلية.

الأدلـة العقليـة



مكانة العقل في الإسلام:

إن مما ميز الله به الإنسـان عن سائر المخلوقات أن أعطاه عقلًا يدرك به الأمور ويصل من خلاله إلى التمييز بين الأشياء صحيحها وسقيمها وحسنها وسيئها، وبما أن العقل آلة إدراك كبقية الآلات عند الإنسـان، كالسـمع آلة لإدراك المسموعات ولها حدود إذا كلف بتخطيها تعطلت هذه الآلة كأن كُلف بأن يسمع بهذه الحاسة مـا يجري ويدور على بعد عدة كيلو مـترات، فإن هذا لا يمكن وقوعه وتقف هذه الحاسـة عنـد حدودها،كذلك العقل له حـدود لا يتخطاها، كلـما كان داخل هذه الحدود وجب عليه إعمال هذه الألة وعدم إهمالها، وكلما خرج عن نطاقها لا يمكنه اسـتعمالها، وعند التأمل تجد أن دين الإسـلام ضبط العلاقة بين العقل والشرع بل حَـثَّ وأمر ووجه لهـذا من خلال آيات كثـيرة، أعلى فيها من قيمـة العقل، كقوله تعـالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤]، وقوله: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠]، وقوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:٣٠]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ [النساء:٨٢]. فأَمَر بالتعقل والتذكر والتفكر والتدبر، وهذا كله خاصيته العقل، كذلك كرم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العقـل وجعلـه منـاط التكليـف حيث قـال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رُفِـعَ الْقَلَـمُ عَـنْ ثَلَاثَة** –ومنهـم– **عَنْ الْمَجْنُون حَتَّى يعقل**» [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني]، وذم الله المقلدين لآبائهـم، وذلك حـين ألغوا عقولهم وتنكروا لأحكامهـا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠].

وحرم الإسلام الاعتداء على العقل فحرم المسكر والمفتر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة:٩٠]، وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهَى عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ» [رواه النسائي، وصححه الألباني]، وعند النظر في الكون الفسيح والشرع الحنيف تجد أشياء فوق إدراك العقل لا يستطيع أن يدركها وحده كالغيبيات لهذا جاء الشرع ليدل العقل كيف يتعامل معها، وهذا ليس غريبًا فهذا يحدث لنا في حياتنا مرارًا فإن الناس يؤمنون بأمور لا تدركها حواسهم ولا تحيط بها عقولهم، ومع ذلك يسلمون بها كحقائق يقينية مع أنها فوق إدراك الحواس، فعلى سبيل المثال الجاذبية الأرضية تقبلها العقول وإن كانت لا تستطيع معرفة حقيقتها، والكهرباء عبارة عن انتقال الإلكترونات من القطب السالب للموجب لكن تعجز العقول عن معرفة كُنه ذلك، لذلك نقول العلاقة بين الدين والعقل علاقة تكاملية وليست تصادمية، فهناك أمور لا تدرك إلا بالعقل مع مكنون الفطرة في الإنسان كإثبات وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للمشرك، وهناك أمور للدين لا يتدخل بها العقل كالأوامر والنواهي في الدين مع السماح للعقل بالتفكر بعلّة الحكم ، و هناك أمور مشتركة بين الطرفين كإثبات يوم القيامة والقبر عذابه ونعيمه، وسائر الغيبيات فيمكن أن يشتركا بإثبات هذه المسائل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلًّا بذلك، بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه

لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمورًا حيوانية قد يكون فيها محبة ووجد وذوق كما قد يحصل للبهيمة، فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه، لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقًّا وهي باطل وعارضوا بها النبوات وما جاءت به، والمعرضون عنه صدقوا بأشياء باطلة ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم»[١].

✍ **وقال الدكتور عيسى عبده**: «إن الإسلام لا يفرض على القوة العاقلة في الإنسان حالة من الجمود والتعطيل، بل على العكس من ذلك، إنه يدعو إلى إعمال العقل حيث ينبغي له أن يعمل، ومجاله واسع في هذا الوجود المشهود في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، وفيما خلق الله من شيء، أما أن يتطاول العقل ليحكم على القواعد الآمرة والناهية التي تحكم السلوك، أو يحاول أن يجيء من عنده بأسس نظرية يقيم عليها الحكم المعين، فإذا انهارت هذه الأسس بقي الحكم معلقًا حتى يصل العقل إلى غيرها، نقول أما هذا الذي يطيب لبعض الباحثين فهو عندنا إثم كبير، لذلك نقول لا يمكن للدين والعقل أن يتعارضا فالعقل ركبه الله فينا والدين شرعه على لسان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالمصدر واحد فأنى يقع التعارض، ومن ظن غير ذلك فقد ظن عجزًا، فإن الله تعالى أمرنا أن ننظرَ ونتفكر بعقولنا، فيما يدلُّ على وجوده تَبَارَكَ وَتَعَالَى. لَاحِظ أن هناك إجماعًا من كل

---

(١) «مجموع الفتاوى» (ج٣).

الطوائف الكافرة على مستوى الدنيا على الإقرار بوجود إله، ولكنهم اختلفوا في صفات هذا الإله وعلاقته بالكون والحياة والإنسان، والشاهد أن هناك عاملًا مشتركًا بينهم جميعًا، هندوس، دروز، بهرة، عبدة فئران وجرزان، وغير ذلك، فقد اعترفوا بوجود إله، وإن كانت جميعها آلهة باطلة، ولذلك قالت الرسل لأقوامها: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ [إبراهيم:١٠] أي لا يوجد شك في وجوده تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لكن هذا هو الشاهد بخلاف هذه الثلة الشاذة التي تُنْكِرُ وجود إله. إن الدلالة العقلية في الاستدلال بقضية الخلق على وجود الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذا الذي خاطب به الله عَزَّوَجَلَّ الكفار حتى يثبت هذا الأمر.

لما سمع جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور:٣٥] قال: كاد قلبي أن يطير. يقول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾ أي من غيرِ ربٍّ، هذه الآية لما سَمِعَها جبير بن مطعم قال: كاد قلبي أن يطير، لماذا؟ للدلالة العجيبة الموجودة فيها، أم خلقوا من غير رب أم هم الخالقون! هم خُلقوا أم خلقوا أنفسهم، لو قال الإنسان أنه خلق نفسه فأين كان من مائة سنة؟! وأين كان أبوه و جده و جد جده، أين كانوا من ثلاثمائة أو أربعمائة سنة، وستظل هذه السلسلة إلى أن يصل إلى أن هناك خالقًا موجدًا لهذا الخلق، فلذلك قال جبير بن مطعم لما سمع هذه الآية: كاد قلبي أن يطير! جاء الاستدلال أشد ﴿ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور:٣٦]، إذا كانوا عاجزين عن خلق أنفسهم، فالعجز عن خلق السماوات والأرض التي هي أكبر من خلق الإنسان أشد ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر:٥٧] فنفى عنهم علم ذلك؛ لأن الله لم يشهد الناس خلق السماوات والأرض،

قال تعالى: ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [الكهف:٥١].. فَلِمَ يشهدنا الله تعالى على خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسنا، فكيف نعرف ذلك؟ لن نعرف ذلك إلا عن طريق الخالق الذي خلقنا. فكان الإعجاز الأشد: ﴿ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور:٣٦].. فمن لم يُوقِن بهذا فلا سبيل إلى إيقانه! حتى إن العلماء حينما كانوا يستدلون على وجود الخالق ويُسألون عن ذلك، كانت الإجابة سهلة يسيرة عن طريق أمر عقلي يدلُّ على وجود خالق: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [العنكبوت:٢٠].

ومنها قصة الأعرابي الذي سُئِلَ عن وجود الخالق، كان الرد العقلي واضحًا جدًّا، قال: سبحان الله! إن البعر يدل على البعير، وإن الأثر لَيَدُلُّ على المسير، فأرض ذات فِجاج، وبحار ذات أمواج، وسماء ذات أبراج، ألا يدلُّ ذلك على وجود اللطيف الخبير»[(١)]، فاستدلَّ على وجود الله بآثار خلقه، هذه الأمور كيف وجدت بهذه الدقة وهذا النظام! بحار ذات أمواج، سماء ذات أبراج، أثر يدل على مسير، طالما يوجد أثر إذن هناك مَنْ مَشَى، وطالما أن هناك بعرًا إذَنْ هناك بعير، وطالما أن هناك خلقًا إذَنْ هناك خالق، فتلك قضية محسومة. والأئمة جميعًا كأبي حنيفة والشافعي وأحمد جميعهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ استدلوا بما خلق الله تعالى على وجوده تَبَارَكَ وَتَعَالَى بآثار محسوسة.

وقد سُئِلَ الشافعي[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ عن وجود الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فقال: هذا ورق التوت، طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم (الحرير)، وتأكله النحل

(١) «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول».
(٢) المصدر السابق.

فيخرج منه العسل، وتأكله الشاء والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا، وتأكله الظباء فيخرج منه المسك، وهو شيء واحد.

وسُئِلَ الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ذلك، فقال: ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إِذِ انْصَدَعَ جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح، يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الديك. فالإمام أحمد كان يستدل بالبيضة، بيضة صماء شكلها من الخارج أبيض، ومن الداخل أصفر، يخرج منها بعد عدة أسابيع أو أيام مخلوق صغير، كيف خرج هذا المخلوق إلا بتدبير من الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فاستدل بوجود البيضة التي يخرج منها الكتكوت على وجود الله تعالى. كذلك، كيف يخرج الحرير، ومن الذي علم أن هذا يخرج حريرًا، وهذا يخرج بعرًا؟[(١)] هذا كله يدلُّ على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لما ظهر هؤلاء القوم في عصر الإمام أبي حنيفة وقالوا بعدم وجود خالق للكون ولا للأنفس، اسْتَدَل باستدلال جعلهم يُقِرُّونَ أمامه بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، سألوه عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: دعوني، فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه، ذكروا إليَّ أن سفينة في البحر موقرة، فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحد يحرسها أو يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها، وتخترق الأمواج العظام حتى تخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها دون أن يسوقها أحد، فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل، فقال: ويحكم! هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع؟ فبُهِتَ القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه[(٢)].

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر السابق.

وذُكِـر في هـذا الزمان أن رجـلًا جادل أبا حنيفة فقال: أنـت متعجب من أنني أنكـر وجود خالـق وأنتم تُعَظِّمُونَه هـذا التعظيم، وأنا أسـتطيع أن أخلق مثله كما تزعمـون أنـه خالـق، قال له: كيف ذلـك؟ قال لـه: تَعَالَ معي، وأخـذ قطعةَ لحم ووضعهـا في قطعـة قـماش ثـم فتح ثقبًـا في شـجرة، ثم وضـع فيها قطعـة اللحم الملفوف بالقماش في هذا الثقب وَسَـدَّهُ، وقال له: نلتقي بعد عدة أسابيع وَسَأُرِيكَ ما خلقته، فَذَهَبَا وبعد عدة أسابيع فتح الثقب فوجد اللحم قد تعفن، والعفن هذا تجمع عليه الدود، فقال: أنا خلقتُ هذا الخلق، فالمسـلم لم يجادل معه كثيرًا وانتقل من حجة إلى حجة، فقال: إن الخالق يعرف صفات خلقه وعدد خلقه، وَمَن منهم ذكر ومَن أنثى، وَمَنْ سَـيَمُوتُ قبل مَن، ومن سيبعثه بعد مَن، فهل تعلم عدد هذا الـدود الذي تزعم أنـك خلقته، هل تعلم من منه ذكر وَمَـن أنثى؟ قال: لا أعلم! قال: هل تعلم مَنْ مات منه الآن وَمَنْ لم يَمُت؟ قال: لا! قال: هل تعلم أسماءهم؟ ولم يُجِبْ على أي سـؤال، فقال: كيف تزعم أنك خلقت هذا الخلق؟! استدلالات يسـيرة جدًّا من خلال الأمور الحِسـية على وجود الخالـق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾. قال قتادة: مَنْ تَفَكَّرَ في خَلْقِ نفسـه عَلِمَ أنه إنما لُيِّنَتْ مفاصله للعبادة، وكذا ما في ابتداء الإنسـان مـن الآيـات العظيمة؛ إذ كان نطفـة ثم علقة ثـم مُضْغَةً ثم عظامًـا إلى أن نفخ فيه الـروح، وقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:٥٣] والآيـات في هذا الباب العظيم من الاستدلال بالمخلوقات على وجود خالقها وقدرته وعظمته أكثرمِن أَنْ تُحصى وَأَجَلُّ من أن تستقصى، كذلك من آمن من المستشرقين الملحدين كانت هذه الأدلة والتفكر فيها سببًا من أسباب إسلامهم،

دور العلم في إثبات وجود الإله:

يزعم الملحدون أنهم لا يتكلمون إلا بدليل علمي حتى يُلبس حديثه ثوب المهابة ويُنظر إليه نظرة الإكبار، ولذلك عندما تتحدث مع أحدهم على الأدلة المتضافرة على وجود الله تعالى، يفاجئك بسؤال، وكأنه لم ينظر إلى كلامك فيقول، ما هو دليلكم على إثبات وجود الإله! هكذا يسأل سؤالًا مطلقًا، والسؤال بهذه الطريقة يدلُّ على أن السائل مخادع ومراوغ، أو أنه جاهل؛ لأن الأدلة مراتب فإن كان لا يعلم ذلك فهذا جهل عظيم، وإن كان لا يجهل فهو مخادع مراوغ.. إذن فما هي مراتب الأدلة؟

مراتب الأدلة أربعة:

١- الدليل الرياضي: وهو من أقوى الأدلة بعد دليل الفطرة، لكن الملحد لا يقر بدليل الفطرة، والدليل الرياضي من أقوي الأدلة؛ لأنه مبني على الأسس العقلية الثابتة ذاتيًّا مثل (الاثنين أكبر من الواحد). لا يرتبط اعتقادنا فيه بالتجربة والإحساس. بل إننا لسنا مستعدين للاستماع إلى أي شاهد عكسي ولن نصدق لو قيل لنا إن الواحد أكبر من الاثنين.

٢- الدليل العقلي: يليه في القوة وأخذ قوته؛ لأن العقل هو الأساس الحاكم الذي تبنى عليه كل العلوم فهو بمثابة البرهان. فالدليل العقلي هو الدليل الذي يعتمد لإثبات واقع موضوعي في العالم الخارجي على معلومات عقلية، وهذا لا يعني بالضرورة أن الدليل العقلي لا يعتمد على معلومات حسية أو استقرائية. وإنما يعني أنه لا يكتفي به بل يعتمد إلى جانب هذا أو بصورة مستقلة عن ذلك على معلومات عقلية أخرى في إطار الاستدلال على القضية التي يريد إثباتها.

٣- الدليل الحسي: وهو من مسماه مبني على الحواس الخمس: السمع - البصر - الشم - اللمس - التذوق. وضعف هذا الدليل؛ لأنه محدود ويسهل خداعه كظاهرة السراب والخداع البصري، فهو عرضة للصواب والخطأ، أما العقل فهو الذي يصوبه ويعيده إلى رشده.

٤- الدليل العلمي التجريبي: هو الدليل الذي يستعمل في مجال العلوم الطبيعية، ويعتمد على المعلومات التي يمكن إثباتها بالحس أو الاستقراء العلمي إضافة إلى مبادئ الدليل الرياضي، مع التنبه إلى أن هناك علومًا كثيرة لا مجال للتجرِبة فيها، أو تندر التجرِبة فيها، فأين التجرِبة في علم اللغة والأدب؟ وأين التجرِبة في علم التاريخ؟ وأين التجرِبة في علم المنطق؟ هذا يحتاج إلى وثائق وآثار. عند التأمل في هذه المراتب من الأدلة يتبين أن سؤال الملحد عن دليل وجود الإله يقصد به الدليل العلمي التجريبي، والسؤال الآن هل يستطيع العلم التجريبي أن يجيب على هذا السؤال، هذا ما سيجيب عليه أئمة الملحدين أنفسهم.

✍ **يقول بيتر مدور ـ الحائز على جائزة نوبل في الطب ـ يقول في كتابه «نصيحة لعالم صغير»**: «لا شك أن للعلم حدودًا لا يستطيع تجاوزها، فالعلم لا يستطيع الإجابة على الأسئلة البدهية التي يطرحها علينا أطفالنا.كيف بدأ هذا الوجود؟ كيف جئنا إلى هنا؟ ما الغرض من حياتنا؟، وغيرها كثير».

✍ **فرانسيس كولنز (عالم جينات) -رئيس أكبر مشروع بيولوجي، ويسمى** ***(Human genome project)*** **- يقول**: «لماذا نحن جميعًا هنا؟ لماذا لا يوجد شيء من لا شيء؟ هل هناك إله؟. أليس من الواضح أن هذه الأسئلة، أسئلة علمية والعلم ليس لديه الكثير ليدلي به في هذا الخصوص».

✍ (**برتراند راسل**) **يقول في مقدمة كتابه** (**تاريخ الفلسفة الغربية**): «إن أكثر الأسئلة أهمية وإثارة للعقول النيرة تقع خارج دائرة العلم».

✍ **لورانس كراوس** (**بروفيسير ملحد**) **يقول**: «لا أستطيع أن أثبت أن الله غير موجود، مما سبق يتبين أن العلم التجريبي لا يمكن وحده أن ينفي وجود الخالق أو يثبت وجوده؛ لأن العلم التجريبي علم مادي ليس له القدرة أن يبحث عن ذات الإله ولا عن صفاته؛ لأن الله خارج الوجود المادي، فلا يمكن تطبيق معايير العلم التجريبي عليه.

وهذا الذي حدا بإمام ملاحدة العصر ريتشارد دوكينز أن يقول: «إن العلم التجريبي لا يستطيع أن يجيب على كل الأسئلة»، وهو يريد بخبث طوية أن يقول: إذا كان العلم كذلك فمن باب أولى الدين، ولكن هيهات فإن ذلك الأمر لا يثبت ولا يستطيع أحد معرفته إلا عن طريق الوحي. ومن هنا نخلص إلى أن إثبات وجود الله تعالى لا مجال للدليل العلمي التجريبي فيها، بل ذلك مجاله الفطرة ثم العقل والحس.

حرب الملحدين على الدين:

ذكرنا أن فكرة الإلحاد تقوم أساسًا على هدم فكرة الإله والدين عمومًا، وبناءً على ذلك؛ أصبحوا في حيرة من أمرهم كيف يجيبون على الأسئلة الفطرية في قلب كل إنسان خلقه الله تعالى، مَن الذي خلق هذا الكون؟ وإلى أين يكون المصير؟ وكيف وُجِدْنا في هذه الحياة؟ فإذن؛ هذه القضايا الثلاث هي التي جعلت الملاحدة يبثون أفكارهم لهدم الأديان عمومًا ودين المسلمين خصوصًا. نؤكد أن قضية خلق الكون والحياة والإنسان هذه القضايا الثلاث لا مجال لإعمال العقل

فيهـا إلا مـن خـلال الوحـي؛ لأن الله قـال: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الكهف:٥١]، فـالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لم يُشْـهِدْنَا عـلى خلـق السـماوات والأرض ولا خلـق أنفسـنا، فكيـف نعـرف ذلك إلا من خـلال الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فـلا مجـال لمعرفة هذا الأمـر ودقائقه إلا من خلال وحـي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كيف خلق الله الكـون؟ وكيـف خلق الله الحيـاة؟ وكيف خلق الله الإنسـان؟ لا يُدِينون بدين الإسلام أصبحت عندهم حيرة شديدة جدًّا في التفسيرات المتناثرة عندهم لكيفية خلق الكون والحياة والإنسـان، فأصبحوا يبحثـون عن الأمور العلمية التي تفسر هـذه القضايا، فَمَن قال منهم إن المادة هـي الخالقة لهذا الكون بناء على أن المادة لا تَفْنَى ولا تُسْـتَحْدَثُ من العدم إذن هي أزلية إذن هي الخالقة، فَبَنَوا اعتقادهم على ذلك، أن المادة أزلية إذن المادة خالقة لا أول لها ولا نهاية لها، إذن هي الخالقة! ولو أننا عرفنا مفهوم المادة ومفهوم الأزلية من كلامهم هم لَسَـقَط إلهم المزعوم وهو المادة، والذي نريد بيانه أن القائمين على الإلحاد في العالم الآن يشنون هجمة شرسة وهجومًا ضاريًا على الإسـلام وأهله حتى يهدموا عقائد المسـلمين كي يسـيطرون على العالم.

ريتشارد دوكينز:

إمام الملاحدة الآن في العالم كله، وهو عالمُ سلوك حيوان، وعالم أحياء تطوري بريطاني الأصل أَلَّفَ كتابًا أسـماه «وَهْم الإله» وهو رابع أربعة من الذين يُؤَصِّلُون للفكـر الإلحـادي الآن في العـالم؛ حيث أقام ريتشـارد مؤتمرًا عالميًّـا عام ٢٠٠٦م، وكان هـدف المؤتمر القضـاء على وهم الإله بالكتاب الذي ألفـه، وتم عمل دعاية كبـيرة جدًّا لهذا المؤتمر بأموال باهظة وإنفاق ليس له سـقف حتى يحشـدوا له أكبر عدد ممكن من الناس ليحضروا هذا المؤتمر، وقد خرج المؤتمر بتوصيات ثلاث:

التوصية الأولى: إن الدين وهم خطير يؤدي إلى العنف والحروب، فقالوا إن الحروب والعنف الموجود في العالم سببه وجود الدين، فَكُلُّ أهل دين يريدون أن يُدخلوا الناس في هذا الدين، فتحدث الحروب ويحدث الإرهاب الموجود في العالم، ولا أدل على ذلك من حادثة ١١ سبتمبر -يزعمون ذلك-. لكن لو أتينا بالإحصائيات نجد أن أكبر مصدر للحروب وأكبر عدد للقتلى كان بسبب هذا الإلحاد وَمَن لا دين لهم، أما انتشار الإسلام فهو بلا شك قَلَّلَ الحروب وحقن دماء الناس ونشر في الناس الحياة الصحيحة السَّمْحَة، فأكبر نسبة للحروب وأكبر نسبة للقتلى بسبب انتشار الملحدين وبسبب الأفكار التي رَوَّجُوها لِينشروا إلحادهم مثل الأفكار الماركسية والشيوعية، ومثل لينين وماركس والفكر النازي الذي تَبَنَّاه هتلر وغير ذلك خَلَّفَ قتلى بالآلاف، بل بالملايين، الحرب العالمية الأولى والثانية، كل هذا بسبب تكريس قضية المادية، وأن الإنسان لا يحيا على هذه الأرض إلا لتحقيق مصالحه الشخصية فقط أينما كانت ولاحت له من أي وجه، حصلها وذهب إليها بأي طريقة، لا توجد مبادئ ولا قيم ولا أخلاق ولا رأفة ولا رحمة ولا مشاعر عند الناس فلذلك يقتل ويبيد ويسرق وينهب ويفعل ما يشاء وما يحلو له من أجل أن يحصل غايته وشهوته ومصلحته المرادة، تلك كانت أول توصية من توصيات المؤتمر، أن الدين وَهْمٌ خطير يؤدي إلى العنف والحروب، وكما يقال في المثل: رَمَتْنِي بدائها وانْسَلت؛ لأن هذا الأصل هو عندهم وهم أصحابه وهم الناشرون له وهم الذين يؤصلون له كما ذكرنا.

التوصية الثانية للمؤتمر: أنه ينبغي التخلص من الدين، وسيقوم العلم بهذه المهمة.



التوصـية الثالثة والجديدة على الملحدين: أنهـم قالوا: لا نحتاج إلى إله لِنكـون على خُلق وسـيحل محل الإلـه العلم المادي، وهذا هـو الجديد الذي جاءوا به، وجود بديل للإله، وهذه كانت توصية المؤتمر وشعار المؤتمر العام، وجود بديل للإله. وهم يُطلقون على أنفسهم الآن بعض المصطلحات الجذابة مثل: الساطعون والمثقفون والمضيئون والأذكياء والمشرقـون، وكل هذه المصطلحات يُطْلِقُونها على أنفسـهم حتـى يترجـم العقل الباطـن أن مَنْ لم يتبعهـم أغبياء مظلمـون متخلفون وظلاميـون. وقد تَبَنَّوا كُلَّ المفاهيم العلميـة التجريبية بزعمهم ويرفضون المفاهيم الغيبية، ويقولون: لا نؤمن إلا بما يقرره العلم والحس، الاثنان معًا، هذا الذي نؤمن به، أما المفاهيم الغيبية التي لا تقوم على أسـس علمية في زعمهم، فهذه لا نقبل بها ولا نقرُّهـا، وأول هـذه المفاهيم الغيبية وجود الإله، فهو غيـب فلا نقر به وننكره، فهـم لا يؤمنـون إلا بكلِّ أمر محسـوس فقط يشـعرون به بالحـواس الخمس ويثبته العلـم التجريبي، وطبعًا؛ لـو أننا تكلمنا في الأمور العلمية، سَـتَجِدُ أن كل الأمور العلميـة تنقـض كلامهم مثل اكتشـاف الكهرباء والمغناطيسـية والجاذبية، كل هذا ينقض ما يقولون، هل تسـتطيع أن تمسـك المغناطيسية؟ لا يمكن! ومع ذلك تؤمن بها! الكهرباء تشعر بآثارها دون أن تراها، لكن أنت موقن أنها موجودة وتؤمن بها، لكن هؤلاء الماديين يزعمون أن المادة الأزلية هي الخالقة والمكونة لهذا الكون.

وإلى هنـا وصلنـا إلى المرحلـة الثالثـة في الـرد عـلى الملحدين، بعد بيـان الأدلة الفطرية والعقلية والحسـية، أن ننظر إلى ما اسـتندوا إليه من نظريات أو فرضيات ونناقشـها بهدوء معهم، ومنها زعمهم أن المادة هي الخالقة لأنها أزلية أبدية وهذا وصف الإله!.

هل المادة هي الخالقة؟ وهل هي أزلية؟



في البداية لابد أن نعرف ما هي المادة، وماذا تعني أزلية المادة؟ هم يزعمون أن المادة هي الخالقة، وأن الكون تَكَوَّنَ من هذه المادة، تلك المادة الصماء العمياء الجاهلة التي لا تتحرك إلا بتحريك الإنسان لها، والتي يفعل فيها الإنسان ما يشاء، ولا تستطيع أن تقول شيئًا، هي الخالقة لهذا الكون العظيم بنظامه الكامل المتكامل!

ما هي المادة؟

المادة هي كُلُّ ما يشغل حيزًا من الفراغ فهو مادة، أي الأمر المحسوس، وهي أنواع، مادة صلبة وغازية وسائلة، وتتحول إلى أشياء كثيرة صلبة، مثل المكتب والكوب، سائلة مثل الماء وتتشكل على شكل ما تأخذه، والمادة الغازية مثل الأكسجين والنيتروجين والغازات الموجودة، وتتكون المادة من ذرات، يقولون: إن المكون الأساسي للمادة هو الذرة، والجزيئات عبارة عن ذرات، مثلًا: ذرة الأكسجين مع ذرتين هيدروجين اسمه جزيء الماء، فالجزيء إما أن يكون مركبًا من ذرات مختلفة، أو ذرات متشابهة كالاكسجين، هذه المادة المكونة من ذرات وجزيئات عندهم هي الخالقة لهذا الكون!، فما الذي اضطر الملاحدة أو الماديين أو الطبيعيين أن يقولوا أن المادة هي الخالقة؟ لأنهم لو أقروا أن الكون له بداية، وأن المادة مخلوقة، سَيُقِرُّون أن هناك إلها بلا شك، وبالتالي قضية التسلسل مَن خلق مَن، ومَن خلق مَن؟ إلى ما لا نهاية ستصل إلى أن هناك خالقًا خلق هذا



المخلوق، فَلِكَي يفروا من إثبات وجود إله قالوا: إن المادة أزلية، وهي المكونة لهذا الكـون؛ لأن معنـى مادة أزلية، أي أنها لم تخلق بل أوجدت نفسـها بنفسـها، وهذا مـا اضطرهم لقول هذا الـكلام. ومن صفات الأزلي أنه ليـس مركبًا، وأنه خارج الزمـان والمكان، لذلك يجب أن نعرف تركيب المادة، وهل هي مركبةٌ من تراكيب منقسمة أم شيء واحد أصم بكتلة واحدة؟ إذا تبين أن المادة ليس بها صفات الأزلي وأنها مركبة سـقط الأصل الذي بَنَوا عليه اعتقادهم، وبالتالي سـيكون السؤال إذا لم تكن المادة هي الخالقة فمن الخالق؟ يقولون: إن العنصر الأولي المكون للمادة هو الـذرة، وهذا غير قابل للتجزئة والانقسـام، حتى يثبتوا أزليـة المادة، وهذا ما قاله عالم اسمه ديمقراطيس، حيث قال: إن المكون الرئيسي للمادة هو الذرة، وإنها غير قابلة للتجزئة أو الانقسام.

النظرية الذرية أو المفهوم الذري الذي اكتشفه دالتون هدم ما قاله ديمقراطيس في تعريـف المـادة، ينص المفهوم الـذري على أن: المادة ترد ابتـداءً الى عناصر أولية صلبـة، وهـذه العنـاصر تتكون مـن جزيئات صغـيرة، وهذه الجزيئـات الصغيرة تنقسـم إلى ذرات، فـإن جـزيء المـاء يتكون من ثـلاث ذرات، اثنـين هيدروجين وذرة أكسـجين، وأن العنـصر الفعـال المكـون الأسـاسي للمادة هو الـذرة، ولكن الاكتشـافات الحديثـة تقول: إن هناك ما يُسَـمَّى الكوارك، وهـي أصغر مكون في المادة، وليسـت الذرة، والذرة مكونة من إلكترونـات ونواة، والنواة تحوي نوعين من المكونـات، النيترونات والبروتونات، والبروتونات تنقسـم إلى كوارك، وهي أصغـر مكون في المـادة، ولا يُرى بالعين المجردة، لاحظ أننـا الآن ننتقل من الأمر المـادي إلى مـا وراء المـادي. وبالتالي فلو أثبتنا أن داخل المادة أشـياء لا تُرى بالعين

ولا تحس، إذن سننتقل معهم من الأمر المادي إلى ما وراء المادة، ولو انتقلنا إلى ما وراء المادة وأقروا به، إذن انتهى الموضوع، لأننا سنقول إن هناك خالقًا لهذا الكون، وأنت لا تراه، فإذا زعمت أنك لا بد أن تراه، أو أن تلمسه، أو أن تشمه، أو أن تحسه، كل هذا سيكون غير مقبولٍ؛ إن نظرية المفهوم الذري تقول: إن العناصر تتكون من جزيئات وعناصر صغيرة هي الذرات.

هذا المفهوم الذري فتح أفقًا جديدًا أمام الفكر المادي، لماذا؟ لأن الإنسان أصبح بإمكانه معرفة المكون الرئيسي للمادة المنشئ للكون. وهذا يعد اكتشافًا خطيرًا عندهم ولا يعرفون أن هذا الاكتشاف فتح عليهم بابًا لتقويض الفكر المادي، ولو أنهم علموا ذلك ربما لم يعلنوا عنه، بعد هذا الاكتشاف لم تعدالمادة جُسَيْمًا صلبًا، ولم تعد الذرة هي المكون الرئيسي للمادة، بل تم اكتشاف مكون أصغر من الذرة بكثير جدًّا يسمى الكوارك، وتم اكتشاف الإلكترون الذي يُعرَّف بأنه أصغر كمية من الكهرباء يمكن الحصول عليها، هل الكهرباء هذه علم مجهول الطبيعة أم معلوم الأثر؟ الإجابة.. مجهول الطبيعة معلوم الأثر. هل تستطيع أن تمسك بعضًا من الكهرباء في يدك؟! لا يمكن! فكيف نستدل على الكهرباء؟ بالأثر، فنحن ننتقل الآن من خلال هذه الاكتشافات لأمر وراء المادة أمر غيبي سيؤمن به لا محالة، ومع ظهور الاكتشافات والظواهر الكهربية تم اكتشاف المجال.. وهو أمر غير محسوس بل معلوم الأثر و أهمية المجال في المادة طغت طغيانًا كبيرًا جدًّا، وأصبح له استخدام كبير بعد أن اكتشف أرسطو أن الشحنة الكهربية المتحركة تولد مجالًا، واكتشف فاراداي أن التغير في المجال المغناطيسي يؤدي إلى تولد مجال كهربي، وفي الحالتين -سواء المغناطيسي أو الكهربي- المفهوم المشترك العام حدوث مجال،



وتلـك بداية اللجوء لمفهوم غير مادي لتفسـير وقائع ماديـة، وبتلك الخطوة أيضًا انتقلنـا مـن المادة إلى مـا وراء المادة. يتكلـم الدكتور أحمد زويل عـن أصغر مكون للـمادة، فـما هـو إذن؟ يقول: إنه ليس الـذرة، فيقول: إننا لو أردنـا قياس الذرة إلى حجـم جوزة القطن الصغيرة ذات طول ١٠ سـم وأردنا قياس الذرة بالنسـبة لها، فـإن حجم الذرة لا يزيد على جزء من بليون من حجم جوزة القطن، وبالتالي فإن تلك الذرة شيء دقيق جدًّا، وهذا الحجم الذي هو جزء من مليون ينحل إلى (نواة – وإلكترونات) والنواة تتألف من (بروتونات – ونيترونات) والبروتون مؤلف مـن كوارك و هـو أصغر مكون في المادة، وما هي صفة الكوارك؟ لها جزء سـالب وموجب، ولا أحد يستطيع رؤيته ولا قياسه، والعلم الحديث وصل بذلك لأصغر مكـون للـمادة وهو الكوارك، وكما أوضحنا أن حجمـه صغير جدًّا يعني يحتاج إلى أجهـزة دقيقة في غاية الدقة تشـعر بوجـوده، إنه موجود بإحداثيـات معينه، وهذا لا يستطيع أحد رؤيته ولا قياسَه، وكذلك الإلكترون لا يمكن قياسه أبدًا، وبالتالي وبهذا الأمر، ابتعدت الفيزياء التي كانت سـببًا في وجود المادية عن المحسـوس إلى مـا وراء المحسـوس إلى الغيب، فبذلك سـقطت فكـرة المادة تمامًا، وسـقط الفكر المـادي بهـذا الأمر. هذا بالنسـبة للـمادة الخالقـة، وحتى يُضْفُوا عليهـا صفة الخلق لا بـد أن تكـون أزلية، وبالتـالي نحتاج أن نُعَرِّفَ معنـى الأزلي، ولو انهدم في المادة التي عرَّفناها وذكرنا مكوناتها.





هل المادة أزلية؟

لا نستطيع القول بأن المادة أو الطاقة لا تَفْنَى ولا تُستحدث من العدم؛ لأنها أصبحت تُسْتَحْدَثُ وتَفْنَى، وهي مخلوقة، إذن هناك خالق غير الخالق الذي تزعمونه، إذن هناك خالق للكون، وسنتكلم كيف وصفوا هذا الخالق، لكن نحن وصلنا معهم إلى أن يعترفوا بوجود خالق لهذا الكون.

ما معنى الأزلي؟

هو شيء له صفات معينه، منها: أنه لا يكون مركبًا، بل يكون بسيطًا ولا يتركب، وغير قابل للتجزئة، ولا يمكن التدخل فيه، كما أنه خارج عن الزمان والمكان، فكل تلك المواصفات لا تنطبق على المادة؛ لأن المادة عرفنا أنها مركبة وتدخل في تراكيب، وقابلة للتجزئة، وموجودة في الزمان والمكان، إذن كل تلك المواصفات التي وُصِفَ بها الأزلي ليست موجودة في المادة، إذن المادة الآن غير أزلية، وطالما أن المادة غير أزلية بالتالي لا تصلح أن تكون خالقة؛ لأن كونها غير أزلية يكون هناك بداية لوجودها، فهي لم تكن موجودة ووجدت، فَمَنِ الذي أوجدها؟ إذن؛ هناك خالق أوجدها، وهي لا تصلح أن تكون خالقًا، والماديون باكتشافاتهم التي يكتشفونها شعروا أو لم يشعروا قَوَّضُوا الفكرةَ المادية التي يَلْهَثُون وراءها، فنحن الآن نُبَرْهِنُ على عدم أزلية المادة، ويظهر عدم أزلية الزمان والمكان؛ لأن من صفات الأزلي أن يكون خارج الزمان والمكان، وبالتالي الزمان والمكان وُجِدَ في وقت لم يكن موجودًا قبله، وأي شيء على الإطلاق لا يملك صفة الأزلية لا يمكن أن يكون خالقًا، وبالتالي نحن الآن هدمنا الأصل المادي الذي قامت



عليـه كل نظرياتهـم، وأصبحت تلك المادة الخالقة – عندهم – لم تكن خالقة؛ بل إن القوانـين التـي وضعت بعد ذلك مثل قوانين نيوتن ودالتون وبسـكال وغيرها من القوانين هدمت مفهوم أزلية المادة، فأصبحوا في حيرة من أمرهم.

أيضًا من القوانين التي تم اكتشافها وتقضي على النظرية المادية أو أزلية الكون، قانـون الديناميكا الحرارية المعروف بالقانون الثـاني للديناميكا، والذي ينصُّ على أن «جودة» الطاقة تَتَدَرَّك (تنزل لمسـتوًى أدنى) بشـكل معكوس، وهذا هو «مبدأُ تَدَرُّكِ الطاقة»بمعنى أن الجسـم الحار (هذا الكوب مثلًا) يشع حرارة الآن، وهذه الحـرارة تظـل تشـع في الغرفة أو في المـكان حتى تأخذ درجة حـرارة الغرفة وتبرد وتزول الحرارة.

هـذا هـو قانون الديناميـكا الحرارية، أن الجسـيم الحار أو الجسـم الحار يبعث الحـرارة حوله حتى يأتي يـوم تنتهي هذه الحرارة، أي يصبح لا وجود لها. والكون عبارة عن أجسـام فيها إشـعاع وحرارة، كالمجموعة الشمسية مثلًا، تبعث الضوء والطاقـة من حولها حتى يأتي يوم تزول فيه هذه الحرارة وهذه الطاقة، ويكون هذا إيذانًـا بفناء الكون. وهذا القانون الذي تَوَصَّـلَ به مخترعه إلى فناء الكون يعني أن الكـون ليـس أزليًّا؛ بل الكون له بداية، ومعنى أن له بداية أن له خالقًا، وهذا ما لا يريدون قوله أو الإقرار به.

أي مـكان صغير بالمقيـاس يتألف إلى ذرات، والمكان الكبـير يتألف إلى نجوم مثـلًا، الكوكـب الذي نعيش عليه كله وشمسـنا التي نسـتدفئ بها في الكون عبارة عـن نجم كبير، فنجم من النجوم يتحول بـه ٥٦٤ مليون طن من الهيدروجين إلى هيليـوم، وهـو غاز من الغـازات، وذلك في كل ثانية، وهذا الكلام نسـتخدمه مع

من يقول أن الكون وُجِدَ بصورة عشوائية أو صدفة، نقول انظر إلى الشمس، هذا النجم الكبير يتحول منه كل ثانية ٥٦٤ مليون طن من الهيدروجين إلى هيليوم، انظر على مر السنين الماضية كم ثانية في كل وقت تحول هذا التحول، هل يحدث كل ذلك بصورة عشوائية كما يقولون؟! طبعًا كلام به خَلَلٌ كبير جدًّا، وسنرد عليه بالتفصيل إن شاء الله. الشاهد أن الإشعاعات والتحول من هيدروجين لهيليوم يتم به انتشار الطاقة بصورة كبيرة في الكون، فتشعر بالدفء الموجود لأنه يتحول إلى ضوء وملايين من السعرات الحرارية، العلماء يقولون: لو كانت الشمس في مكان غير مكانها بقدر ميل قريب، فإن الحرارة المنبعثة منها سَتَحْرِقُ العالمَ كُلَّه، وهذا الكون لن تقوم له قائمة، فهل الشمس في هذا المكان بهذا البعد عن الأرض وضعت هكذا بصورة عشوائية؟!! ويقولون في تفسيرهم: إن يومًا من الأيام ستنفجر الشمس -بصورة كبيرة جدًّا لا مركزية- انفجارًا مرعبًا ينفذ بعده الوقود والطاقة التي تشع ويعقبه حركة انكماش مركزية، وتتقلص فلا يُتصور أزلية الشمس بعد ذلك، والكون كله يتألف من أمثال هذه الشموس، فهو إلى زوال. أينشتاين عندما اكتشف النظرية النسبية التي تنص على أنّ كلّ أنواع الحركات هي حركات نسبية، وأنّ الوقت لم يعد ثابتًا كما كان مفترضًا من قبل؛ بل أصبح مفهومًا متغيّرًا غير محدود بمكان معيّن، بالإضافة إلى توصّله من خلال هذه النظرية إلى أنّ الوقت متوقّفٌ على سرعة الجسم المتحرّك ممّا أنتج ما يُعرف بتقلّص الزمن.

لذلك؛ فالكون يحدث به تمدد وانكماش، لذا فالمجرات التي بالكون تتمدد وتتباعد عن بعضها البعض بصورة هائلة وعن طريق ظاهرة تُسَمَّى الإزاحة الحمراء تتباعد المجرات عن بعضها تباعدًا طرديًّا، ويتمدد الكون بهذا الأمر،



وبالتالي فالنظرية النسبية لأينشتاين تثبت أن الكون إمَّا أن يكون به تمدد أو انكماش، لكـن تلك النظرية أَوْقَعَتْهُ في مأزق كبير جـدًّا لماذا؟ لأن نتيجة الانكماش الحاصل أو التمدد سـيأتي وقتٌ من الأوقات وسـيكون له نهاية، فتلك النظرية أَوْقَعَتْهُم في مأزق شـديد؛ لأنها أيضًا تهدم الفكر المادي عندهـم، وتهدم فكرة أن الكون أزلي، فماذا فعل أينشـتاين لِيخرج من هذا المأزق؟ أدرج ما يسـمى بالثابت الكوني، وهو عبـارة عن ثابـت فيزيائي وضعه حتى تتفـق معادلاته مع مفهـوم أن الكون ثابت وساكن غير متمدد، وهو ما ثبت خطؤه، فلقد تمكن العالم الفلكي أدوين هابل من خلال دراسـة تُعرف بدراسة الإزاحة الحمراء لأطياف المجرات التي تدلُّ على أن المجـرات تتباعد عن بعضها، وأن الكون في تمدد مسـتمر، وكلما ازدادت المجرات بعـدًا ازدادت سرعتُهـا في التباعد عن بعضها، وبالتالي ألغـى الثابت الكوني الذي وضعه أينشـتاين، وعندما علم أينشتاين بذلك رجع عن موضوع الثابت الكوني، فـكان قضاءً كبـيرًا جدًّا على موضوع أزليـة الكون، لماذا؟ لأن إثبـات تمدد الكون يعتبر إقرارًا بخطأ الثابت الكوني، والمجرات التي تتمدد بصورة طردية لو أننا عُدْنَا بالزمـن إلى الـوراء نجد أن المجرات كانت أقل في التمـدد، ولو عدنا أكثر نجد أن المسافات بين المجرات تَقِلُّ، وكلما عُدْنَا تقل المسافات؛ لأن التمدد الطردي حدث على مدار عصور وملايين السـنين حتى نصل إلى مسـافة صفر بين المجرات، وهذا الصفـر عندهم يعتبر لحظة بدايـة للكون، وطالما أنهم أثبتوا بداية للكون وأنه ليس أزليًّـا؛ إذن هنـاك خالق لهذا الكـون، وبالتالي هو ليس أزليًّا، إذن لـه خالق. وَجُلُّ علـماء الفيزيـاء يثبتون ذلك، عـالم الطبيعة البيولوجية (فرانـك آلن) في كتاب «الله يَتَجَـلَّى في عصر العلم» يقول: «قوانين الديناميكيـة الحرارية تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيًّا، وإنها سائرة حتمًا إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام

تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق، ويومئذٍ تنعدم الطاقة، وتستحيل الحياة، ولا مناص من حدوث هذه الحالة من انعدام (فناء) عندما تصل درجة حرارة الأجسام إلى الصفر المطلق بِمُضِيِّ الوقت».

فرانك آلن يثبت أن للكون بداية، وَمَعْنَى أن له بداية أي أنه ليس أزليًّا، وأن له خالقًا.

يقول (جون كليفلاند كوتران) عالم الكيمياء والرياضيات: «تدلنا الكيمياء على أن بعض المواد على سبيل الزوال والفناء، ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة، والآخر بسرعة ضئيلة، وعلى ذلك، فإن المادة ليست أبدية..». فهذه الأدلة كلها تدل على أن المادة ليست أزلية ولا أبدية، بل إنها مخلوقة وفانية، وبهذا تسقط دعوى الشيوعية في كون المادة هي الأصل، والحياة هي المادة.

بعد سقوط الكنيسة كان لا بد من وجود بديل عن الرب يقنع الناس، فكانت نظرية التطور، فلذلك يعتمد المذهب الإلحادي كليًّا على هذه النظرية التي أسسها دارون. فَمَن هو دارون، وما هي نظريته؟



تشارلز روبرت داروين

عالم حيوان، إنجليزي الجنسية، اشتهر بنظرية التطور ومبدأ الانتخاب الطبيعي حول نشأة الإنسان. ولد في إنجلترا في ١٢ فبراير ١٨٠٩م، وتوفي في ١٩ أبريل ١٨٨٢م، هو عالم تاريخ طبيعي بريطاني، اكتسب شهرتَه كواضع لنظرية التطور، بدأ اهتمام داروين بالتاريخ الطبيعي أثناء دراسته للطب، ولكنه لم يُكْمِلْها لأنها لم تجتذبه، ثم اللاهوت في الجامعة. أدّت رحلته على متن سفينة البيغل والتي دامت خمس سنوات إلى تميّزه كجيولوجي وانتشار اسمه كَمُؤَلِّف. ومن خلال ملاحظاته للأحياء قام داروين بدراسة التحول في الكائنات الحية عن طريق الطفرات، وطوّر نظريتَه الشهيرة في الانتخاب الطبيعي عام ١٨٣٨م. ومع إدراكه لردّة الفعل الذي يمكن أن تحدثه هذه النظرية، لم يصرّح داروين بنظريته في البداية إلا إلى أصدقائه المقربين، في حين تابع أبحاثه ليحضّر نفسه للإجابة على الاعتراضات التي كان يتوقعها على نظريته. وفي عام ١٨٥٨م، بلغ داروين أن هنالك رجلًا آخر، وهو ألفريد رسل ووليس، يعمل على نظرية مشابهة لنظريته، مما أجبر داروين على نشر نتائج بحثه. صدر كتاب داروين بعنوان «أصل الأنواع» في عام ١٨٥٩م، والذي كان بمثابه نقطة البداية في دخول فكرة الأصل المشترك للكائنات لِتفسير التنوع في الطبيعة في المجتمع العلمي. عُيّن داروين بعدها عضوًا في المجمع الملكي.

في كتابه «الإنسان» ميز المخلوقات الموجودة على أساس اللون والعرق، فقال: إن الإنسانَ مراحل ودرجات، أعلاها هم البِيض، والدرجة الدُّنيا هم الزنوج، وقال: إن البِيض لهم صفات كذا وكذا، وأن البيض لهم حق في المجتمعات،

والزنوج ليس لهم حق، والحروب التي نشأت في المجتمعات بعد ذلك بين البيض والسود (الزنوج) بسبب هذا التأصيل الذي ذكره دارون.

جميع الحيوانات والكائنات الموجودة الآن تكلم عنها دارون في كتاب أصل الأنواع كتفسير لوجود الحياة، ثم ألَّف كتابًا عن تكوين الإنسان وكيفية نشأته، ويأتي على قضية الكون وكيف وجد، فيقول: إنه وجد عن طريق الانتخاب الطبيعي والصدفة المحضة، وسيدلل على ذلك ببعض الأدلة الواهية كما سنتكلم عنها، بذلك تكون المراحل الثلاث التي يتكلمون عنها قد تمت، الحياة –الكون– الإنسان.

ما هي نظرية دارون؟

يبني دارون في كتابه أصل الأنواع فكرتَه على أساسٍ مَادِّيٍّ بَحْت، ويتكلم عن النوع وليس الجنس، ولذلك أسماه «أصل الأنواع» وركز فيه على تطور الخلية وليس تطور العقل، وتقوم تلك النظرية على فكرة التطور المتدرج.

نظرية دارون تقوم على فكرة التطور المتدرج من الخلية البدائية إلى أن أصبحت إنسانًا على هذه الهيئة، فالتطور يبدأ بصيغة أحادي الخلية، خلية بسيطة أو متعددة، فتتطور إلى صفة أكثر تعقيدًا عن طريق شيء يُسَمِّيه التكاثر أو القفزة البيولوجية أو الطفرة، ثم الحياة بعد ذلك. هذه نشأة الحياة عند دارون، فيقول: إن الإنسان نفسه لا يعدو إلا أن يكون توليفة من عدد لا يُحصى من الخلايا، فتطورت الخلية حتى ظهر الحيوان الدودي، ومنها تطور عبر حِقب زمنية كبيرة إلى الرخويات، وتطورت عقب حقب زمنية إلى أنواع كثيرة من الحيوانات، وحيوانات كثيرة لم تكن موجودة وُجِدَت من الرخويات، وهذه الحيوانات الجديدة تميزت عن سابقتها الرخويات

بأن لها أسطحًا ولها حبلًا متينًا يمتد بطول جسدها و هو العمود الفقري، ويقول: إن الحبل المتين هذا هو أول درجة سلم في سلم التطور؛ لأنها ستؤدي بعد ذلك إلى نشوء العمود الفقري الذي ينشأ منه الحيوانات الفقارية ومنه الإنسان، فهذا يعتبر العمود الصلب بالنسبة لتطور الحياة. هذا الحبل أو العمود الفقري أدى إلى نشوء الأسماك، ثم تبعه البرمائيات، ثم الزواحف، ثم الطيور، و تميزت بأنها تبيض، ومن الزواحف نشأت الطيور، ثم ذات الثدي، وتفرع منها شعب متفرقة من الأحياء أهمها من وجهة النظر البشرية ما يسمى بالصعابير أو الليامير، ومنها يمكن أن يكون نشأ الإنسان. ويقول: إن الإنسان نشأ من القردة العليا وهي الشمبانزي أو الغوريلا وتطور منها إلى هذه الصورة، ومر بمراحل، بأن كان أكثر شبهًا بالقردة العليا وهي الغوريلا أو الشمبانزي، وهذه النظرية تم نقضها نقضًا كليًّا وجزئيًّا من قبل العلماء الغربيين أنفسهم كما سَنُبين.

تزعم هذه النظرية أنّ أصل المخلوقات حيوان صغير، نشأ من الماء، ثم أخذت البيئة تفرض عليه من التغييرات في تكوينه ممّا أدّى إلى نشوء صفات جديدة في هذا الكائن، أخذت هذه الصفات المكتسبة تورث في الأبناء حتى تحول مجموع هذه الصفات الصغيرة الناشئة من البيئة عبر ملايين السنين إلى نشوء صفات كثيرة راقية جعلت ذلك المخلوق البدائي مخلوقًا أرقى، واستمر ذلك النشوء للصفات بفعل البيئة والارتقاء في المخلوقات، حتى وصل إلى هذه المخلوقات التي انتهت بالإنسان، وأساس هذه النظرية يقوم على أمرين اثنين:



الأسس التي تقوم عليها نظرية دارون:

الأول: الانتخاب الطبيعي.

الثاني: الصدفة أو العشوائية.

✫ **الانتخاب الطبيعي:** تقوم عوامل الفناء بإهلاك الكائنات الضعيفة الهزيلة، والإبقاء على الكائنات القوية، وذلك ما يسمّى بزعمهم بقانون (البقاء للأصلح)، فيبقى الكائن القوي السليم الذي يورث صفاته القوية لذريته، وتتجمع الصفات القوية مع مرور الزمن مكونة صفة جديدة في الكائن، وذلك هو النشوء الذي يجعل الكائن يرتقي بتلك الصفات الناشئة إلى كائن أعلى، وهكذا يستمر التطور وذلك هو الارتقاء. لم تقم هذه النظرية بتقديم أي تفسير لمواضيع كثيرة، منها:

١ - الحشرات - الطيور - بعض اللبائن (كالخفاش) - بعض الزواحف الطائرة (انقرضت).

(أ) أصل الحشرات: لا تقدم هذه النظرية أي تفسير لأصل الحشرات مع أنها تمثل ٨٠ ٪ من مجموع الحيوانات.

(ب) أصل وتطور القوارض غير معروف، مع أن أعدادها هائلة وتزيد على أعداد الثدييات الأخرى.

(جـ) أصل الطيران بجميع أشكاله غير معروف تمامًا، وكما هو معلوم هناك أربعة أنواع من الحيوانات الطائرة.

إذن؛ نظرية التطور لا تُقَدِّمُ أَيَّ جواب حول سؤال: كيف ظهر الطيران عند هذه الحيوانات؟ إذن، ما بالك بنظرية لا تقوم بتفسير ٩٠ ٪ من الظواهر التي

من المفروض تناولها ولا تستطيع تسليط الضوء عليها؟ وما دامت هذه النسبة الكبيرة من الظواهر غير معروفة وغير مفسرة من قبلها، فكيف يمكن عدها نظرية صحيحة؟ وهل هناك نظرية علمية أخرى غير هذه النظرية أبدت عجزها عن تفسير ٩٠ ٪ من الظواهر التي تصدت لتفسيرها؟ وهل يمكن أن تقبل الأوساط العلمية مثل هذه النظرية؟

٢- **كيفية ظهور الحياة في الخلية الحية الأولى غير معروفة**، والقول بالمصادفة ليس جوابًا علميًّا، بل جواب يصادم العلم؛ لأنه كلما زادت معلوماتنا عن الخلية الحية ومدى تعقيدها تأكدنا أكثر وأكثر مدى استحالة ظهورها مُصَادَفَةً. ويكفي أن نعلم أن جزيئات «DNA» الموجودة في الإنسان تحتوي على معلومات لو قُمْنا بتسجيلها على الورق لاحتجنا إلى ٩٠٠ ألف صفحة تقريبًا، وهذا يعادل ٣٤ ضعف المعلومات الواردة في دائرة المعارف البريطانية. فكيف يمكن إذن أن تظهر الخلية إلى الوجود مصادفة؟ وقد علم من تطبيق قوانين الاحتمالات الرياضية استحالة تكون جزيئة واحدة من البروتين عن طريق المصادفة خلال أضعاف عمر الكون، فكيف يمكن ظهور خلية واحدة حية بطريق الصدفة؟

٣- **تَدَّعِي هذه النظرية أن الأحياء قد تطورت من خلية واحدة إلى أحياء ذات خلايا متعددة** ثم تشعبت مساراتها في التطور حتى ظهرت الأحياء الحالية التي تبلغ أعدادها عدة ملايين.

لذا؛ وحسب هذه النظرية، فلابد من وجود عشرات الحلقات الوسطى أو الحلقات الانتقالية بين كل نوعين، أي أن أعداد الحلقات الوسطى يجب أن تزيد بعشرات المرات على عدد الأحياء الموجودة حاليًّا. أي أن عدد أحياء الحلقات

الوسـطى يجـب أن تبلغ عشرات ومئـات الملايين، ولكن لم يتـم العثور حتى الآن على أي حلقة وسطى.

☆ **الصدفة أو العشـوائية:** يقولون: كيف إن الحيوان تطور من الخلية الأولى في الوقـت الـذي لا توجد فيه ميكروسـكوبات ولا أجهزة دقيقـة؟ ولا يتخيلون شكل الخلية وتكوينها، ولكن الخلية الآن قد أصبحت بالنسبة إليهم كمدينة كبيرة جـدًّا، عظيمة البنـاء يصعب هدمها، فكيف تكون ذلك عشـوا‌ءً! يزعم داروِن أن هذا الكون والحياة وُجِدَ صدفة بطريقة عشـوائية، وعلماء الغرب أنفسـهم هم مَن هدمـوا هذه الخرافة. كتـب عالم الفيزياء البيولوجية «فرانـك ألن» مُوَضِّحًا علاقة الصدفـة بنشـأة الحيـاة، وكيف يسـتحيل ذلك من خـلال ما تؤكـده حقائق العلم الريـاضي؟ يقول «ألـن»: «إن البروتينات من المركبات الأساسـية في جميع الخلايا الحية، وهي تتكون من خمسـة عناصر، هي: الكربون، الأيدروجين والنيتروجين، والأوكسجين، والكبريت، ويبلغ عدد الذرات في الجزء ذرة، فاحتمال اجتماع هذه العناصر الخمسـة لكي تكون N البروتيني الواحـد، ٤٩٠٠٠ جزيئًا من جزيئات البروتين يمكن حسـابه لمعرفة كمية المادة التي ينبغي أن تخلط خلطًا مسـتمرًّا لكي تؤلف هذا الجزيء، ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد. وقد قام العالم الرياضي السـويسري «تشـارلز يوجين» بحسـاب هـذه العوامـل جميعًـا، فوجـد أن الفرصة لا تتهيـأ عن طريـق المصادفة لتكويـن جـزيء بروتيني واحد، إلا مـن خلال رقم لا يمكن النطـق به أو التعبير عنه بكلمات، وهو رقم منسـوب إلى ١٠ مضروب في نفسـه «١٦٠» مرة، كما ينبغي أن تكـون كمية المادة التي تلزم حدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء

واحد، أكثر مما يتسع له هذا الكون بملايين المرات. كما يتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بلايين لا تحصى من السنين قدرها العالم السويسري بأنها عشرة مضروبة في نفسها ٢٤٣ مرة من السنين.

مثال آخر: لنضع جانبًا الجسمَ الذي يحتوي على تركيب معقد جدًّا يحتوي على المليارات من الخلايا، ولنأخذ مسألة ترتيب الأعداد من واحد إلى عشرة، ولنكتب هذه الأرقام في ورق ونضعها في كيس ونخلطه جيدًا ثم نسحب ورقة لِنحصل على رقم واحد احتمال ظهوره بنسبة ١ : ١٠ واحتمال ظهور ١، ٢ متتاليين بنسبة ١ : ١٠٠ واحتمال ظهور العشرة متتاليين ١ : ١٠ ^١٠^ يعني بنسبة ١ إلى عشرة مليارات، ولو سحبنا ورقة كل ٥ ثوان حتى نحسب المدة التي نحتاجها لاحتمال خروج الأرقام متتالية، سنضرب عشرة مليارات في خمسة ثم نقسم الناتج على ٦٠ لِنُحَوِّلها لدقائق، ثم على ٦٠ لنحولها لساعات، ثم على ٢٤ لنحولها لأيام، ثم على ٣٦٥ لنحولها لسنوات، نجد أنفسنا نحتاج إلى ١٥٠٠ سنة لاحتمال خروج الأرقام متتالية إن خرجت، فكيف يكون هذا الكون بهذا النظام الدقيق خرج مصادفة!!![١].

خطورة نظرية دارون:

لقد شهد القرن التاسع عشر ميلاد نظريات أثرت في الحياة الإنسانية تأثيرًا خطيرًا وسلبيًّا مثل: النظرية الماركسية ونظرية دارون في التطور ونظرية فرويد في التحليل النفسي.

ولعل نظرية التطور لدارون هي أخطر هذه النظريات؛ لأنها حاولت البرهنة على «حيوانية الإنسان». وعندما يتم إثبات هذه الصفة الحيوانية في الإنسان فَمِنَ

(١) «دارون ونظرية التطور».

السهل قبول النظرية الماركسية التي ترى أن الهم الوحيد للإنسان هو حاجاته المادية وما يشبع بطنه. وكذلك يسهل قبول نظرية فرويد التي أرجعت جميع نشاطات الإنسان وغاياته إلى غريزته الجنسية. وهناك ظاهرة تلفت النظر في موضوع نظرية التطور؛ لأن هذه النظرية خرجت عن كونها نظرية علمية قابلة للصواب أو الخطأ؛ إذ تحولت إلى «أيدولوجية» يدافع عنها أنصارها، ولا يترددون حتى في القيام بعمليات تزوير مُشِينة من الناحية العلمية والأخلاقية، وهذا ما لا نراه في النظريات العلمية الأخرى، فلا نرى عالمًا في الفيزياء أو في الكيمياء أو في أي علم من العلوم يقوم بعملية تزوير لإثبات صحة نظريته أو صحة القانون الذي اكتشفه؛ لأن غاية العلم هو الوصول إلى الحقيقة.

تزوير فج لإثبات النظرية؟

نرى أن عمليات التزوير العلمية منحصرة في موضوع نظرية التطور فقط. وَأُولى عمليات التزوير هذه قام بها العالم الألماني «أرنست هيجل» وكان من أنصار نظرية التطور. لما رأى أن صور الأجنة لا تتطابق تمامًا مع هذه النظرية قام بعمليات رتوش وحذف في صور الأجنة البشرية لكي تتطابق مع نظرية «التلخيص»، إحدى النظريات السابقة التي قُدِّمَت كبرهان على نظرية التطور، ثم نفض العلماء أيديهم عنها بعد ثبوت خطئها. ولكن أحد العلماء اكتشف عملية التزوير هذه وأعلنها في إحدى الصحف وتحدى فيها «أرنست هيجل» الذي لم ير بُدًّا من الاعتراف بجريمته العلمية والأخلاقية بعد فترة صمت وتردد، فاعترف في مقالة كتبها في ١٤/ ١٢/ ١٩٠٨م بأن ما يعزيه هو أنه لم يكن الوحيد الذي قام بعملية تزوير لإثبات صحة نظرية التطور، بل إن هناك المئات من العلماء والفلاسفة قاموا

بعمليات تزوير في الصور التي توضح بنية الأحياء وعلم التشريح وعلم الأنسجة وعلم الأجنة لكي تطابق نظرية التطور. إذن؛ فهناك مئات من عمليات التزوير -وليست عملية واحدة أو عدة عمليات- تمت في علم الأحياء وفي علم التشريح وعلم الأنسجة وعلم الأجنة، قام بها العلماء من أنصار التطور.

إذن؛ على مثل عمليات الغش والتزوير هذه قامت نظرية التطور وانتشرت، وتمت بها أيضًا عملية غسيل دماغ الجماهير في هذا الموضوع، وأصبح مَن لا يؤمن بها رجعيًّا وجاهلًا!!.، وهناك عملية تزوير مشهورة جرت في إنكلترة، وهي عملية تزوير «إنسان بلتداون» بدأت في ١٩١٢م، فقد صنعوا جمجمة من تركيب قحف إنسان على فك قرد أورانجتون مع إضافة أسنان إنسانية إلى الفك، وقدموا هذه الجمجمة على أنها الحلقة المفقودة بين القرد والإنسان.

وخدعت عملية التزوير هذه كبار علماء البيولوجيا وأطباء الأسنان الذين فحصوا هذه الجمجمة المزيفة مدة تقارب ٤٠ سنة، وأُلفت مئات وآلاف الكتب، وتم تقديم رسائل دكتوراه عديدة، وكتب ما يقارب نصف مليون مقالة حولها.

وفي سنة ١٩٤٩م قام «كينت أوكلي» بإجراء تجربة الفلور على هذه الجمجمة، فتبين أنها ليست قديمة (ادعى سابقًا أن عمرها يبلغ نصف مليون سنة) ثم قام «كينت أوكلي» و«سِير ولفود لي كروس كلارك» من جامعة أكسفورد بإجراء تجارب أكثر دقة واستخدموا فيها أشعة إكس، فتبين أن هذه الجمجمة زائفة تمامًا ومصنوعة.

وجاء في التقرير الذي نشر سنة ١٩٥٣م: (إن «إنسان بلتداون» ليس إلا قضية تزوير وخداع تمت بمهارة مِن قِبَل أناس محترفين، فالجمجمة تعود لإنسان

معاصر. أما عظام الفك فهي لقرد أورانج بعمر عشر سنوات، والأسنان أسنان إنسان غرست بشكل اصطناعي وَرُكِّبَت على عظام الفك. وظهر كذلك أن العظام عُومِلَت بمحلول ديكرومايت البوتاسيوم لإحداث آثار بقع للتمويه وإعطاء شكل تاريخي قديم لها). وهناك حادثة «إنسان نبراسكا» فقد عثروا على سِن واحدة لِيُعْلِنوا أن صاحب هذه السن هو الحلقة المفقودة التي يبحثون عنها، ونشروا صورًا خيالية لهذا الإنسان، بل حتى عن حياته العائلية، وقدم علماء التطور هذه السِّنَّ كدليل في محكمة «سكوبس» عام ١٩٢٥م. وعندما اعترض الطرف الآخر سخروا من جهله!! ومع أن المحكمة أصدرت قرارها بإدانة السيد سكوبس، إلا أن الضجة التي أثارها أنصار التطور في الصحافة وفي المحافل العلمية جلبت عطفًا كبيرًا على المتهم، وغضبًا على المحكمة.

وفي هذه المحكمة قدم علماء التطور هذه السن كدليل لا يُنقض على صحة التطور؛ لأنهم اخترعوا من هذه السن الواحدة إنسانًا أَسْمَوه «إنسان نبراسكا» وأطلقوا عليه اسمًا لاتينيًّا رنانًا ليسبغوا عليه صبغة علمية. إذن؛ ألا يحق لنا أن ننظر بعين الشك إلى جميع التفسيرات المقدمة من قبل علماء التطور ولجميع ما يعدونه أدلة في هذا الصدد وهم بهذه الدرجة من البعد عن الحياد العلمي؟ أجل لقد خرجت نظرية التطور من كونها نظرية -أو فرضية- علمية يمكن دراستها ووضعها على المحك مثل النظريات العلمية الأخرى، وأصبحت «أيدولوجية» عند علماء التطور يدافعون عنها حتى ولو تَطَلَّبَ الأمر القيام بعمليات تزوير مُشِينة. ولكن، لماذا أصبحت نظرية التطور أيدولوجية؟ لأنها النظرية العلمية الوحيدة التي يمكن أن تؤدي إلى الإلحاد، لكونها تدعي القيام بتفسير نشأة الكون



والحياة دون الحاجة إلى الخالق. فإذا ظهر أن كل نوع من أنواع الأحياء خلق على حدة، وأن الحياة لم تظهر نتيجة مصادفات عشوائية؛ لأن هذا أمر مستحيل، وأن الأحياء لم تتطور عن بعضها البعض، فلا يبقى هناك أي مجال أمام جميع العلماء سوى الإيمان بالله تعالى[١]. كذلك هذه النظرية مهدومة بالحلقات المفقودة في كيفية التطور عبر ملايين السنين بين كل مرحلة ومرحلة، فهو يقول: إن التطور تم عبر مئات السنين أو ملايين السنين، فإذا حدث ذلك وحتى تتحول الخلية إلى حيوان دودي، فما هي الحلقة المفقودة بين الخلية والدودة؟! وأين الحلقة المفقودة بين حيوان الدود حتى يصبح على صورة أخرى حيوانًا رخويًّا، وقد تم أيضًا عبر حقب كثيرة من الزمان، ما هي الحلقة المفقودة بينهم حتى نقول بأن هذا الحيوان كان كذا وأصبح رخويًّا، أين هذه الحلقة المفقودة وأين وجودها على الأرض؟ فبالطبع كل هذا الكلام يهدم النظرية شيئًا فشيئًا، والعلماء يقولون: إن هذه النظرية هُدمت بعدة أدلة تشريحيًّا وجيولوجيًّا، وعندما نظرنا في علم الأجنة ومراحل تكون الإنسان في رحم أمه لم نجد به أي إشارة عن التطور.

تنبيه هام:

ينبغي أن ينتبه الباحثون المسلمون قبل الخصوم من المخالفين إلى أننا لسنا نعترض على نظرية داروين لمجرد أنها مخالفة لما جاء به النص عندنا فقط،! كلا! وإنما نعترض على المنطق العقلي المعرفي نفسه الذي به استجاز الطبيعيون أن يبحثوا في الكيفية التي تحولت بها المادة الميتة إلى كائنات حية، حتى زعموا أنها كلها تتنزل من أصل واحد تتفرع عنه كفروع الشجرة! بمعنى أن أصل النزاع بيننا وبينهم

(١) «حقيقة الخلق ونظرية التطور» (كولن).

ليس فيما إن كان قد عثر على حلقة مفقودة أو لم يعثر عليها، ولا فيما إن كان ثمة حفريات تحولية كتلك التي يتحداهم النصارى بالعثور على شيء منها! أصل النزاع في الجواز العقلي لافتراض أن الخلق وقع بِتَراكُمِ الصدف العشوائية عبر بلايين السنين، ليس فقط لأن ظهور تلك المعلومات الكونية الحاكمة لما هو صالح وما ليس بصالح في نظام الحياة على الأرض لا يعقل أن يكون الانتخاب الطبيعي الأعمى والتطفر العشوائي الدارويني طريقًا إليه، ولكن لأن الأصل المنطقي الذي على أساسه بات القوم يتطلعون لمعرفة تفاصيل الحدث الذي به أنشأ الخالق تلك الكائنات الحية على الأرض من غير مثال سابق، من خلال وسائل العلم الطبيعي وَأَقْيِسَتِه = أصل فاسد عقلًا ينبغي أن لا نقبله! فالمسألة إذن ليست فيما إذا كانت النظرية الداروينية نفسها قد وافقت أو خالفت ما لدينا من خبر النص في خلق البشر والدواب والطير. المسألة أعمق من هذا بكثير في الحقيقة!

الإعجاز العلمي ونظرية انفجار الكون العظيم:

بداية يجب التنبيه على أنه لا يصح أن نُنزل الاكتشافات العلمية التي يتم اكتشافها على الآيات القرآنية، فلا يصح أن نأخذ نظريات تكلمت عن الخلق والتكوين والحياة وننزلها على الآيات القرآنية، هذا خطأ كبير جدًّا، لماذا؟ لأن مآله إلى هدم الدين مِن حيث لا يشعرون؛ لأن النظرية كما ذكرنا قابلة للصواب والخطأ، فماذا لو ثبت خطأ نظرية ما، فَسَّروا بها القرآن واكْتُشِفَ خَطَؤُها سيقول الغرب: إن القرآن غير صحيح، والخطأ الكبير الذي وقعوا فيه أيضًا أنهم قالوا: إذا أصبحت النظرية حقيقة أكيدة ووجدنا في القرآن آيات تؤيدها فهذا تفسيرها، وأنزلوا ذلك على الخلق والحياة والتكوين، قالوا: أصبحت حقائق فأخضعوا



آيات القرآن لتفسير علماء الطبيعة، مثل نظرية انفجار الكون العظيم التي تتحدث عن كيفية بدء الخلق.

نظرية انفجار الكون العظيم (Big Bang):

تنصُّ على أن الكون نشأ من كتلة واحدة مضغوطة حراريًّا، انفجرت وتباعدت وتمددت أجزاؤها وتناثرت، ثم بدأت العناصر تتشكل، ثم تشكلت النجوم والمجرات والكواكب.. بعض التقديرات الحديثة تُقدّر حدوث تلك اللحظة قبل ١٣,٨ مليار سنة، والذي يُعتبر عمر الكون عندهم. وبعد التمدد الأول، وبعد مرور ثانية واحدة من الانفجار العظيم ظهرت الجزيئات الأساسية: الكواركات، الإلكترونات، الفوتونات... وبعد ذلك انسحقت هذه الجزيئات مكونة النيوترونات والبروتونات. بعد ذلك بثانيتين، أي عند «الثانية» الثالثة بدأت البروتونات والنيوترونات في الاتحاد مع بعضها البعض مُكَوِّنَةً نوى العناصر البسيطة: الهيدروجين، الهليوم، الليثيوم. ورغم تكوّن نويات إلا أن الأمر احتاج آلاف السنين لكي تعلق الإلكترونات في مدارات حول تلك النوى مكونة بذلك ذرات مستقرة. ثم الْتَأَمَتْ سُحُبٌ عملاقة من تلك العناصر الأولية بالجاذبية لتُكوِّن النجوم والمجرات، وتشكّلت عناصر أثقل من خلال تفاعلات الانصهار النجمي أو أثناء تخليق العناصر في المستعرات العظمى إلى أن أصبح الكون على شكله الحالي. وهذه النظرية إن كان قال بها بعض مَنْ يتكلم في الإعجاز العلمي مثل د. زغلول النجار، مُسْتَدِلِّينَ بآيات قرآنية على ثبوت هذه النظرية، وهذا كلام خطأ تمامًا كما ذكرنا لأنها نظرية، ثم إن الاستشهاد بهذه النظرية على بداية خلق الكون ساقط. يقول الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ

أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٠] وقوله في سورة الذاريات: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات:٤٧] هذا هو متعلق مَن يتكلم في الإعجاز العلمي في دعواهم أن تصور الانفجار العظيم يُوافق خبرَ القرآن في خلق السماوات والأرض، مع علمهم بحصول المخالفة بين تفاصيل النظرية وتفاصيل أخبار خلق السماوات والأرض عندنا في المقابل! ولا مشكلة عندهم في هذه المخالفة أصلًا! فجميع التفاصيل أمرها يهون كما يقولون بلسان الحال، ما دمنا قد وقعنا على قولٍ لبعض المفسرين يمكن حَمْلُه على الموافقة! مع أن التفاصيل هذه فيها عندنا نصوص هي أَصْرَحُ في كونها تتناول قصة خلق السماوات والأرض من هذين النصين، وهي أثقل في بنائها للتصور المعرفي لدى المسلم لتلك القصة منهما؛ إذ هي صريحة في وصف تلك الأحداث حدثًا بعد حدث، وليس في شيء منها مع ذلك ما يوافق قصة الانفجار الكبير هذه أصلًا، دع عنك مخالفة الوصف النصي لأفعال الخالق فيها لهذا التصور الطبيعي الذي تقوم عليه تلك النظرية، فلننظر أولًا فيما ورد في تفسير آية الأنبياء من أقوال أئمة التفسير رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ. اختلف المفسِّرون في قوله تعالى: ﴿ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَا ﴾ [الأنبياء:٣٠] على أقوال ثلاثة:

الأول: أنَّ السماوات كانت رتقًا لا تمطر، وكانت الأرض رتقًا لا تنبت، ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات. رواه عبد الله بن دينار عن ابن عباس وبه قال عطاء وعكرمة ومجاهد في رواية والضحاك.

الثاني: أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين ففتقهما الله تعالى. رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة.



الثالث: أنه فتق من الأرض ست أرضين فصارت سبعًا، ومن السماء ست سماوات فصارت سبعًا. رواه السدي عن أشياخه وابن أبي نجيح عن مجاهد. هذه الأقوال الثلاثة ليس منها ما يمكن أن يوحي بشيء من الموافقة لتصور الانفجار أو الانتشار عند مَن يدري اللسان العربي حق الدراية. فلفظة فتق ليست مرادفة للفظة فجَّر بحال من الأحوال. الفتق إنما يكون بالمباعدة بين متلاصقين، أما التفجير فَنَسْفٌ ونثر وتدمير، أو في حالة نظرية الانفجار: (انتشار سريع للطاقة في جميع الجهات بما يشبه الانفجار)، ولا تستوي الصورتان أصلًا. وقد وردت لفظة فجَّر في القرآن في غير موضع، كما في قوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴾ [الكهف:٣٣] وقوله: ﴿ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإسراء:٩١] وقوله: ﴿ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾ [يس:٣٤] وقوله: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [القمر:١٢] ونحوها.

فهل يستوي المعنى عندهم لو وضعنا لفظة فجرنا في محل فَتَقْنَا في هذه الآيات؟ كلَّا - ولا شك، ولهذا لم يقل سبحانه كانتا رَتْقًا ففجرناهما، والأمر واضح لمن تأمله بِتَجَرُّدٍ. ثم إن النظرية يعتقد أصحابها أن الانفجار المزعوم كان سببًا في نشأة المادة نفسها بأنواعها المختلفة التي تكونت منها النجوم وما يدور حولها من كواكب، وهو التصور السائد عندهم الآن. ففي الوقت الذي يجب على الإعجازيين أن يعتقدوا أن السماء والأرض كانتا جسمين ملتصقين في أول الأمر على القول الثاني الذي تَعَلَّقُوا به. فإن نظرية الانفجار تقول بخلاف ذلك في تصور الحدث نفسه الذي هو أشبه بالانفجار أو الانتشار السريع لا الفتق، وفي تصور الشيء الذي وقع عليه ذلك الحدث الذي هو الطاقة لا الأجسام المتلاصقة التي يتصور وقوع الفتق عليها، وهي في حالتنا: جسم يُقَالُ له الأرض وجسم أو أجسام يقال

لمجموعها السماوات، ومع ذلك فقد تعلق عامة الإعجازيين بالقول الثاني: أن السماء والأرض كانتا ملتصقتين ففتقهما الله تعالى متخذين من نظرية الانفجار الكبير مرجحًا له، ومتخذين منها في نفس الوقت دليلًا على صدق الآية.

القول الثاني: مستنده عند المفسِّرين ما رُوِيَ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٠] يقول: ملتصقتين، قال ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى منبهًا على قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء وقهره لجميع المخلوقات، فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ أي الجاحدون لإلهيته، العابدون معه غيره، ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق، المستبد بالتدبير؟ فكيف يليق أن يُعبَد معه غيره، أو يُشرَك به ما سواه، ألم يروا أن السماوات والأرض كانتا رتقًا، أي كان الجميع متصلًا بعضه ببعض، متلاصقًا متراكمًا بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه، فجعل السماوات سبعًا، والأرض سبعًا، وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمطرت السماء وأنبتت الأرض، ولهذا قال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٠] أي وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئًا فشيئًا عيانًا، وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء.

في هذا الأثر الذي أورده ابن كثير في تفسيره، يقرِّر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تصورًا يغفل عنه كثير من أصحاب الإعجاز ممن تمسكوا ببعض ما روي عنه في تلك المسألة، وهو أن رتق السماء كان هو سبب ظلمتها، فلما فتقها الله تعالى خرج منها النور وامتاز الليل من النهار. بمعنى أن السماء خلقت مظلمة ثم أخرج الله

الضياء من الشمس والنجوم بذلك الفتق. فهل هذا ما تنصُّ عليه نظرية الانفجار الكبير؟ كلَّا، ولا شك! بل تنص على أن الطاقة وفوتونات الضوء تحولت إلى نجوم ملتهبة، انفصلت عنها الأرض الملتهبة والفوتونات الصادرة عن المواد المنصهرة هي مصدر جميع الضياء في الفضاء، فكان الأمر مغمورًا في الضياء أول الأمر ثم ظهرت الظلمة (وامتاز الليل من النهار بعدما جفت الأرض وأصبحت كُرَةً صلدة جافة لها وجه مقابل للشمس وظهر مغيب عنها! والمشكلة، ليست في هذه المخالفة نفسها! إنما المشكلة المعرفية الكبرى إما بِرَدِّ هذا التأويل للأثر أو بِرَدِّ الأثر نفسه بالكلية، فلعله إن كان ذا حظ من الدراية في الشريعة يسعى في ذلك بنقد الأسانيد على ما لا يشتغل به أئمة التفسير أصلًا ولا يحتاجون إليه، بل وبما لم يكن منه هو نفسه من هذه الرواية من روايات ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا التي قد تبدو أَلْيَقَ وأوفق لما يريد، فإن لم يجد سبيلًا إلى تضعيفه، فَسَتَرَاهُ يصرح بأن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قد أخطأ التصور، وأنه كان مرهونًا في ذلك بحدود ما كان متوفرًا لديه من العلم! كل هذا حتى لا يقع في مخالفة نظرية الانفجار الكبير أو غيرها من نظريات العلم الطبيعي في هذا الشأن ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فواقع الأمر أن العلم الطبيعي أصبح عند الإعجازيين- هداهم الله -من غير أن يشعروا- هو العلم، ولا علم يعلو عليه، تمامًا كما هو عند خصومهم من الماديين الملاحدة، ذلك أنك ترى نظريات القوم تصبح في النهاية! هي المعيار المعرفي الراسخ والركن العلمي المتين الذي عليه يقبل إخواننا أو يردون ما جاءنا من آثار أئمة العلم بكتاب الله في تلك المسألة ونحوها، على قلة دِرَايَتِهم بأصول فلسفة العلم الطبيعي ومراتب النظريات العلمية الطبيعية في القوة والضعف، وإلى الله المشتكى.

والأمر ليس كذلك: فليس هذا ما تنص عليه نظرية الانفجار كما هو معلوم، فهي تنص على أن مادة الكون لم تكن قد تكونت أصلًا، وإنما كانت الطاقة مضغوطة كلها مركزة تركزًا كبيرًا في نقطة صغيرة للغاية عند درجة عظيمة من الضغط والحرارة! فلم يكن في لحظة الانفجار شيئان متلاصقان يصح أن يقال لهما ففتقناهما وهذا واضح! ولكن قد يُقَالُ ها هنا: إنه يجوز في اللغة أن يُطْلَقَ الشيءُ وَيُراد متعلقه على سبيل الكناية، على اعتبار أن ذلك الحدث الأول كان وقوعه سببًا في انفصال المادة إلى ما تركبت منه كل من الأرض والسماوات، ونقول: إن الإشكال لا يزال قائمًا في تصور معنى الفتق نفسه على هذا القول الذي يختارونه في تأويل الآية، فإنه بعيد عن صورة هذا الحدث عند أصحاب النظرية. فإن قالوا: إن فيه إشارة إلى ما يعتقده الطبيعيون من انفصال الأرض عن الشمس كَكُتْلَةٍ ملتهبة، أي في مرحلة تكون المجموعة الشمسية نفسها، قلنا: فما وجه إصراركم على ربط الآية بنظرية الانفجار الكبير لا بهذه المسألة تحديدًا؟ وجه ذلك أن الآية لم تتكلم عن الشمس والأرض، وإنما عن السماوات والأرض، فاستحسنوا القول بجعلها الانفجار الكبير الذي تكونت فيه السماوات والأرض كلها! ووجهه كذلك عندهم أنه قد ورد من التأويلات ما يجعل مراد الآية فتق السماء الواحدة إلى سبع، والأرض الواحدة إلى سبع، وهو ما قد يوافق -إجمالًا- التصور القائل بأن الكون بدأ من شيء مضغوط قد بُوْعِدَ بين أجزائه لِتتكونَ منه السماوات والأرض.

✍ **قال ابن كثير**: كانت السماء واحدة ففتق منها سبع سماوات، وكانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أرضين، وهكذا قال مجاهد، وزاد: ولم تكن السماء والأرض مُتَمَاسَّتَيْنِ. وقال سعيد بن جبير: بل كانت السماء والأرض ملتزقتين، فلما



رفع السماء وأبرز منها الأرض، كان ذلك فتقهما الذي ذكر الله في كتابه.. ولكن تظل المفارقة المعنوية الواضحة بين الفتق والانفجار عثرة لا يسعهم التغلب عليها. وواقع الأمر أنَّ ابن عباس الذي تَعَلَّقُوا بروايته قد نقل عنه القول الأول كذلك.

يقول ابن كثير: حدثنا حاتم عن حمزة بن أبي محمد، عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رجلًا أتاه يسأله عن قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]. قال: اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله، ثم تعال فأخبرني بما قال لك، قال: فذهب إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فسأله، فقال ابن عباس: نعم كانت السماوات رتقًا لا تمطر، وكانت الأرض رتقًا لا تنبت، فلما خلق للأرض أهلًا فتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال ابن عمر: الآن قد علمت أن ابن عباس قد أُوتِيَ في القرآن علمًا، صدق هكذا كانت، قال ابن عمر: قد كنت أقول ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن علمت أنه قد أُوتِيَ في القرآن علمًا.. ثم حتى على التسليم بصحة التصور الذي تقول به النظرية وموافقته لمجموع ما جاء به النص في أخبار خلق السماوات والأرض، فبأي وجه يكون ثبوت النظرية في نفسه مرجحًا لِقَوْلٍ من الأقوال الثلاثة دون غيره في تأويل هذه الآية؟ هذه هي الإشكالية الأصولية. وما وجه استناد الإعجازيين على النظرية وحدها في اختيار القول الثاني وإدماجهم القول الثالث به كما يبدو، وإهمال القول الأول؟ نحن نفهم أن يَتَطَرَّقَ لإثبات هذه الموافقة -على سبيل الاستطراد أو على سبيل إثبات صدق النبوة- مَن سبق أن ترجح لديه القول الثاني تحقيقًا من مجموع ما يعتبر بمثله في ذلك من مرجحات، أما أن يقف الناظر بين الأقوال موقف حياد، ثم يجعل من ظهور النظرية وثبوتها لديه مرجحًا للقول الثاني يثبت أن هذا هو مراد الله من كلامه، فهذا ما لا يظهر في العقل ولا في النظر، فنحن قد نسلم

بصحة الانفجار الكبير بوصفه أول حدث في خلق الكون، ومع ذلك يترجح لدينا القول الأول، وهو قول الجمهور، وهو الأرجح في تأويل الآية! فلا وجه في أصول التفسير ولا في أصول العقل نفسه لأن ينتقيَ المعاصرون من بين أقوال المفسرين ما هو أقرب لِتصور الانفجار الكبير، لمجرد أنه أقرب لتصور الانفجار الكبير! والذي يترجَّح لنا في الحقيقة هو قول الجمهور في تأويل الآية، وهو القول الأول: أن السماوات كانت صماء لا تمطر ففتقها الله وأنزل منها المطر، وأن الأرض كانت صماء لا تنبت ففتقها الله وأنبت منها الزرع، والله أعلم بِمُرَادِهِ.

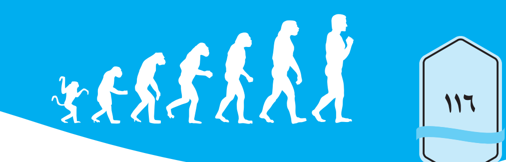
وأظهر دليل لدينا في ترجيح هذا القول: أن النصف الثاني من الآية يتناول خلق الحياة على الأرض من الماء، حيث يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠]، فناسب أن يكون القسم الأول منها في فتق السماء لإنزال الماء وفتق الأرض لإنبات الزرع. فهل هذا الدليل ونحوه يلزمنا الزوال عنه من مجرد قبول نظرية الانفجار الكبير؟ لا وجه لذلك ألبتة. أما المتعلّق الثاني عندهم: فهو قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:٤٧] قالوا: إنَّ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ يوافق ما ذهب إليه الفلكيون اليوم من اعتقادهم أن الكون ماضٍ في التوسع، وأن المجرات تتباعد بِاطِّرَادٍ. وفي الآية خمسة أقوال، أَوْجَزَهَا ابنُ الجوزي في زاد المسير:

أحدها: لموسعون الرزق بالمطر؛ قاله الحسن.

والثاني: لموسعون السماء؛ قاله ابن زيد.

والثالث: لقادرون، قاله ابن قتيبة.

والرابع: لموسعون ما بين السماء والأرض؛ قاله الزجاج.





والخامس: لذو سعة لا يضيق عما يريد؛ حكاه الماوردي. فذهب هؤلاء إلى انتقاء القول الثاني وترجيح وجهه اللغوي لظهور الموافقة كما صَنَعُوا بآية الأنبياء.

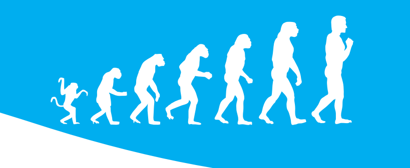
فلماذا لا يترجح القول بأن ﴿لَمُوسِعُونَ﴾: نوسع الرزق في السماء والأرض على العباد كما نريد، قالوا: على هذه الصياغة تقتضي أن يكون المراد أن التوسعةَ واقعةٌ الآن بالفعل، وأن تكون السماء ماضية في الاتساع تحقيقًا. وهذا ليس بلازم، وفي القرآن نفسه ما يثبت عدم لزومه. فالموسع وصف ذات يصح في اللغة أن يطلق على الكريم ذي السعة، من غير أن يلزم أن يكون متلبسًا بالتوسعة حال وصفه بها. وهذا هو الأقرب إلى ذهن السامع في هذا المقام، والأوفق لأسلوب القرآن في ختم بعض الآيات بصفات الذات اللائقة بالمعنى المثبت فيها.

والسؤال الآن: كيف يكون ثبوت استمرار السماء الدنيا (الكون المنظور) في التوسع والتمدد، دليلًا على أن الراجح من هذه الأقوال جميعًا إنما هو القول الثاني الذي تظهر فيه موافقة هذا المعنى؟ نقول: إنَّ حدث البناء والتكوين والخلق قد تم وانتهى في نصوصنا بنهاية واضحة، يوم أن استوى الرب جَلَّ وَعَلَا فوق العرش، بعد أن قضى في كل سماء أمرها. فلا يصح أن يحمل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ حمولة تصور «الفلكيين» لكون السماوات ماضية في مزيد من الاتساع بداية من حدث النشأة الأولى وإلى الآن. والكلام في الآية إنما جاء في سياق الإخبار عن حدث البناء الأول، ليبين أن ذلك البناء كان بقوة تليق بالموسع ذي القدرة سبحانه. ولا يلزم من هذا أننا ننفي ما ذهب إليه «هابل» ووافقه عليه عامة الفلكيين المعاصرين من كون الأجرام السماوية البعيدة ماضية في تباعد مطرد، استنتجوه

باعتباره أسـهل التفسـيرات المتاحة حاليًـا وليس عندنا ما يمنع مـن أن يكون من جملة ما قضى الله من أمر في تلك الأجرام المنظورة لنا في السماء الدنيا. ولكن القول بِاطِّراد هذا الاتسـاع في الماضي وصولًا إلى حدث الخلق الأول، واطراده في المكان وصـولًا إلى حافة الكون التي نؤمن بأنها حق ثابت على خلاف كثير من الفلكيين، هذا ما لا نقبله. هذه السـماء الدنيا لا تتصور عقولنا سـعتها ولا تتصور كيف هي حقيقة حدها الذي يفصلها منها إلا الشيء اليسير، فعلى أي شيء حمل لفظ القرآن ما لا يحتمله، ثم يقال إن هذا من أوجه الإعجاز ودلائل صدق النبوة؟

خلاصة الأمر في نظرية الانفجار الكبير:

ترتَّب على ما تقدم بيانه في المبحث السـابق بقسميه، أن نظرية الانفجار الكبير لا تقوم على أساس عقلي صحيح. فهي تقوم على دعوى إمكان الوصول لكيفيات وتفاصيل حدث النشأة الأولى للكون -الذي هو غيب مطلق بالنسبة لنا بضرورة العقـل- مـن تتبع قرائن ظاهـرة تدل بزعمهم على ذلك الحدث دلالة الشـبيه على شـبيهه، والنظير عـلى نظيره، وهذا قيـاس باطل؛ لامتناع أن يكون حدث النشـأة الأولى بجميـع تفاصيلـه خاضعًـا للقانون الذي كان سـببًا في إنشـائه بالأسـاس، فلا قياس له في محسوسنا، ومن ثم؛ فلا يجوز في العقل أن يوصل إلى معرفة وقائعه من طريق أَقْيِسَةِ الاستقراء الحسي التي يقال لها الطريقة العلمية الطبيعية، ونقول: ما مِن شـك في أن نظرية الانفجار الكبير قد وضعت كثيرًا من الملاحدة في حرج، فعـلى التسـليم تَنَزُّلًا بصحة المسـلك الاسـتدلالي الذي أوصل إلى القـول بجعلها منشأ السـماوات والأرض، فإنها تبدو للوهلة الأولى وكأنها تحسم النزاع الفلسفي





في مسألة حدوث العالم، وتسحب البساط مِن تحت من يزعم أن الكون أزليٌّ وأنه هو الوجود المطلق وليس في الوجود سواه.

ولكن مَن أمعن النظر وَدَقَّق وتَفَحَّص، يجد أن الأمر ليس كذلك في الحقيقة. ذلك أن الذي يريد محاجة الملاحدة بهذه النظرية ولو على سبيل التنزل، فإنه مضطر كما رأينا للتسليم بأنها لم تكن بداية الكون فحسب، ولكن كانت بداية الزمان والمكان كذلك؛ لأنَّه لو قال: إنها بداية الكون وَحْدَه وليست بداية مطلق الزمان والمكان، لانفتحَ البابُ لاحتمالاتٍ كثيرة، على رأسها إمكان اعتبار الحدث مِن قبيل الحوادث الكبرى التي جرت على جسم موجود مسبقًا في فراغ مسبق له امتداد زماني إلى الماضي السحيق (وهذا التصور يرفضه عامة النسبانيين بمقتضى نموذج مينكوفسكي للزمكان، ولا حجة عند مَن يقبل بجعل الانفجار الكبير بداية للكون المنظور، ويرفض -في نفس الوقت- أن يكون بداية للمتصل الزمكاني النسباني؛ إذ لم يوضع ذلك المتصل الرياضي إلا لدراسة أحداث هذا الكون المنظور بالأساس! ولكن القبول بكون الانفجار المزعوم بداية لكل من الزمان والمكان كذلك، يقتضي أحد أمرين، كلاهما باطل: إما التسليم بصحة التصور الأنطولوجي الشائع عند الفيزيائيين القائل بأن الزمان والمكان أشياء حقيقية موجودة في الواقع وليست فقط تصورات ذهنية لعلاقة الأشياء أو الأحداث بعضها ببعض وهذا باطل محض، وإما إبطال وجود الخالق أصلًا، والتسليم بأنه لم يكن قبل الانفجار إلا العدم المحض! فإن قيل: إنَّنا يمكننا أن نقبل بجعل الانفجار الكبير بداية للكون دون التسليم بتصور النسبانيين في أن مطلق الزمان يبدأ عنده، على اعتبار أن المقصود بالزمان هو كل ما تُقَاسُ به الأحداثُ بالنسبة إلى بعضها البعض،

وليس مقصورًا على ذلك البعد الهندسي في نموذج الزمكان الرياضي، قلنا: إن هذا ضربٌ من التناقض في الحقيقة؛ لأن مَن يقبل بالمنطق القياسي الذي اتبعه المستَدِلُّون بأدلة الانفجار الكبير للوصول إلى إثبات جعله نقطة منشأ وبداية هذا الكون، فلا حجة له في رفض المنطق القياسي نفسه الذي به قيل إن الزمان كله لم يبدأ إلا عند تلك النقطة! ذلك أن منطق الانفجار الكبير في القياس يقوم على اعتبار أن ما نراه الآن من أحداث الكون المنظور، مطرد في جميع الكون، ما نراه منه وما لا نراه، وإلا ما أجازوا القول بأن ذلك الحدث هو بداية الكون كله! وهذا المنطق نحن نرفضه جملة وتفصيلًا؛ لأننا ندري من خبر الوحي أنَّ هذا الذي نراه ليس إلا شطرًا من السماء الدنيا وحدها، التي هي حلقة في فَلَاةِ السماء التي تليها، في طبقات سبع تنفصل كل منها عن التي تليها بفواصل لا يعلمها إلا خالقها[1]. دع عنك أن هذا الترتيب الطبقي لا يمكن للقائل به أن يقبل هذا أو ما يقاس عليه كما بينا.

عقيدة التطويريين (أو القائلين بالتطور الموجه):

تنطلق تلك الطائفة الجديدة في مسعاها النكِد هذا مستندة إلى تأويل بدعي لقوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت:٢٠]. فهم يعتقدون أن الآية تأمرهم بالتنقيب في الحفريات للبحث في الكيفية التي بها جرت أحداث الخلق الرباني للدواب وسائر المخلوقات الحية على الأرض، حتى يصلوا بذلك إلى نظرية «علمية» بهذا الشأن. هذا التأويل الهزلي تَعلَّق به الدكتور

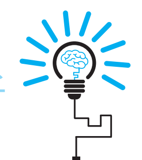
---

(١) آلة الموحدين.

«عمرو شريف» وذكره في كتابه الموسوم «كيف بدأ الخلق» وكأنه من مسلمات المسلمين، وكأن أحدًا من أهل العلم بالشريعة والقرآن لن يُجادله فيه وفي المصدر الذي جاء به منه! ولا شك أن مَن يجترئ على إحداث تأويل كهذا، وهو يعلم أنه لا قائل به من المسلمين قبله، لابد وأن يكون ممن لا يقوم في نفوسهم أي وزن للإجماع أصلًا، ولا قيمة عندهم لفهم الأولين، ما لم يخدم ذلك الفهم غايتهم ويأتي على مزاجهم، وهذا من الأصول الاعتزالية «العقلانية» التي تتسم بها تلك الطائفة إجمالًا.

والقول في تأويل آية العنكبوت هو كما قال أئمة صنعة التفسير رحمهم الله تعالى، يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَوْله: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ يَقُول تَعَالَى ذِكْره لِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا مُحَمَّد لِلْمُنْكِرِينَ لِلْبَعْثِ بَعْد الْمَمَات، الْجَاحِدِينَ الثَّوَاب وَالْعِقَاب: سِيرُوا فِي الْأَرْض فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الله الْأَشْيَاء وَكَيْفَ أَنْشَأَهَا وَأَحْدَثَهَا؛ وَكَمَا أَوْجَدَهَا وَأَحْدَثَهَا ابْتِدَاء، فَلَمْ يَتَعَذَّر عَلَيْهِ إِحْدَاثهَا مُبْدِئًا، فَكَذَلِكَ لَا يَتَعَذَّر عَلَيْهِ إِنْشَاؤُهَا مُعِيدًا ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ يَقُول: ثُمَّ الله يُبْدِئ تِلْكَ الْبَدْأَة الْآخِرَة بَعْد الْفَنَاء. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْل التَّأْوِيل» اهـ.

أي: سيروا في الأرض فانظروا يا عقلاء كيف أن الله قد أنشأ الخلق الأول وبدأه تحقيقًا، بدليل هذا الخلق الذي تَرَوْنَهُ ماثلًا أمامكم في الأرض حيثما ذهبتم، وهو معنى واضح يخاطب به العوام والخواص في كل زمان ومكان، ويخاطب به أهل كل ثقافة وحضارة على اختلاف مقدار ما لديهم من العلوم والمعارف، ولا يُشترط فيه علم مخصوص (كعلم الأركيولوجيا والباليونتولوجي مثلًا!!)، اللهم إلا فهم اللسان العربي الذي كان هؤلاء المبتدعة مِن أَجْهَلِ الناس به! وهذا المعنى الواضح



الصريح يعضده تأويل الآية السابقة لهذه مباشرة؛ حيث يقول تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [العنكبوت:١٩]، فهي استفهام خبري غرضه إثبات أنهم رأوا بالفعل (أعني المخاطبين بهذا النص يوم نزوله عليهم، وكل مخاطب به إلى يوم الساعة) ﴿ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ﴾، فسهل عليهم أن يقبلوا أنه بعد ذلك ﴿ يُعِيدُهُۥٓ ﴾؛ لأن مثله على الله يسير. يقول ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَقُول تَعَالَى ذِكْره: أَوَلَمْ يَرَوا كَيْفَ يَسْتَأْنِف الله خَلْق الْأَشْيَاء طِفْلًا صَغِيرًا، ثُمَّ غُلَامًا يَافِعًا، ثُمَّ رَجُلًا مُجْتَمِعًا، ثُمَّ كَهْلًا. يُقَال مِنْهُ: أَبْدَأَ وَأَعَادَ، وَبَدَأَ وَعَادَ، لُغَتَانِ بِمَعْنًى وَاحِد. وَقَوْله: ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ﴾ يَقُول: ثُمَّ هُوَ يُعِيدهُ مِنْ بَعْد فَنَائِهِ وَبِلَاهُ، كَمَا بَدَأَهُ أَوَّل مَرَّة خَلْقًا جَدِيدًا، لَا يَتَعَذَّر عَلَيْهِ ذَلِكَ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْل التَّأْوِيل» اهـ. فهذه أشياء يَرَوْنَ خلقها أمام أعينهم يقع كل يوم، يرون بالفعل كيف أن الله يبدؤه مرارًا وتكرارًا ولا يصعب عليه سبحانه، فتقوم بذلك حجة الآية عليهم في أن إعادته من بعد موته خلقًا آخر في يوم الحشر لا تَصْعُب ولا تتعذر على مَن سهُل عليه ذلك الخلق الأول الذي يرونه بأعينهم.

هذا الفهم أجمع المسلمون عليه مِن يوم أن نزل القرآن وإلى يوم الناس هذا، إلى أن خرج هؤلاء ببدعتهم تلك! فنبذوا كلام أئمة التفسير وأهل التأويل خلف ظهورهم، واخترعوا تأويلًا جديدًا على المزاج والهوى، وقالوا: إن الله يأمرنا في الآية بأن نمشي في الأرض لِننظر كيف بدأ الخلق، مع أنه يحاججهم في الآية السابقة عليها مباشرة بأنهم قد رأوا بالفعل كيف ﴿ يُبْدِئُ ﴾ الخلق سبحانه، وليس كيف «بدأ» الخلق في أول الزمان كما فهموا، فإن كانوا من عجمتهم قد اشتبه عليهم لفظة «بدأ» هذا الاشتباه، فما بالهم بلفظة: ﴿ يُبْدِئُ ﴾ (المضارعة) في الآية قبلها؟



قالوا فلما مشينا ونظرنا، وجدنا نظرية تقول لنا إنه بدأ الخلق من خلية واحدة، ثم أخذ يُطَوِّر عليها ويزيدها تعقيدًا بالطفرات، فقبلنا تلك النظرية، وصرنا بذلك أول مَن عمل بأمر تلك الآية في تاريخ الأمة! فإنَّا لله وإنا إليه راجعون. مع أن العقل والبداهة تقتضي أن يكون هذا الذي أمر الله الناسَ بالنظر فيه، شيئًا يسعهم أن يروه حتى تقوم به حجة الآيات عليهم ويتحقق المقصود! فكيف يعقل إذن أن يكون حقيقة هذا الأمر من الله أن: انتظروا عباد الله حتى يأتيكم مَن يمشي في الأرض «ليكتشف» كيف نشأت المخلوقات في أحداث دحي الأرض وبث الدواب فيها، فيتحصل لديكم أن البعث والنشور سيكون ارتقاءً داروينيًّا كما كانت هذه الأحداث «تطويرًا»؟ ما هذا الهراء؟ إنه هراء أهل البدع والأهواء، عافانا الله وإياكم والمسلمين.

وتأسيسًا على هذا التأويل الفاسد المضحك لآية العنكبوت، اعتقدت تلك الطائفة مشروعية الجمع بين الاعتقاد بالخالق وصحة النص القرآني إجمالًا، وبين التسليم بصحة نظرية داروين (كلها أو بعضها)، وذلك من خلال الاستناد إلى المفهوم الأول للعشواء المنظمة الذي سميناه «بصانع الساعات الأعمى»، مع الاحتراز بِادِّعاء أن ذلك «العمى» والنقص ليس لازمًا من مجرد قبول النموذج الدارويني التطوري، وإنما تجري عملية التطور هذه تبعًا للإرادة الإلهية، فيقال لها إذن «التطور الموجه» تارة، و«التطوير» تارة أخرى، على تفاوت في تصورات من وقفت على كلامهم من أصحاب تلك العقيدة، بين مذهبين كُليين يتخبطون تخبطًا واضحًا في الاختيار من بينهما:

١ مذهب مَنْ يَرَوْنَ أن الله قد خلق الكون والسماوات والأرض ثم أودع في الأرض سائر أسباب تكوُّن الخلية الأولى (التي هي السلف الأول لجميع الكائنات عند داروين) ثم «تركها» لتخضع «للنظام الطبيعي» الذي تصوره داروين (الذي حقيقته: عشوائية التطفر وهلاك الأنواع المتخلفة عن التكيف.. إلخ)، من غير أن «يتدخل» في سيرها، مع علمه المسبق بنتائج المسيرة التطورية التي ستجري تحت ذلك «النظام». وهؤلاء في الحقيقة «دراونة» متمحضون في الداروينية كَنُظَرَائِهِم من دراونة أهل الكتاب سواء بسواء، وإنما يزيدون في اعتقادهم في مسألة «النشأة» الأولى على الدراونة الملحدين بأن أضافوا خالقًا يُجاب به عن السؤال: «إذا كانت الكائنات كلها قد تطورت بحسب نظرية داروين من أصل واحد، فَمِنْ أين جاء هذا الأصل الأول؟». فقالوا: جاء مِن الخالق الذي سَبَّبَ له أسبابه، ثم تركه لِيجريَ وحده من غير أن «يتدخل» فيه، مع كونه يعلم مستقبله ومآله، لأنه «بكل شيء عليم»!

٢ مذهب مَنْ يرون أن الله تعالى قد خلق تلك العملية كلها بجميع تفاصيلها (وليس أسبابها الأولى وحسب)، فكل ما ينسبه دارون للعشوائية، فهو عندهم فعل رباني تابع لإرادة مُسبقة، يتسلسل في جملة من الأفعال المتتابعة حتى تجريَ عملية «التطور» هذه في إطار موجه يجعلها تبدو على هذا النحو الذي يعتقدون بأن العلم قد أَثْبَتَهُ. وإنما كان ظاهره فيما يبدو لعلماء الأحياء أنه عشوائي وليس كذلك. فهم في الحقيقة ينفون عن «الطفرة العشوائية» صفة العشوائية (ومِن ثم اسم الطفرة نفسه)، وينفون عن الانتخاب «الطبيعي» طبيعيته (على المفهوم الدارويني)؛ إذ يجعلون ظهور الطفرة متى ظهرت، ووقوع الانتخاب متى وقع، أفعالًا إلهية كلها.

فيعتقدون بذلك أن الله قد قصد وأراد أن يجري الخلق على الأرض في سيناريو «تطويري» مُوَجَّه ظَاهِرُهُ العشوائية الداروينية! وكما سنبين فإن كلا المذهبين ضلالة ولا كبير فرق بينهما؛ إذ ليس بين الحق والباطل إلا الباطل، وإنما يتفاوت القولان في مقدار قربهما وبعدهما عن الحق.

يجب أن يعلم كُلُّ مسلم ابتداءً أن مجردَ القول بأن الخلق كان «تطورًا» أو «تطويرًا» هذا سَبٌّ وَتَنَقُّصٌ لحكمة الله تعالى وعلمه. ذلك أن خالقًا كان لا يخلق إلا خلقًا ناقصًا متخلفًا عن لوازم البقاء في الأرض والاستقرار النوعي، ثم «طور» ذلك الخلق تدريجيًّا و«حَسَّنَه» بما يناسب، حتى يصلح للبقاء، كما تقول نظرية داروين، هذا خالق جاهل عابث، يلعب بلعبة التجربة والخطأ «Try and Error» ولا يدري هل يصلح ذلك الخلق ليبقى أم لا يصلح؟ فإذا ما هلك و أوشك أن ينقرض، خلق فيه «طفرة» جديدة لعلها تُنْقِذُه، فإما تنقذه فيبقى وإما لا تكفيه فيهلك وتهلك هي معه، سبحان الله وتعالى علوًّا كبيرًا! لهذا كان لازم القول بالتطوير في الخلق (على أي وجه كان ذلك التطوير المزعوم) ناقضًا لأصل العقيدة.

فأما المذهب الأول (أ) لهؤلاء «التطويريين»، فالقائلون به نُفَاةٌ لمطلق صفة خلق الحياة بِشَتَّى صورها عن الله عَزَّوَجَلَّ فيما عدا خلق تلك الخلية الأولى الداروينية وحدها. فهم يتأولون خلق الله تعالى للبشر والدواب وسائر المخلوقات الحية على ظهر الأرض بأنه كان عملية داروينية محضة، لم يزد فعل الله فيها على أن أطلقها في بدايتها، ثم إذا بها تمضي في تطور مطرد وفقًا «للقانون الطبيعي» بحسب اعتقادهم من غير «تدخل» منه. وهذا تكذيبٌ لصريح القرآن، وجحدٌ لِصِفَةِ الخلق

عن الرحمن، وقصر الفعل الإلهي في خلق الخلية الأولى وحدها (أو أسباب نشوئها) ثـم تـرك الأمر بعد ذلك للارتقـاء الدارويني يأخذ مجراه! فمهـما زعم هؤلاء أنهم يعتقدون أن الله تعالى هو خالق كل شيء، فَحَقِيقَةُ اعتقادهم تكذبهم! فهو عندهم في واقـع الأمـر خلـق نظامًا طبيعيًّا (هـو الأرض وما فيها ومـا يحكمها من قوانين فيزيقية) ثم وجه بعض الأسـباب لِتنشـأ بذلك خلية أولى، ثم تركها لِتتحرك قصة داروين المزعومة في مجراها المزعوم بتمامه وكماله، فأي «خلق» للدواب والحياة هذا الذي ينسبه هؤلاء إلى الله تعالى؟ هذا وهمٌ لا حقيقة له! وسابقية العلم الرباني التي يزعمونها له والحالة هذه، وهمٌ وباطل أيضًا؛ إذ «العشـواء» وصف لا يوصف به إلا ما لا يمكن التنبؤ به. فكيف يكون الأمر معلومًا للخالق مسـبقًا وهو في نفس الوقت «عشوائي»؟ ما وجه وصفه بالعشوائية إذن؟ هذا تناقض واضح.

وأمـا المذهب الثاني (ب) فحقيقته النسـف التام لِرُكْنَـي نظرية داروين اللذين قام عليهما القول بالتطور والأصل الموحد نفسه، مع التصريح -في نفس الوقت- بقبـول تلـك القصة التطورية البائسـة التي جاءت بها النظرية لظهـور أنواع الحياة على الأرض (تأسيسًا على هذين الركنين)، كعقيدة إسلامية في «الكيفية التي خلق الله بها الخلق» على أنه خلقٌ «متدرج»! فهو كسابقه (المذهب أ) يترك صاحبه عاريًا في الصحـراء، فـلا يقوم اعتقاده في الخلق على نقل صريـح ولا على عقل صحيح؛ إذ يظـن صاحبه ابتداءً أن «كيفية أحـداث الخلق الأول» يمكن الوقوف عليها من طريـق العلـم الطبيعي، فإذا ما تنـاول نظرية الطبيعيين في ذلـك، وأراد أن يجردَها مِـن أصلها الإلحادي (الذي هو بعينه أصلها «الطبيعي» عندهم) لم يبق له منها إلا الدعوى المجردة، ولم يخرج من ذلك إلا بالتنقُّصِ مِن صفات خالقه، وهو يحسب

أنـه يتبـع العلـم الصحيح! فمن غير إثبـات آلية الطفرة العشـوائية عـلى مفهومها الداروينـي، وإثبات آلية الانتخاب الطبيعي على مفهومه الدارويني -فَلَيْسَ لشيء من تلك المشـاهدات المادية التي يتعلق بها أصحاب التطور (كالحفريات وغيرها) أي قيمة إذا ما جُمع بعضها إلى بعض، ولا حقيقة إذن أصلًا لشيء اسـمه «التطور» أو «الارتقاء»، ولا يبقى لذلك المسكين صاحب تلك العقيدة إلا اتهام الرب جَلَّ وَعَلَا بخلـق مخلوقـات ناقصـة مَعِيبة كلها، يكـون الأصل فيها أن تهلك كلها من سـوء الصنـع والخلقة، حتى يبعث فيها بعـد أزمان طويلة، «طفرات» مبعثرة هنا وهناك لزيـادة عضو أو إضافة نظام حيوي كان ناقصًا مِن قبل، فيبقى منها ما «يرتقي» بما فيـه الكفايـة! وقد كان بعضهم يجتهد في محاولة تخليـص وتصفية فكرة التطور من تلك الصورة الداروينية المنحطَّة، بزعمه أن الكائنات الانتقالية التي مِن شـأنها أن تؤكـد صحة التطور إن اكتُشِـفَت، ربما لم تكن من الوفـرة والكثرة بحيث تبقى لها حفريات أصلًا، ومِن ثمّ؛ فلا قيمة للسجل الأحفوري في إثبات التطور؛ لأن هذا التطـور ربما كان في حقيقتـه تطورًا سريعًا عبر أجيال قليلة بنقلات سريعة وحادة، لا من خلال أنواع انتقالية مُشَـوَّهَة كما يقـول الدراونة، فبالله ما هذا الإصرار على التمسـك بتلـك النحلة الباطلـة وذاك التصور الفاسـد للكيفية التـي خلق بها الله أنـواع المخلوقات (التـي لا يمكن إلا أن تكون كيفية فريدة كـما قدمنا، فلا يمكن الوصـول لمعرفتها بالقياس على ما نراه في الكائنات من أحداث كالمسخ أو التغير الجيني أو التكيف[1] أو غير ذلك كما قاس داروين وَمُوَافِقُوه مِن أهل الملل)؟ وقد

---

(١) **التكيّـف (بالإنجليزيـة: Adaptation) أو التطـور الصغـروي (Micro evolution):** في علـم الأحياء هـو عمليـة تطورية تصبح فيها الكائنات الحية متكيفة أكثر للعيـش والتكاثر في بيئتها. ومصطلح التكيف يشير أيضًا لخلة ذات دور وظيفي في تاريخ حياة الكائن الحي تم الحفاظ عليها وتطويرها =

ضرب أحـد هؤلاء مثالًا مضحكًا مبكيًا! حيث قـال ما معناه: إن مَنْ يلعب بلعبة النـرد سـيعجز عن التنبؤ بالقيمة التي سـيخرج عليها ذلك النـرد في كل رمية لأنه مخلوق قاصر، ولكن هَبْ أنه قام بضبط سائر الأسباب ضبطًا محكمًا حتى لا تخرج قيمـة النرد في كل مرة إلا على حسـب إرادته، ألا يكون ذلك مثـالًا جيدًا للتوفيق بـين «التطور العشـوائي» من جهة والخلـق والتوجيه الإلهي مـن الجهة الأخرى؟ فسـبحان الله! كيـف لا يعقل هذا أنـه بذلك يتكلم عن خالـق عابث ناقص يضع نظامًا، الأَصْلُ فيه الفوضى والعشـواء المتجذرة (بلا سببية ولا تعليل = لا خلق)، إلا فيما يسببه هو من الأسباب التي توجهه بإرادته؟ كيف لا يعقل أنه لا يغني عنه شيء أن زعـم أنها عشـواء موجهـة بحيث تظهر للناظر وكأنها عشـواء، مع أنها في الحقيقة نظام محكم متين؟ ألم يسمع قولَ الملك جَلَّ وَعَلَا:

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَـدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢] ألم يسـمع قولـه سـبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك:٣].

=بواسـطة الاصطفـاء الطبيعـي. التكيفـات تزيد مـن صلاحية الكائنـات الحية وفـرص بقائها. الكائنـات الحيـة تواجه أثناء نموها وتطورهـا تحديات بيئية متتابعة، وهي مـزودة بلدونة تكيفية، بحيـث ينمو نمطها الظاهـري بتجاوب مع الظروف المفروضة. قاعـدة التفاعل النهائية لأي خلة هي مهمة من أجل تصحيح التكيف؛ إذ إنها تتحمل نوعًا من الضمان الحيوي أو الرجوعية لبيئات مختلفة. أما التطور الكبروي (Macro evolution): أوانتقال الأنواع وتحول الكائنات إلى كائنات مختلفـة أو أنـواع مختلفة وحتـى الآن هو قائم على الملاحظـة المجردة، وربط المشـاهدات وتحليلها باتجاهٍ معين وهو مالم يقع حتى الآن ولن يقع.

فكيف يستقيم لمسلم يؤمن بتمام حكمة الملك وقدرته وتقديره التام لكل شيء خلقه أن يقول: إن مِن أحداث الخلق ما كان ظاهره «العشواء» فيما يبدو للناس، مع كوننا نجزم بأنه ليس كذلك؟؟ أي ظاهر هذا يا مَن صَحَّ فيه قول الملك جل في علاه: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك:٤]، ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، والكلام الذي قلناه فيمن يعتقد «التطور»، وارد على مَن يعتقد «التدرج» أيضًا؛ لأن السؤال هنا يكون: في أي شيء تعتقد أن خلق الله قد «تدرج»؟ في الإحكام والضبط الذي يؤهل النوع لأن يبقى؟ هذا سَبٌّ لله تعالى، وهو عَيْنُ القول «بالتطور» ولا فرق! ففي أي شيء إذن وقع ذلك «التدرج»؟ في الحسن و«جمال الخلقة» كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤]؟ هذا لا دليل عليه ولا علاقة له بما يستند إليه التطوريون من الأدلة، وإنما تَنُصُّ الآيةُ على أن الله خلق آدم في أحسن صورة من صور المخلوقات التي خلقها وقومها على الأرض سبحانه، وعند هذا الحد نقف ولا نزيد إلا بدليل. ولكن مهما تكلم الإنسان في «تدرج مزعوم» في الخلق في هذه الخصلة أو تلك، فقد جاء بما لا دليل عليه عند أحد من البشر إلا ما يتعلق به الدراونة من شبهات، فيقال فيه كما يقال فيهم!

ومما يؤسف له غاية الأسف حقيقة، فتوى في غاية العجب، أسأل الله الهداية لمن أَفْتَى بها، يقول صاحبها في الجواب عن سؤال حول أصل الإنسان وموقفنا من نظرية داروين في هذا الشأن: «ورد أن الله خلق الإنسان نوعًا مستقلًّا لا بطريق النشوء والاشتقاق من نوع آخر، وإن كان كلا الأمرين من الجائز العقلي الذي

يدخل تحت قدرة الله تعالى، (و) لا يوجد في النصوص أن الله خلق الإنسان الأول من تراب دفعة واحدة أو بتكوين متمهل على انفراد، فسبيل ذلك التوقف وعدم الجزم بأحد الأمرين حتى يقوم الدليل القاطع عليه فنعتقده ما دام الذي فعل ذلك كله هو الله تعالى..، ولا حرج في اعتقادها ما دام الله هو الذي خلقها ووجهها، فهي لا تحقق وجودها من نفسها: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام:١٠٢]، فهو خالق المادة والنواميس» «فتاوى الأزهر» (ج٧ص٣٩٩) فحاصل الفتوى – أنه يجوز أن نعتقد أن الله تعالى خلق الإنسان «بتكوين متمهل على انفراد» إذا ما قام الدليل العلمي «القاطع» على ذلك! فإن لم يكن هذا تعريضًا بمشروعية اعتقاد صحة خرافة داروين في أصل الإنسان، فهو فَتْحٌ للباب أمام ذلك الاعتقاد ولا شك، وتجويز لحصوله عند المسلمين في يوم من الأيام، والله المستعان!

مع أن لنا أن نسأل هذا المفتي، ما مرادك «بتكوين متمهل على انفراد»؟ هل هو تصور الدراونة لمخلوق يخلقه الله تعالى أبتر أعرج منقوص الأعضاء، ثم تظهر له أعضاء جديدة مع كل طفرة «عشوائية» (على مهل) حتى يصبح في يوم من الأيام نوعًا صالحًا للبقاء؟ أم أنه تكوين الإنسان من سلالة الهومينيد (القردة العليا) قردًا بعد قرد، كما يعتقده داروين وأتباعه؟ يبدو أنها ليست الثانية؛ لأنه يقول «على انفراد»! فما معنى «تكوين متمهل» هنا إذن وكيف نَفْهَمُها في هذا السياق؟ وما معنى أنه لا يوجد في النص ما يدلُّ على أن الله تعالى خلق الإنسان من تراب «على دفعة واحدة»؟ ما مُرَادُك من «دفعة واحدة» هذه؟ النص صريح – والأمة مطبقة على فهمه – في أن الله تعالى خلق آدم بيده من صلصال خلقًا كاملًا، إلا أنه سبحانه



لم ينفخ فيه الروح مِن فَوْرِهِ ولكن أرجأ ذلك حينًا من الدهر لحكمة لديه سبحانه. فـآدمُ قد خُلِـقَ على صورته الكاملة من الصلصال «دفعة واحدة» وفي مرة واحدة، وهي عقيدة المسلم التي لا يجوز له إبدال غيرها بها! فهل تدعونا هذه الفتوى إلى البحث في الكيفية التي خلق الله بها آدم بيده في ذلك الحدث الغيبي المحض، وتجيز لنا أن يأتينا دليل (قاطع) من غير طريق الوحي يخبرنا في يوم من الأيام عما إذا كان قـد خُلق آدم من الطين على هيئتـه وصورته الكاملة في «دفعة واحدة» أم خلقه الله على مراحل «بِتَمَهُّلٍ»، كأن يكون قد خلق رأسَه أولًا -مثلا- ثم صدره وبطنه ثم كتفه ثم رجله.. إلخ؟

مـا هذا الكلام، وكيف اسـتجازه هـذا المفتي -هداه الله-؛ بـل كيف يتصوره أصـلًا؟ ثم ما هو «طريق النشـوء» هـذا الذي زعم صاحب الفتـوى دخوله تحت قدرة الله كطريق للخلق والتكوين؟ إن كان لا يدري أن «النشوء» عند مَن يقولون به إنما يعني نشـوء الشيء اسـتقلالًا بلا «منشـئ»، وتكونه من نفسـه استقلالًا بلا مُكَـوِّن، فتلـك مُصيبة، وإن كان يـدري فالمصيبة أعظم! نعـم، الله تعالى قادر على أن يخلق مخلوقًا (نوعًا جديدًا) من مخلوق آخر، ومَن شـاء أن يصفَ بعض الأنواع التـي تتغير بعض خصائصها الجينية بأمر خالقها تغيرًا طفيفًا حتى تتأقلم مع البيئة الجديـدة على أنها قد صارت أنواعًا أخـرى جديدة، فلا بأس بأن يوصف هذا بأنه خلـق من خلق، والله قادر عليه ولا إشـكال، وليس هو «تطـورًا» أو «تطويرًا» كما أسـلفنا، وإنـما هو خلق محكم لبيئـة مخصوصة، يتبعه خلق آخر محكـم لبيئة أخرى مناسـبة لـه، إبداعًـا من بعد إبـداع، وإحكامًا من بعد إحكام (مـا لم تقتض حكمة الخالـق أن يحكـم على نوع مـن الأنواع بالانقـراض فلا يقضي فيـه بذلك التكيف

الجيني الملائم كما ذكرنا). أما أن يقال: إن الله قادر على أن يخلق من «طريق النشوء» فهذا كلام مَن لا يدري ما «النشـوء» هذا أصلًا! بل إن هذه الفتوى العجيبة تفتح الباب أمام ما لا يقول به كثير من «التطويريين» أنفسهم؛ إذ يؤمنون بأن آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قد خلق من طين خلقًا مباشرًا كما أخبر الله تعالى في النص، وأن له وضعًا استثنائيًّا عـلى هذا الاعتبـار في خروجه من قاعدة التطور المزعوم، بينما يلوح هذا المفتي بأن آدم قـد خلـق على مراحل وأطـوار، ربما يثبت لنا في يوم من الأيـام أنها كانت على نحـو كذا وكذا! فنعوذ بـالله من ذاك الوهن ومن تلك الهزيمة النفسـية التي تزكم الأنـوف! فيا هـؤلاء «التطويريين» دعونا نكررها لكم لعلهـا تُصِيبُ من عقولكم مـا هو مُسْـتَقِرٌّ في نفوس سـائر المسـلمين: خَلْـقُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليس عبثًـا ولا لَعِبًا، وليـس هو «محاولة» لضبـط الخلق وتقديره بقدره الصحيـح، بإحداث «طفرات» في البرنامـج الجيني ترقى بها (أو ببعضها) تلـك المخلوقات من حالتها الفوضوية البائسـة التـي خرجت إلى الوجـود عليها (بحسـب نظرية داروين)، سـبحان الله وتعـالى عـن ذلك العجـز والقصـور والعبث علـوًّا كبيرًا! فـإذا ارتضيتـم موافقة المسـلمين على أن الخلق لم يكن عبثًا (وهو مـا تصرحون بأنكم تعتقدونه وتؤمنون به)، ولم يكن «نشوءًا» ولا «تطفرًا» ولا «عشواءً» ولا «انتخابًا للمخلوق الأصلح للبقـاء مـن جملة كبيرة من المخلوقـات الناقصة المتهالكة»، ولم يكن شـيئًا من تلك المقتضيات الصريحة التي تقتضيها عقيدة الانتخاب الطبيعي والتطفر العشـوائي، فبـالله، ما وجه تعلقكم بأن الله قد خلق الخلـق «بالتطوير» أو «بتوجيه التطور» أو «بالتدخل في الوقت المناسـب»، وكأنه سـبحانه كان الأصـل في صفته أنه متعطل عن الفعل والخلق في هذا العالم، فلا يتسـبب في شيء من أحداث «الطبيعة»، وإنما تتعلل الطبيعة بنفسـها اسـتقلالًا، إلا فيما «يتدخل» فيه الخالق بالفعل والإحداث

من آن لآخر فيكون هو «فاعله»؟ أهو التعلق بالاسم فقط (التطور)، حتى لا يقال «جهلاء» متشددون رفضوا «العلم الحديث» ورموه وراء ظهورهم تمسكًا بدينهم؟ نعوذ بالله من الخذلان وأهله.

إن المتأمل في آي القرآن وصحيح السنة يجد أن خلق الله في هذا العالم وقع على صنفين كليين لا ثالث لهما:

✰ إحداث للمخلوق من العدم (أي من عدم ذلك المخلوق أو النوع نفسه، وليس عدم المادة التي يتكوّن منها)، وهو ما يُقال له: الخلق بغير مثال سابق، وفيه قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور:٤٥]، وهو نَصٌّ صريحٌ في أن الله تعالى خلق جميع أنواع الدواب التي فصل في بيان بعضها، من الماء، لا من بعضها البعض ولا من أصل واحد كما يعتقده التطوريون. ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر:٦]، وتأمل قوله «أنزل». وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف:١٢]، ولعله أن يكون نصًّا صريحًا كذلك في أن أنواع المخلوقات على الأرض قد خلقت «أزواجًا» (بالخلق المباشر)، وليس تدرجًا من أصل واحد. وهذا القسم من الخلق الرباني يدخل فيه خلق آدم من الطين وخلق إبليس من النار، وخلق الملائكة من النور. هذه النصوص قد توافر السلف وجميع المسلمين قرونًا طويلة على فهمها على أن خلق الله تعالى لسائر الدواب إنما كان خلقًا مباشرًا من غير مثال سابق ومن غير «سلف» تطوري أو نحو ذلك مما جاء به الدراونة.

✰ إحـداث للمخلـوق على مثال سـابق، وهو مـا يكون من خلـق الأجنة في الأرحام، وخلق الأجيـال المتتابعة من المخلوقات على الأرض بعضها من بعض، كل مخلـوق بحسـب ما جعـل الله في نوعه من طريقة للتكاثر والتناسـل، خلقًا من بعـد خلق، كما في قولـه تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ [الزمر:٦]، والخلـق في الأرحام هو ما يقول فيه الملـك جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴾ [نوح:١٤]، والأطوار هنا يُرَادُ بها النطفة ثم العلقة ثم المضغة كما قال مَنْ يُعْتَدُّ بكلامهم في فهم كتاب الله تعالى، وهو إجماع المسلمين في فهمها الذي لم يُعرف في الأمة خِلَافُه، فَمَن أتـى فيها بتأويل آخر (كقولهم: إن الارتقاء أو التطور هو المقصود بتلك الأطوار) فقد افترى على الله الكذب! وليس الخلق على مثال سـابق «تطويرًا»، ولا يجوز أن يكون كذلك؛ إذ التطوير الذي يقصدونه معنى مذموم في ذاته كما بينًّا.

ولو كان الخلق من طريق التناسل (خلقًا من بعد خلق) طريقًا لإحداث أنواع جديـدة من الكائنات الحية على الأرض على غير مثال سـابق، بل لو كان ذلك هو طريـق الخلق الأوحد وتكويـن الأنواع كلها من أصل واحد كـما يعتقده الدراونة مـن أهـل القبلة، لكان ذكره أولى من ذكر هذين الصنفين جميعًا، ولما جاز أن ينعقد إجماع المسـلمين من السلف الأول وإلى يوم ظهور تلك الطائفة الجديدة بينهم على خلاف هذا التصور الدارويني لخلق الله تعالى لأنواع الكائنات الحية على الأرض، تبعًا للنص الصريح كما أسلفنا!

فواقع الأمر أننا معاشر المسلمين من أهل الحديث والأثر، أهل الفرقة الناجية، لا نقيم وزنًا لما يخالف إجماع الأولين في فهم أخبار الغيب التي جاء بها النص الشرعي، ولا نرى معقولية الخروج بتأويلات جديدة لم يكن للأولين دراية بها ولا بقريب منها لما خاطبهم به الله تعالى من نصوص الوحي المطهر! فَمَن شَذَّ عن هذه القاعدة الكبرى عندنا فليس منا ولسنا منه، وهو عندنا من أهل البدع والضلالات، والله الهادي إلى سواء السبيل!

وحتى لا نقابَل باعتراضات ساقطة على هذا الإطلاق بخصوص تغير الكائنات الحية عبر الأجيال للتكيف وكذا، نقول: إنه ليس التغير الجِيني عبر أجيال الأنواع مما يعد من قبيل حدوث الأنواع الجديدة أصلًا، وإنما يدخل في باب الخلق من بعد خلق، وهو تعديل رباني على أنواع قائمة بالفعل. وليس هو من «التطور» أو «التطوير» وإنما هو تغيير في خصائص المخلوق الواحد أو النوع الواحد بما يتوافق مع تغير البيئة التي يعيش فيها، تغييرًا محسوبًا محكمًا مقدرًا على أحسن تقدير، فلا كان الكائن (النوع) من قبله ناقصًا عاجزًا، ولا صار من بعده أكثر تطورًا أو أحسن رقيًّا! وإنما كان في كلا الحالين جميعًا على أحسن ما يكون لموافقة بيئته التي يعيش فيها، فانتقل من مواءمة وموافقة إلى مواءمة أخرى وموافقة أخرى، تكيفًا بعد تكيف، وتوافقًا بعد توافق، مع بقاء أصل النوع كما هو، ما لم يشأ الله له أن يهلك وينقرض، فيسبب الأسباب لذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مع أسباب أخرى يغفلها أو يتغافلها الدراونة تتعلق بحفظ التوازن البيئي العام على الأرض، وحفظ سلاسل الطعام Food chains من الانهيار، ونحو ذلك مما نقول به؛ لأنه مقتضى حكمة حكيم عليم لا يقضي في خلقه إلا بالحق وبتقدير محكم متين.

والدراونـة -بالمناسـبة- يتغافلـون عـن هـذا الجانـب (جانب التـوازن الكلي المحفـوظ في النظـام الحيـوي ككل) عمـدًا؛ لأن لازمـه هـدم الأصلـين الكليـين لنظريتهـم تلـك؛ إذ حقيقتـه القـول بأنـه ما مِـن تغير يقـع في الحـوض الجيني إلا وفي سـائر متغيرات المنظومة الكونية للحياة على الأرض ما يسـتوعبه ولا يسـمح بصيرورته سـببًا في انهيار النظام نفسه، كما يسـتلزمه التصور الدارويني العشوائي الـذي يعتقـدون - دفعًا بالصـدر - أنه ظل يجري على الأرض لملايين السـنين من غير أن يتعرض لحدث عشوائي واحد يمكن أن يكون سببًا في انهياره كُلِّهِ من أوله إلى آخـره! فهـم يؤمنون بغياب الضابـط أو المنظم أو الحاكـم الخارجي، ومن غير هذا الأصل الكلي لديهم لا يكون «لآلية» داروين أي معنىً أصلًا! ولهذا قدمنا أن مَـنْ رَامَ الجمـعَ بين الخلق المحكم والتنظيم الخارجي مـن جهة، وبين آلية داروين الطبيعية من جهة أخرى، فقد ناقض نفسه أشد التناقض، وصار كالمنبتّ، لا أرضًا قَطَـعَ ولا ظهـرًا أَبْقَـى، لا إلى هـؤلاء ولا إلى هـؤلاء، والكل منه بـراء! وقد تعلق بعـض التطويريـين بـكلام للأئمة فيما مفـاده أن أيام الخلق لا يلـزم أن تكون أيامًا على مقياسنا المعروف لليوم والليلة؛ لأن النص قد جاء بأيام لها مقاييس مختلفة كما في قولـه تعـالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧]، فقد يكون طول يوم الخلق هذا مائة سنة أو ألف سنة أو مليون أو أكثر، والله أعلم بحقيقـة ذلك. فقال هـؤلاء: إن هذا الطول لليوم الذي خلقـت فيه الدواب يتفق مع ما يقوله «السجل الحفري» الدارويني من طول المسافة الزمنية الجيولوجية بين المخلـوق الأقدم والأحدث بما يدعم القول بالتطور، بل عَدَّهُ بعضُ المسـاكين من «الإعجـاز»؛ إذ رأوا النص عندنا يسـمح بقبول قصص القوم في «النشـأة الأولى» عـلى طولها الفاحـش، بخلاف نصوص أهـل الكتاب. ونقول: إن هذا اسـتدلال



وَاهٍ في غاية الوهاء؛ لأن الجواز والإمكان شيء، والتحقق والوقوع شيء آخر. فالمسلم المتجرد من فتنة دارون ونظريته، لا يميل في الترجيح في هذا الشأن (قضية طول يوم الخلق) إلا مع النص الشرعي، فإن وجده قال بِمُقْتَضَاه، وإلا سَكَتَ. أما أن يتخذ ذلك الإمكان في مقدار اليوم الذي تكلم به بعض أهل العلم دليلًا في نفسه أو قرينة على صحة مزاعم الدراونة في قصتهم «الارتقائية» الأسطورية الطويلة هذه، فهذا ما لا يقوله عاقل! وفي الختام نقول: إنه مهما وجد المسلم من حفريات ومن قرائن حسية على التقارب الجِيني أو الجزيئي أو المورفولوجي (أو على أي وجه كان) بين صنوف الكائنات في الأرض، فإنه يرفض فكرة وضعها في مسلسل تاريخي «ارتقائي» أو «تطوري» أو «تطويري» أو «تدرجي» أو أيٍّ ما كان اسمه؛ لأنه يرفض الأساسَ الفلسفي الذي عليه رتب الدراونة أنواع المخلوقات، وبه تَأَوَّلوا تلك المشاهدات في الحفريات وغيرها، ولأنه يؤمن بأن الله تعالى قد خلق كل صنف من صنوف المخلوقات (كل دابة) في مكانه الصحيح وفي بيئته الصحيحة وعلى أكمل ما يقتضيه بقاء ذلك الصنف وتكاثره في الأرض، خلقًا تامًّا محكمًا من أول مرة، وهو ما يقتضيه العقل الصحيح بموجب كمال صفات الله تعالى، وما أطبق المسلمون عليه عبر القرون مِن فهم لنصوص الخلق والتكوين! فماذا بقي إذن من ذلك «النموذج» الذي تتمسك به تلك الطائفة إلا أن يكون وهمًا يوهمون به أنفسهم، من شدة ما في نفوسهم من افتتان بتلك النظرية الإلحادية الساقطة، حتى لا يبقى للدكتور «عمرو شريف» من متعلق في كلامه إلا تقريره بكل ثقة أن هذا ما أثبته العلم الحديث، وهو علم له أهلُه ويجب احترامهم، ويجب قبول بضاعتهم، وإرجاع الأمر فيه إليهم، إلى آخر ذاك الكلام الذي إن دَلَّ على شيء فإنما يدلُّ على نفس منهزمة قد ارْتَضت لصاحبها تقليد الأكاديميات الكبرى

فيـما اتفـق أصحابها عليـه وإن جاءت بما يصـادم صريحَ العقـل والدين، ويخالف قطعيـات النـص وفهمه الـذي أجمع عليها المسـلمون من يوم أن نـزل القرآن على خاتم المرسلين![١].

التطور الموجه وخطورة القول به:

لم يقتـصر تبنّي فرضية التطور الموجه على المفكريـن الغربيين، وإنما تبنّاها عددٌ من المفكرين العرب المعاصرين، ورأوا فيها موقفًا راشدًا جامعًا بين جميع الشواهد العلميـة. ومن أشـهر أولئك: الدكتور عمرو شريف كما أشرنـا آنفًا، وهو يُعَدُّ مِن أكثر مَن كتب في شرح هذه الفرضية والانتصار لها، وسيكون الحديث هنا مرتكزًا على أقواله واسـتدلالاته؛ لانتشـارها وشـيوعها في واقعنا. فقد ذكر أن المعترضين على فرضية التطور الدارويني صنفان:

الأول: مَن ينكر التطور كلية ويؤمن بمفهوم الخلق الخاص لكل نوع، وهؤلاء يسمون «الخلوقيين».

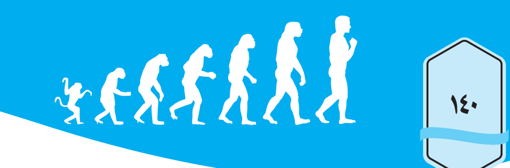
والآخر: مَن يقرّ بحدوث التطور وبأن الأنواع الحيوانية تشترك في أصل واحد وتطـورت عنه إلى أنواعها الموجـودة، لكنه ينكر أن يكون حدوث ذلك راجعًا إلى العشـوائية والصدفة، وهؤلاء يسـمون «مدرسـة التطور الموجه». وجزم الدكتور عمـرو شريف بـأن كل الأدلة التي يسـتدل بها القائلون بالخلـق الخاص، لا تبطل أصـل فكرة التطور، وإنـما تبطل الداروينية القائمة على الصدفة والعشـوائية فقط. ويـرى أن حـدوث الأنواع الحيوانية عن طريق التطور، حقيقة علمية ثابتة لا تقبل النقاش، وأن إنكارها يُعَدُّ مخالفًا للمنهج العلمي؛ حيث يقول: «وقد جعلت منها الأدلـة القوية حقيقة علمية ينبني عليها علم البيولوجيا بفروعه المختلفة». ويقول

(١) «رسالة في الرد على التطوريين» أبو الفداء بن مسعود.

في نقده مواقف مَن خالفه مِن علماء المسلمين: «لقد وضع هؤلاء القرآن في موضع الرافض لما يتوصل إليه العلم من حقائق». ومع أنه يوافق أتباع الداروينية في قولهم بالتطور، إلا أنه أبطلَ أكثرَ أدلتهم، ويذكر أنه «بالرغم مِن اقتناعنا بالتطور فقد فنّدنا بموضوعية ما في هذه الأدلة والرسومات الكلاسيكية مِن تجاوز وأخطاء، ووضعنا الصحيح منها في موضعه، ونكرر مرة أخرى أن معظم هذه الأدلة قد أصبحت في ذمة التاريخ، وانتقل التطور إلى ملعب البيولوجيا الجزيئية جملة وتفصيلًا». وحين انتهى الدكتور عمرو شريف من عرض فكرة التطور الموجه، انتقل إلى بيان العلاقة بين هذه الفرضية ودلالات القرآن الكريم في خلق الإنسان، فابتدأ بالهجوم على المخالفين له، وقدح في موضوعيتهم ومنهجهم العلمي، وادَّعى بأن هناك «حاجزًا ضخمًا يقف حائلًا بين المعترضين وبين التطور، حاجز ليس له علاقة بحقائق العلم وقوة أدلته ولا بآيات القرآن الكريم المحكمة، إنه حاجز يتمثل في إصرار الكثير على التمسك بالتفسيرات التراثية لآيات الخلق في القرآن الكريم». فهو إذن يرى أن دلالة نصوص القرآن على فرضية التطور الموجه محكمة ظاهرة، وأن مَن يخالف فيها ليست لديه حجة إلا الاعتماد على الآثار التراثية عن السلف والتمسك بها! ثم ذكر أن السلف إنما أخذوا بالخلق الخاص وفسروا القرآن بذلك؛ لِنقص علمهم بالتاريخ والبيولوجيا. ولم يقتصر في تأثيره على عواطف القراء بالقدح في موضوعية المخالفين له، وإنما استحضر تاريخ الكنيسة الأسود في العصور الوسطى وأخذ يلوح به في وجه مَن يخالفه، فقال: «إن هذا الفصل صيحة نذير.. فالليالي قد تَتَشابَه.. في العصور الوسطى عَذَّبَتِ الكنيسةُ في أوروبا العلماءَ وحرقت بعضهم؛ لأنها رفضت كلمة العلم حول كُروية الأرض ودورانها حول الشمس، وَأَصَرَّت على فرض مفاهيم أرسطو وبطليموس باعتبارها من

أمور العقيدة.. وفي هذا العصر نكاد نحيا في عالمنا الإسلامي ليلة تتشابه مع ليالي البارحة، فما زال بعضُ رموز علماء الدين المسلمين ممن لهم الكلمة المسموعة، يَحْيَوْنَ على علوم العصور الوسطى وعلى فَهْمِ الأَقْدَمِين للآيات الكونية وآيات الخلق في القرآن وأحاديث الرسول». وما ذهب إليه الدكتور عمرو شريف في موقفه مِن فرضية التطور ودلالة القرآن عليها وطريقة تعامله مع تفسير القرآن؛ غير صحيح، وهو مَبْنِيٌّ على مقدمات خاطئة وتوصيف غير دقيق لمواقف المخالفين له، ومبالغة في نعت قوة موقفه وحججه، ويتبيَّن ذلك بالأمور التالية:

الأمر الأول: ينطلق الدكتور عمرو شريف من أن فرضية التطور باتت نظرية علمية لا يقبل ثبوتها الشك أو الارتياب، وأن أمر صحتها محسوم باليقين، وجعلها المثلة للعلم، وأنها لا تختلف عن النظريات العلمية الأخرى الثابتة، ووصف من يخالفها بأنه يخالف ما هو ثابت علميًّا. وهذا الأمر مخالف للواقع، فإن فرضية التطور لم يُحسم فيها الأمر بعد، وما زالت مثارًا للجدل والنقاش الحاد حتى يومنا هذا، وما زالت التيارات العلمية تتصارع حولها بشدة في كل محفل ونادٍ. ومع أن عدد المتبنِّين لها أكثر من عدد الرافضين حتى وقتنا الحاضر، إلا أن عدد الرافضين ليس قليلًا، وشأنهم ليس ضعيفًا؛ فكثير منهم من العلماء البارزين في تخصصاتهم، وهناك هيئات علمية كاملة أعلنت رفضها نظرية التطور، وقد أُنْشِئَ موقع خاص على الشبكة الإلكترونية للعلماء المعارضين لِفرضية التطور، وقد بلغ عددهم المئات، وهم مختلفون في توجّهاتهم واختصاصاتهم العلمية، وما زالوا يقدمون من الأدلة والبراهين ما يضعف من فرضية التطور ويزيد من قوة موقفهم. والغريب حقًّا أن الدكتور عمرو شريف صرّح في بعض كتبه الأخيرة بأن فرضية





التطور ما زالت في مرحلة الظن؛ حيث يقول: «وينبغي التأكيد على أن هذه الأدلة ليست قاطعة على حدوث التطور، لكنها مرجحة، وَيُؤَازِرُ بعضها بعضًا، ويعتبر القول بالتطور أفضل التفسيرات لوجودها!».

الأمر الثاني: أما ما حَكَم به الدكتور عمرو شريف من أن جميع الأدلة والبراهين التي نقض بها الخلوقيون فرضية التطور، لا تدل على إبطال مبدأ التطور، وإنما غاية ما تدل عليه إبطال العشوائية والصدفة؛ فهو توصيف غير صحيح، بل إن الأدلة والبراهين التي قدموها تدل على أمرين أساسيين:

الأول: إبطال وجود أي أثر للصدفة والعشوائية في الكون والحياة، وذلك عن طريق إثبات التعقيد غير القابل للاختزال.

والثاني: إبطال حدوث التطور بالانتخاب الطبيعي البطيء، وذلك عن طريق حساب الاحتمالات الذي أثبتوا من خلالها أن الزمن الذي يتطلبه حصول التطور يفوق عمر الكون بأضعاف مضاعفة، وقد وافقهم على هذه الدلالة بعض أتباع فرضية التطور، ولجئوا لأجل ذلك إلى القول بالطفرات والقفزات الانتقالية.

فتبيّن إذن أن توصيف الدكتور عمرو شريف لطبيعة دلالة براهين المعارضين لِفرضية التطور؛ غير صحيح، وثبت أنه اختزل دلالتها بصورة كبيرة جدًّا. ومَن أرادَ أن يثبتَ التطورَ الموجه فعليه مع إثبات بطلان الصدفة أن يقدم جوابًا مقنعًا عن أن ما يدل عليه حساب الاحتمالات من إثبات أن التطور البطيء للأنواع الحيوانية يمكن أن ينسجم مع العمر المحدد للكون، وهذا ما لم يفعله الدكتور عمرو شريف.

الأمر الثالث : إشـارة الدكتور عمرو شريـف إلى أن المخالفين له إنما خالفوا فرضية التطور الموجه بناء على اعتبارات غير علمية، وأن ذلك راجع إلى التمسك بالتفسـيرات التراثية؛ فهذا التوصيف هو الآخر غير صحيح، ولا يقوم على أسس علمية مسـتقيمة؛ فإن مخالفة فرضية التطور ليسـت خاصة بأهل الإسلام ولا أهل الأديان الأخرى، فإن هناك عددًا من المخالفين لفرضية التطور التدريجي - سـواء كان موجهًا أم مبنيًّا على الصدفة - ليسـوا من أتباع الأديان، وكانوا يعتمدون على أسس علمية محضة، ولا علاقة لهم بتفسيرات النصوص الدينية.

ثـم إن ما ذكره الدكتور عمرو مجرد دعوى لا دليل عليها، ويمكن للمخالفين له أن يقلبوا عليه الدعوى فيقولون: إن المدّعين أن القرآن يدل على فرضية التطور الموجـه ليـس الدافـع لهم قـوة دلالة النصـوص الشرعية عـلى ذلـك، ولا كثرتها، وإنـما هو محاولـة الخروج من ضغط الجو العلمي المتبنـي لفرضية التطور، ومحاولة الانفـكاك عـن مصادمته الظاهرة لدلالـة النصوص القرآنيـة. وأي جواب يقدمه للخروج من هذه الدعوى يصح أن يكون جوابًا للمخالفين له.

الأمر الرابع : أن الدكتور عمرو شريف وقع في خلل منهجي ظاهر في تفسير القرآن وفهم دلالاته، فإنه لم يسـلك الطريقة العلمية المعتمدة على قواعد التفسـير وأصولـه، فلم يلتزم بدلالات السـياق ولا بمقتضيات اللغـة العربية، ولم يحرص عـلى تحرير فهـم الصحابة وعلماء التفسـير للآيات؛ بل إنه أشـار إلى ذَمِّ التمسـك بتلـك التفسـيرات التراثية - كما يقـول -، وأخذ يبني فهومًـا للنصوص الشرعية لم يذكرها أحد من العلماء المتقدمين، بل تتناقض مع ما يقولونه. وفضلًا عما في هذا الموقف مِن نسبة عموم الأمة الإسلامية إلى الجهل وعدم معرفة مراد الله من كلامه



مـدة القـرون الماضية؛ فـإن عمرو شريف لم يتكـئ على نظرية علمية مسـتقرة، ولم تصل إلى درجة اليقين والقطع، والغريب أنه بنفسـه صرح بذلك في بعض كلامه، فيقـول: «وينبغـي التأكيد على أن هذه الأدلة ليسـت قاطعة عـلى حدوث التطور، لكنهـا مرجحة، وَيُؤَازِرُ بعضهـا بعضًا، ويعتبر القول بالتطور أفضل التفسـيرات لوجودهـا!». إن الطريقة التي سـار عليهـا الدكتور عمرو شريـف في التعامل مع القـرآن تؤدي إلى العبث به وبمعانيه، فكما أنه يخشـى مـن الوصول إلى الحالة التي وصلت إليها الكنيسـة في معارضة العلم، فإن منهجه في فهم النصوص يخشى منه أن يصـل إلى حالـة العبث بالقرآن وإضعاف قوتـه وثبوته، وذلك حين لا نلتزم في فهـم نصوصه بالقواعد العلمية المنهجية، وحيث نصرّ على ربطه بنظريات لم تصل إلى درجة اليقين بعد، ما زال الجدل محتدمًا حولها بين علماء الاختصاص ذاته.

نقض اسـتدلالات الدكتور عمرو شـريف بالنصـوص القرآنية على التطور الموجه:

حرص الدكتور عمرو على إثبات أن القرآن الكريم لا يعارض فرضية التطور الموجهة في خلق الإنسان، بل إنه تجاوز ذلك وادَّعى أن القرآن يدل عليها ويؤيدها، وأكـد أنـه لا يمكن الجمع بدقة بين كل ما جـاء في القرآن الكريم عن خلق آدم إلا مـن خلال مفهوم التطور الموجه، وحاول أن يُجيب عن كل الآيات التي تتعارض مـع قوله. ولأجل أن يكون الحديث واضحًا فإنا سـنعرض أولًا النصوص الدالة عـلى الخلق الخاص لآدم، ونكشـف عن وجه معارضتها لفرضيـة التطور الموجه، ونجيـب عن تأويلات الدكتور عمرو لها، ثم نعرض ثانيًا الآيات التي اسـتدل بها على صحة فرضيته، ونكشف عن وجه الخلل الذي وقع فيه.

أولًا: النصوص الشرعية الدالة على الخلق الخاص لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

هناك أدلة شرعية عديدة تدلُّ دلالة ظاهرة قوية على أن الله خلق آدم -أبا البشر والإنسان- خلقًا خاصًّا، وأن وجوده في الأرض لم يكن نتيجة تطور بيولوجي من أنواع حيوانية أخرى سابقة عليه، ومن أهم تلك النصوص الشرعية:

الدليل الأول: الآيات التي تدل أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خلقًا خاصًّا مباشرًا، منها: قوله تعالى مخاطبًا إبليس: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾ [ص:٧٥]. وهناك نصوص أخرى تدل على المعنى نفسه، منها: حديث الشفاعة الطويل، وفيه أن الناس يأتون إلى آدم فيقولون له: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده. فهذه النصوص تدل بوضوح على أن الله خلق آدم -أبا البشر والإنسان- خلقًا خاصًّا؛ حيث إنه خلقه بيديه مباشرة، وَمَيَّزَهُ على غيره من المخلوقات بهذه الطريقة في الخلق، ولو لم يكن لخلق آدم بيد الله ميزة لما ذكره الله في سياق الإنكار على إبليس في بيان فضل آدم، ولما كان لذكر الناس له يوم القيامة أي معنى. وقد حاول الدكتور عمرو الجواب عن دلالة هذه النصوص، فذكر أن الخلق باليد ليس خاصًّا بآدم، وإنما هناك أشياء أخرى خلقها الله بيده، فالله -كما يقول- خلق الأنعام بأيادٍ كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾ [يس:٧١]، وبنى السماء بأيدٍ كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات:٤٧]، واستدل بهذا على أن اليد المستعملةَ في الخلق ترجع إلى معنى القدرة التي أوجدت كل المخلوقات، لكن هذا الجواب غير صحيح من وجوه:

أولًا: هـذا الـكلام ليـس فيه نفي الخلـق المباشر لآدم، وعلى فـرض بأن الخلق باليـد ليس خاصًّا بآدم، فإن ذلـك لا يدل على أنه خلق بالتطور؛ لكون دلالة تلك الآيات قائمة على إثبات الخلق باليد مباشرة وليســت قائمة على إثبات خصوصية آدم بذلـك، فسـواء ثبتـت خصوصيتـه بذلـك أم لم تثبت؛ فإن دلالتهـا على الخلق المباشر ما زالت قائمة.

ثانيًا: فلأنه سـلك في فهـم النصوص فهمًا منحرفًا عـن الطريقة الصحيحة، وذلـك أنه فهم اليد المنسـوبة إلى الله تعـالى فيها على أنها بمعنى القـدرة، وهو فهم خاطـئ معتمـد على التأويـل الكلامـي -لصفـات الله- المخالف لطريقـة القرآن والسـنة وفهـم الصحابة الكـرام وتلاميذهم. وقد أثبتَ علماء السـلف من خلال دلالات النصـوص الشرعية الكثـيرة، أن لله تعالى يدين حقيقيّتـين تليقان بجلاله وكماله، وأثبتوا أنها ليسـت بمعنى القـدرة والنعمة. بل أثبتوا أن لفظ اليدين الذي جاء في آية خلق الله لآدم يستحيل أن يكون المراد بها القدرة، وأن المراد القطعي به اليد الحقيقية، وذلك من أوجه عدة:

منها: أن الله أضافَ الخلق إلى اليد مباشرة وعَدّاها بحرف الباء، وهذا التركيب في لغة العرب يدل على المباشرة باليد.

ومنها: أن الله ذكرها في سياق إظهار فضل آدم على الخلق وتميزه عن غيره، ولو كان المـراد باليـد القدرة فإنه لا يكون لآدم أي تميز عـلى غيره؛ لأن كل المخلوقات مخلوقة بقدرة الله. كذلك: استدلال الدكتور عمرو بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ [يس:٧١] على نفي اختصاص آدم بالخلـق باليـد؛ فهو فهم غير صحيـح؛ لأن الله لم يذكر أنه خلـق الأنعام بيديه، ولم

يُعَدِّهـا بالباء كما ذكر في خلق آدم، وإنما أضاف العمل إلى الأيدي، وهذا أسـلوب معـروف في لغـة العرب يعبَّر به عن نسـبة العمل إلى صاحبه، سـواء بَاشَرَهُ بيده أم بغيرهـا، وقـد جاء هذا الأسـلوب كثيرًا في القرآن، ومن ذلـك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى:٣٠]، أي: بما فَعَلَهُ الناسُ من أعمال، سـواء بأيديهم أم بأرجلهم أم بألسـنتهم أم بغيرها. وعـلى هذا، فـما ذكره الله من خلـق الأنعام فإن المراد به نسـبة خلقهـا إلى الله تعالى مـن غـير تحديدِ طريقة الخلـق، وآية خلق آدم تـدلُّ على أن الأنعـام لم تخلق بيد الله مبـاشرة؛ إذ لـو كانت كذلك لـما كان لآدم ميزة على غيره. وأما الاسـتدلال بقوله تعـالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات:٤٧]، فهو غير صحيح أيضًا؛ لأن المـراد بالأيدي هنا القوة وليس اليد الحقيقية؛ لكون لفظ الأيدي في هذه الآية ليس جمع اليد الحقيقية، وإنما هو لفظ عربي آخر يعبَّر به عن القوة، وقد استعمل في القـرآن بهذا المعنى في مواطن عـدة، منها قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [ص:٤٥]، أي أولي القـوة، وممـا يؤكد ذلك أن الله لم يُضِفِ الأيدي إلى نفسه وإنما ذكرها من غير إضافة.

الدليـل الثاني: قوله تعـالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:٥٩]، وهذه الآية ظاهرة في الدلالة على أن الله تعـالى خلـق آدم خلقًـا خاصًّا من تراب، وأنه لم يكـن نتيجة تطور من أنواع أخـرى؛ وذلك أن هذه الآية جاءت في سـياق الرد على النصارى ونقض قولهم في عيسـى بن مريم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ومن المعلوم أن النصارى ظَنُّوا أن مجيء عيسـى من غير أب دليـل عـلى أنه ابن الله، فبيّن الله لهـم أن آدم جاء من غير أب ولا أم، ومع ذلك

فهـو ليس ابنًا لله، فلأن يكون عيسـى ليس ابنًا لله من باب أولى وأَحْرَى. وتفسـير الآية بهذا المعنى هو المسـتقر عند المفسرين؛ اعتمادًا منهم على السياق الذي جاءت فيه، وعلى الغرض الأساسي لها، وفي بيانها يقول الطاهر بن عاشور: «وهذا شروع في إبطال عقيدة النصارى من تأْلِيهِ عيسـى، وردّ مطاعنهم في الإسلام، وهو أقطع دليـل بطريق الإلزام؛ لأنهم قالوا بإلاهية عيسـى من أجل أنـه خُلِقَ بكلمةٍ من الله وليـس له أب، فقالوا: هو ابن الله. فأراهم الله أنّ آدم أوْلَى بأن يُدّعَى له ذلك، فإذا لم يكـن آدم إلهًـا مع أنـه خلق بدون أبوين فعيسـى أولى بالمخلوقيـة من آدم. ومحل التمثيل كون كليهما خُلق من دون أب، ويزيد آدمُ بكونه من دون أم أيضًا، فلذلك احتيج إلى ذكر وجه الشـبه بقولـه: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ الآية، أي خلقه دون أب ولا أم، بل بكلمة كُن، مع بيان كونه أقوى في المشبه به على ما هو الغالب. وإنما قال عند الله أي نسبته إلى الله لا يزيد على آدم شيئًا في كونه خلْقًا غيرَ معتاد». وقد حاول الدكتـور عمـرو أن ينفـك عن دلالـة هذه الآيـة، فذكر أنها «تنص على أن عيسـى كآدم، خلـق من تراب بكلمة كن، ونحن نعلم أن عيسـى وُلِـدَ من مريم العذراء، فإذا عيسى من تراب ونحن من تراب رغم وجود آباءٍ لنا، فلم لا نفهم من القول بأن آدم من تراب أنه هو الآخر له آباء وأجداد بدءوا من التراب». لكن هذا الفهم للآية خطأ ظاهر؛ لأن فيه قفزًا متعسفًا لسياق الآية وتجاوزًا كبيرًا للغرض الأساسي الـذي جـاءت من أجله، فالله تعـالى لا يريد أن يخبرنا خبرًا مجـردًا بكيفية خلق آدم وعيسـى فقط، وإنما يريد أن ينقض دعوى النصارى في اسـتدلالهم بوجود عيسى بغير أب على أنه ابن لله، فأثبت الله لهم أنه لو كان استدلالهم صحيحًا لكان الأولى أن يكـون آدم ابنًـا لله؛ لأنـه وجد بغير أَبٍ ولا أم، ومع ذلـك فهم لا يقولون ببنوة آدم لله. ولو كان معنى الآية كما تَصَوَّرَهُ الدكتور عمرو لما كان فيها إلزام للنصارى

ولا إبطال لقولهم؛ لأن غاية ما يدل عليه – بناء على فهمه – إخبار الله عن خلق آدم وعيسى من تراب، وهذا الإخبار ليس فيه حجة عقلية مُلْزِمة للمخالفين.

الدليل الثاني: النصوص التي أوضحت تشكل المادة التي خلق منها آدم، فالله تعالى ذكر في القرآن الكريم المادة التي خلق منها آدم بأوصاف متعددة، مثل: التراب والطين والحمأ المسنون والصلصال، وقد أوضح عددٌ من المفسرين أن هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف المراحل التي مرّ بها تشكل المادة التي خلق منها آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي بيان دلالتها يقول محمد الأمين الشنقيطي: «اعلم أن الله جَلَّ وَعَلَا أَوْضَحَ في كتابه أطوارَ هذا الطين الذي خلق منه آدم، فبيّن أنه أولًا تراب، بقوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:٥٩]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [الحج:٥]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ [غافر:٦٧]، إلى غير ذلك من الآيات، ثم أشار إلى أن ذلك التراب بلَّ فصار طينًا يعلق بالأيدي في مواضع أخرى، كقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات:١١]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون:١٢]، وقوله: ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة:٧]، إلى غير ذلك من الآيات، وَبَيَّن أن ذلك الطين أسود، وأنه مُتَغيِّرٌ بقوله هنا: ﴿ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾، وبيّن أيضًا أنه يبس حتى صار صلصالًا، أي: تسمع له صلصلة مِن يبسه، بقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر:٢٦]، وقوله: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن:١٤]. وهذا التوضيح والتفصيل يَدُلَّانِ بجلاء على أن خلق الإنسان كان مختلفًا عن غيره من المخلوقات، وأنه مرّ بمراحل مختلفة كل الاختلاف عن المراحل التي يدَّعيها له أتباعُ فرضية التطور الموَجَّه.



ثانيًا: الآيات التي استدلَّ بها أتباع فرضية التطور الموجه وبيان خَطَئِهم:

جمع الدكتور عمرو شريف عددًا من الآيات لِيثبت من خلالها أن القرآن متفق مع فرضية التطور الموجه، وأنه يدل على صحتها، وقد ذكر ذلك من خلال وقفات مطولة، ويتحصل أهم ما استدل به في ستة أدلة، هي:

الدليل الأول: التفريق بين البشر والإنسان في القرآن، ويقوم هذا الدليل على أن القرآن يفرق بين زمن خلق الإنسان وزمن خلق البشر؛ لكونه يُعَبِّر عن خلق الإنسان بفعل الماضي، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر:٢٦]، ويعبّر عن خلق البشر باسم الفاعل الذي يدل على الحاضر والمستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر:٢٨] وفي بيان الاستدلال بهذه الآيات يقول عمرو شريف: تُبيِّن هذه الآيات «أن الإنسان كان قد خلق فعلًا قبل أن يخبر الله عَزَّوَجَلَّ ملائكته بأنه سيخلق بشرًا من نفس مادة الإنسان، كلاهما من صلصال من حمأ مسنون، بل هو منه متطور عنه».

فالإنسان وُجِدَ قبل البشر، ولم يتحول الإنسان إلى بشر إلا بعد أن نفخ الله فيه من روحه، ويؤيد هذا الفهم -نظر عمرو شريف- أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يطلق على أيٍّ من رسله وأنبيائه لفظ إنسان، بل تحدث عنهم دائمًا بلفظ البشر فقط. لكن هذا الاستدلال غير صحيح، وهو في غاية البُعد عن الصواب؛ لأنه قائم على تفريق مدَّعًى لا حقيقة له، فنحن لا ننكر أن هناك فرقًا بين معنى لفظ الإنسان ولفظ البشر

من حيث الاشتقاق اللغوي، ولا ننكر أن القرآن غَايَرَ بين اللفظين في الاستعمال، لكن هذه المغايرة لا تدل بحال على تنوع الحقيقة الوجودية التي يعبّران عنها.

وهذا الأسلوب شائع الاستعمال في القرآن ولغة العرب؛ ففي التعبير عن حقيقة كلام الله يعبّر تارة بلفظ الكتاب، وتارة بلفظ القرآن، وتارة بلفظ الذكر، ولا شك في أن هذه الألفاظ مختلفة في مدلولها اللغوي، ولا شك في أن القرآن لا يعبّر بأحدهما إلا وهو يقصد المعنى الذي يدل عليه في محله الذي ورد فيه، لكن ذلك كله لا يدل بحال على تنوع الحقيقة الوجودية لكلام الله. وكذلك الحال في التعبير عن حقيقة آدم ونسله، فإن القرآن يعبر عنها بألفاظ مختلفة؛ كلفظ البشر والإنسان والناس وبني آدم، وكل لفظ من هذه الألفاظ يؤدي معنىً مقصودًا لا يُؤَدِّيه غيره، لكن ذلك لا يعني الاختلاف في الحقيقة الوجودية للإنسان. ومما يدل على أن التغايرَ بين لفظي الإنسان والبشر في القرآن لا يعني الاختلاف في الحقيقة الوجودية؛ أنه عبّر بهما عن أصل خلقة بني آدم، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة:٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص:٧١].

ومما يدل على ذلك أيضًا: أن القرآن استعمل لفظ الإنسان في التعبير عن المرحلة التي يُسَمِّيها عمرو شريف مرحلة البشرية؛ مرات كثيرة بلغت العشرات، من ذلك: قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة:٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار:٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴾ [الحج:٦٦]، وقوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت:٢]. بل



إن القرآن لم يستعمل في التعبير عن تكليف بني آدم بالرسالات إلا لفظ الإنسان، فلو كان القرآن يغاير بين لفظي الإنسان والبشر في الدلالة على الحقائق الوجودية فكيف يصح أن يعبّر بالإنسان عن المرحلة البشرية كما يعتقد عمرو شريف؟! وأما الاعتماد على التفريق بين استعمال فعل الماضي واسم الفاعل، فهو خطأ ظاهر؛ لأن ذلك التفريق ليس راجعًا إلى اختلاف زمن الخلق، ولا إلى اختلاف حقيقة الإنسان عن حقيقة البشر، وإنما راجع إلى طبيعة السياق الذي جاءت فيه تلك الصيغ؛ فالتعبير بالماضي جاء في سياق إخبار الله لنا عن خلق آدم، فَمِن الطبيعي أن يكون بلفظ الماضي؛ لأن خلق آدم بالنسبة لنا أمر ماضٍ، واستعمال اسم الفاعل جاء في سياق إخبار الله الملائكة عن إرادته خلق الإنسان، فمن الطبيعي أن يكون بصيغة اسم الفاعل.

ومما يدل على ذلك أيضًا أن الله أخبر الناس في عصر النبوة -وهم في طور البشرية عند عمرو شريف- عن أصل خلقتهم بلفظ الماضي أيضًا، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ ﴾ [الحج:٥]، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [فاطر:١١]. ما سبق يدل على أن الاختلاف في صيغ التعبير عن خلق آدم وذريته ليس دليلًا على اختلاف الحقيقة الوجودية التي نتحدث عنها.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران]، وقد ذكر الدكتور عمرو أن هذه الآية تدل على صحة التطور الموجه من جهتين:

الأولى: مـن جهة أن الله أخبر أنه اصطفـى آدم، أي اختاره وفضله، ولا يكون الاصطفاء إلا من بين أقران له.

والأخرى: أن الآيـة ذكرت «أن آدم ذرية، أي: أنه ذرية لإنسـان يسـبقه، مثل: نوح وآل إبراهيم وآل عمران. لكن هذا الاستدلال غير صحيح؛ أما الجهة الأولى: وهـي الاعتماد عـلى معنى الاصطفاء، والادعاء بأنه لا يكـون إلا من بين الأقران، فهـذه دعـوى غـير صحيحة، فـإن معنى الاصطفـاء يرجـع في اللغـة إلى التصفية والاختيار، سـواء كان من جنس الشيء أم من غـيره، يقول ابن فارس: «الصَّفِي: ما اصطفاه الإمام من المغنم لنفسه»، ومن المعلوم أن الغنائم قد تكون من أصناف مختلفة: سـيوف ورماح وخيل ودراهم وسـبايا وغيرها. وهذا يدل على أن القول بـأن الاصطفاء لا يكون إلا من بين الأقران فقـط؛ غير صحيح، وغير معروف في لغة العرب.

وقـد ذكـر عدد من المفسريـن أن معنى اصطفـاء آدم أن الله فضّله على أجناس العـالم مـن الملائكة والجن وغيرهم بأن خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأَسْـجَدَ له ملائكتَه وعلّمه أسـماء كل شيء، وأسـكنَه جَنَّته. وأما الجهـة الأخرى، وهي كون آدم ذرية لإنسان سبقه؛ فهذا الفهم غير مستقيم؛ لأن الصحيح الذي عليه كثير من المفسريـن أن قوله تعـالى: ﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣٤]، راجـع إلى آل إبراهيم وآل عمران؛ لأنهم الذين يَصْدُقُ عليهم معنى الذرية في لغة العـرب. وعـلى القول بأن لفـظ الذرية يشـمل الأربعة -آدم ونوحًـا وآل إبراهيم وآل عمران-، فإنه لا يصح الاسـتدلال به على أن آدم كان ذرية لغيره ممن سَـبَقَه؛ لأن الآية لم تصفهم بأنهم ذرية فقط، وإنما وصفتهم بأنهم ذرية بعضهم من بعض،



وهذا يدل على أن القصد من الآية إثبات أن كل هؤلاء بينهم صلة قوية إما في الدين أو في النسب، فهي شبيهة بقول الله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [التوبة:٦٧]؛ ولهذا لم يفهم أحد من المفسرين قَاطِبَةً من تلك الآية أنها تدل على أن آدم كان ذرية لغيره لا من جهة اللغة ولا من جهة الشرع.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنعام:١٣٣]، فالآية كما يقول عمرو شريف: تبيّن أن الخالق الكريم قد أنشأنا نحن البشر من ذرية قوم آخرين (الإنسان)، وهذا أقرب من القول بأن القوم الآخرين هم آدم أو أنهم أجدادنا، فأجدادنا لا يُوصَفُون بالآخرين». لكن الاستدلال بهذه الآية على أن آدم تطور عن مخلوقات سابقة عليه، غير صحيح؛ لأن الصحيح أن المراد بالقوم الآخرين في الآية هم الأجداد الذين كانوا سابقين على كفار قريش، وهذا القول ذهب إليه كثير من المفسرين، اعتمادًا منهم على السياق الذي جاءت فيه؛ وذلك أن الآية جاءت في سياق تهديد الله المشركين الذين كانوا يستخفون بعذابه ويستعجلونه، فبيّن الله لهم أنه مُتَّصِفٌ بالرحمة، وأنه لو شاء لَأَهلكَهم واستخلف من بعدهم قومًا آخرين لا يكونون مثلهم في العناد والعصيان، كما أنه سبحانه أنشأهم من قوم كانوا سابقين عليهم، ثم بيّن لهم أن ما يوعدون من العذاب قريب منهم، فقال: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام]، فَسِياق الآية

إذن يـدلُّ على أن الخطاب متعلق بأقوام الأنبياء، وتهديدهم بإفنائهم واسـتخلاف غيرهـم بهم، وليـس متعلقًا بأصل جنس بني آدم. ومع ذلـك، فقد فَسَّرَ ابنُ جرير الطبري قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾ بقوله: «كما أحدثكـم وابتدعكم مـن بعد خلق آخرين كانوا قبلكم»، لكنه عقّب تفسـيره هذا بـكلام يدل عـلى أنه يعتقد أن بنـي آدم لم يُولَدوا من أنواع حيوانيـة أخرى، فقال: ومعنـى (مِنْ) في هذا الموضع التعقيـب، كما يقال في الكلام: (أعطيتك من دينارك ثوبـًا)، بمعنى: مكانَ الدينـار ثوبًا، لا أن الثوب من الدينـار بعضٌ، كذلك الذين خُوطِبُـوا بقوله: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم﴾، لم يرد بإخبارهم هذا الخبر أنهم أُنْشِـئُوا من أَصْلَابِ قوم آخرين، لكن معنى ذلك ما ذكرنا من أنَّهم أُنشـئوا مكان خَلْقٍ خَلَفَ قوم آخرين قد هلكوا قبلهم». فابن جرير يحمل الآية على أن الله يخبر أنه خلق بني آدم من ذرية قوم آخرين، لكن ذلك على جهة الإبدال في المكان والحال وليس على جهة التولد والتطور البيولوجي كما يقول أتباع التطور الموجه.

وأمـا الاعتماد عـلى أن أجدادنا لا يُوصَفُون بالآخرين، فهو مخالف لاسـتعمال كلمـة الآخرين في القرآن نفسـه، فإنها كثيرًا ما تسـتعمل في التعبير عن الأصناف المختلفـة مـن بني آدم أنفسـهم، كما في قولـه تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَ﴾ [المائدة:٤١]، وكـما في قولـه تعـالى: ﴿وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنبياء:١١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان:٢٨].

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠].

يقول عمرو شريف مبيّنًا وجه استدلاله بهذه الآية: «كيف عرفت الملائكة أن البشر الذين لم يخلقوا بعد سيفسدون في الأرض ويسفكون الدماء؟!»، ثم ذكر الاحتمالات التي ذكرها المفسرون، فقال: «إن التفسير المباشر والأقرب من ذلك كله أن إنسانًا سابقًا للبشر كان يسكن الأرض ويقترف هذه الأفعال – قد يكون إنسان نياندرتال –، وقد رأته الملائكة مرأى العين». لكن الاعتماد على هذه الآية في إثبات أن القرآن يدل على أن آدم خلق بالتطور من حيوان سابق عليه؛ غير مستقيم؛ لأنه لا يقوم على بيّنة ولا دليل مفيد للعلم ولا للظن الغالب، فإن سبب سؤال الملائكة قد اختلف فيه المفسرون كثيرًا، وذكروا احتمالات متعددة، والصحيح في التعامل مع هذه القضية أنها تبقى في خانة الاحتمال التي لا يرجح فيها طرف على طرف؛ لأنها من الأمور المسكوت عنها في القرآن.

والدكتور عمرو شريف لم يقدم على فهمه أيَّ برهان أو دليل، وإنما كان معتمدًا على الظن والتخمين، وحين حكم على الاحتمالات التي ذكرها المفسرون لم يقدم أي دليل على ذلك. ثم إن الاحتمال الذي ذكره يمكن أن يقابل باحتمال آخر لا يَقِلُّ عنه في المنزلة، فيمكن أن يقال: إنه كانت مخلوقات شبيهة بالإنسان في الشكل تُفْسِدُ في الأرض، فأهلكها الله عن بكرة أبيها، ثم خلق آدم خلقًا خاصًّا مستقلًّا عن ذلك النوع، فلما رأت الملائكة صورتَه المشابهة لتلك المخلوقات تَبَادَرَ إليهم السؤال.

الدليل الخامس: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون].

✍ **يقول عمرو شريف في بيان دلالتها على قوله:** «تشير الآية إلى أن الإنسان لم يخلق من الطين مباشرة، بل مِن سلالة خُلِقَت من طين، وهذه السلالة هي الكائنات الحية التي خلقت من مادة الأرض، وتسلسل ظهورها حتى وصلنا إلى الإنسان، ويتوسع في إيضاح موقفه، فيقول: «تأمل هذه الآيات – آيات سورة المؤمنون – مع الأخذ في الاعتبار أن حرف العطف (ثم) يفيد التتابع مع التراخي، بالتالي نفهمه على أنه عطف يشير إلى الانتقال من نوع من الكائنات إلى نوع آخر؛ إذ يستغرق ذلك وقتًا طويلًا قد يمتد إلى ملايين السنين. لكن الاستدلال بهذه الآيات على أن القرآن يدل على أن آدم مخلوق من مخلوقات سابقة عليه؛ بعيد كل البُعد عن مدلول الآية ومرادها؛ وذلك أن معنى السلالة مأخوذ من قولهم: سلَّ الشيء إذا انتزعه واستخرجَه من غيره، والشيء المسلول هو المنتزَع من شيء آخر. والآية نَصَّت على أن الإنسان مُسْتَلٌّ ومُسْتَخْرَجٌ من الطين، يقول ابن جرير في بيان معنى الآية: قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ أَسْلَلْنَاهُ منه.

فالسلالة: هي المستلة من كلّ تربة، ولذلك كان آدم خلق من تربة أُخِذَت من أَدِيم الأرض. فغاية ما تدل عليه الآية إذن هو إثبات أن أصل خلقة بني آدم وابتداءها كانت من الطين، وهي متطابقة مع قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [السجدة:٧-٩]. ثـم إن ظاهر هذه الآية يتناقض تمام المناقضة مـع تصور أتباع فرضية التطـور الموجـه؛ لأن تصورَهـم يقوم عـلى أن آدم خُلق بطريق التطـور عن كائنات أخرى، وأنه مولود لأبوين سـابقين عليه، والآية تدل على أن الله اسْـتَلَّه واستخرجه مـن الطين، وليـس فيها ذكر لتلك الأنـواع الأخرى التي يدّعـي عمرو شريف أنها أصـل لآدم. وما ذكـره لا يعدو إلا أن يكون دعوى لا دليـل عليها ولا برهان. ولو كان الإنسان مستَلًّا من حيوانات أخرى سابقة عليه في الوجود، لَأَشار إليها القرآن ولو مرة واحدة، كما أشـار مرارًا على اسـتلاله من الطين والتراب. وأما اعتماده على اسـتعمال أداة «ثـم» التي جاءت في شرح تطور الجنـين في بطن أمه، ودعواه أنها تدل على تطور الخلق الإنساني عبر الأنواع الحيوانية التي كانت قبله؛ فهو في غاية الشطط والتكلـف؛ لأن الآية تتحدث عن خلق الإنسـان في بطن أمه وليس عن خلق أصل الإنسـان وأولـه الذي هـو آدم. ثم إنها سـمّت المراحل التي تتعاقـب على التراخي، وهي النطفة والعلقة والعظام واكتساء العظام لحمًا، وهذه الأوصاف معلومة المعنى في العربيـة، وهـي في الوقت نفسـه لا تتطابق مـع المراحل التـي يذكرونها في تصور النوع الإنسـاني، فهـل يقولون مثلًا: إن الإنسـان كان في مرحلة مـن مراحل خلقته عظامًا دون لحم، ثم تطور وتحصل على اللحم في طور آخر؟!

الدليل السـادس: قولـه تعـالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين:٤]، يقـول عمـرو شريـف في بيان اسـتدلاله بهذه الآية: جـاء في معجم ألفـاظ القرآن الكريـم أن قولـه: ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ يعني كان معوجًّا فقوّمه، فكلمة تقويم تعني تعديـل وإزالة عـوج.. إذن؛ يمكن أن نفهم من الآية الكريمة أن الإنسـان لم يخلق

خلقًا مباشرًا على صورته، بل خلق تعديلًا، ولا يكون التعديل إلا عن خلق سبقه». وأول ما يفاجئنا به الدكتور عمرو في هذا الاستدلال أنه ترك كل التفاسير المعتمدة عند أهل الاختصاص واعتمد على معجم ألفاظ القرآن الكريم الذي أصدره مجمع اللغة العربية! وهذا خَلَلٌ منهجي ظاهر في التعامل مع تفسير القرآن الكريم؛ لأن فيه قفزًا للمصادر الأصلية وانتقالًا إلى المصادر الثانوية التي لا تهتم بتحديد المراد من الآية بِدِقَّةٍ.

ونحن إذا رجعنا إلى كتب التفسير نجد أن المفسرين اختلفوا في معنى: ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾، فقال أكثرهم: أي في أحسن صورة وأفضل شكل وأعدل قامة، وقد قال بهذا التفسير ابن عباس وإبراهيم النخعي وأبو العالية ومجاهد وغيرهم. وقال بعضهم: أي أن الإنسان يبلغ في شبابه إلى أعلى قوة واعتدال، ثم ينحدر في شيخوخته إلى الضعف. والصحيح القول الأول، يقول ابن جرير في بيان وجه صِحَّتِهِ: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن معنى ذلك: لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأَعْدَلِهَا؛ لأن قوله: ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ إنما هو نعت لمحذوف، وهو في تقويم أحسن تقويم، فكأنه قيل: لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم». ثم إن معنى تقويم في لغة العرب لا يلزم منه أن يكون الشيء معوجًّا قبل ذلك، وإنما يعني جعل الشيء في قَوام، أي في اعتدال واستقامة وكمال، يقول ابن فارس: القاف والواو والميم أصلان صحيحان، يدل أحدهما على جماعة ناس، وربما اسْتُعِيرَ في غيرهم، والآخر على انتصاب أو عزم؛ ولأجل هذا توارد جمهور المفسرين على تفسير الآية بكون الإنسان خلق في أحسن صورة واعتدال وانتصاب، ولم يذكر أحد منهم أن لازم ذلك أن أصلَه كان غير ذلك[١].

---

(١) «الاستدلال بالقرآن على فرضية التطور الموجه قراءة نقدية» سلطان العميري.



حقائق علمية واضحة في القرآن (كُروية الأرض):

✍ **يقول الشيخ الشعراوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: القرآن كلام الله المتعبَّدُ بتلاوته إلى يوم القيامة. ومعنى ذلك: أنه لا يجب أن يحدث تصادم بينه وبين الحقائق العلمية في الكون؛ لأن القرآن الكريم لا يتغير ولا يتبدَّل، ولو حدث مثل هذا التصادم لَضَاعَت قضية الدين كلها، ولكن التصادم يحدث من شيئين: عدم فهم حقيقة قرآنية، أو عدم صحة حقيقة علمية.. فإذا لم نفهم القرآن جيدًا وفسرناه بغير ما فيه، حَدَثَ التصادُمُ، وإذا كانت الحقيقة العلمية كاذبة حدث التصادم، ولكن كيف لا نفهم الحقيقة القرآنية؟ ولنضرب مثلًا لذلك: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا ﴾ المَدُّ معناه البَسْطُ، ومعنى ذلك أن الأرض مبسوطة، ولو فهمنا الآية على هذا المعنى لاتّهمنا كُلَّ مَنْ تحدّث عن كُرَوِيَّةِ الأرض بالكفر، خصوصًا أننا الآن بواسطة سفن الفضاء والأقمار الصناعية قدِ استطعنا أن نرى الأرض على هيئة كرة تدور حول نفسها، نقول: إن كل مَن فهم الآية ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا ﴾ بمعنى أن الأرض مبسوطة لم يفهم الحقيقة القرآنية التي ذكرتها هذه الآية الكريمة، ولكن المعنى يجمع الإعجاز اللغوي والإعجاز العلمي معًا ويعطي الحقيقة الظاهرة للعين والحقيقة العلمية المختفية عن العقول في وقت نزول القرآن. عندما قال الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا ﴾ [الحجر:١٩] أي بسطناها أقال أي أرض؟ لا لم يحدد أرضًا بعينها؛ بل قال الأرض على إطلاقها ومعنى ذلك أنك إذا وصلت إلى أي مكان يُسَمَّى أرضًا تراها أمامك ممدودة أي منبسطة، فإذا كنت في



القطب الجنوبي أو في القطب الشمالي أو في أمريكا أو أوروبا أو في أفريقيا أو آسيا أو في أي بقعة من الأرض فإنك تراها أمامك مُنْبَسِطَةً، ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا إذا كانت الأرض كُروية، فلو كانت الأرض مربعة أو مثلثة أو مسدسة أو على أي شكل هندسي آخر، فإنك تصل فيها إلى حافة لا ترى أمامك الأرض منبسطة، ولكنك ترى حافة الأرض ثم الفضاء، ولكن الشكل الهندسي الوحيد الذي يمكن أن تكون فيه الأرض ممدودة في كل بقعة تصل إليها هي أن تكون الأرض كروية، حتى إذا بدأت من أي نقطة محددة على سطح الكرة الأرضية ثم ظَلَلْتَ تسير حتى عدت إلى نقطة البداية، فإنك طوال مشوارك حول الأرض ستراها أمامك دائمًا منبسطة، وما دام الأمر كذلك، فإنك لا تسير في أي بقعة على الأرض إلا وأنت تراها أمامك منبسطة، وهكذا كانت الآية الكريمة: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا ﴾ لقد فهمها بعض الناس على أن الأرض مبسوطة دليل على كروية الأرض، وهذا هو الإعجاز في القرآن الكريم، يأتي باللفظ الواحد لِيناسب ظاهر الأشياء ويدل على حقيقتها الكونية.

ولذلك فإن الذين أساءوا فهم هذه الآية الكريمة وأخذوها على أن معناها أن الأرض منبسطة قالوا: هناك تَصَادُمٌ بين الدين والعلم، والذين فهموا معنى الآية الكريمة فهمًا صحيحًا قالوا: إن القرآن الكريم هو أول كتاب في العالم ذكر أن الأرض كروية وكانت هذه الحقيقة وحدها كافية بأن يؤمنوا ولكنهم لا يؤمنون.

وهكذا نرى الإعجاز القرآني، فالقائل هو الله، والخالق هو الله، والمتكلم هو الله، فجاء في جزء من آية قرآنية ليخبرنا أن الأرض كروية، وأنها تدور حولَ نفسها. ولا ينسجم معنى هذه الآية الكريمة إلا بهاتين الحقيقتين معًا، هل يوجد



أكثر من ذلك دليل مادي على أن الله هو خالق هذا الكون؟ ثم يأتي الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليؤكد المعنى في هذه الحقيقة الكونية؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يريد أن يُرِيَ خلقَه آياته، فيقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ﴾ [الزمر:٥].

وهكذا يصف الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن الليل والنهار خُلِقَا على هيئة التكوير، وبما أن الليل والنهار وُجِدَا على سطح الأرض معًا، فلا يمكن أن يكونا على هيئة التكوير.. إلا إذا كانت الأرض نفسها كروية. بحيث يكون نصف الكرة مظلمًا والنصف الآخر مضيئًا، وهذه حقيقة قرآنية أخرى تذكر لنا أن نصف الأرض يكون مضيئًا والنصف الآخر مظلمًا..فلو أن الليل والنهار وُجِدَا على سطح الأرض غير متساويين في المساحة. بحيث كان أحدهما يبدو شريطًا رفيعًا في حين يغطي الآخر معظم المساحة، ما كان الاثنان معًا على هيئة كرة؛ لأن الشريط الرفيع في هذه الحالة سيكون في شكل مستطيل أو مثلث أو مربع أو أي شكل هندسي آخر حسب المساحة التي يحتلها فوق سطح الأرض، وكان من الممكن أن يكون الوضع كذلك باختلاف مساحة الليل والنهار[١] انتهى. يقول الإمام فخر الدين الرازي[٢]: إن مَدَّ الأرض هو بَسْطها إلى ما لا يُدْرَكُ منتهاه، و قد جعل الله حجم الأرض عظيمًا لا يقع البصر على منتهاه، و الكرة إذا كانت في غاية الكُبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح المستوي الامتداد.

(١) «الأدلة المادية على وجود الله» للشعراوي.

(٢) «مفاتح الغيب» للرازي.

✍ **يقول أبو حيان**[١]: قال أبو عبد الله الداراني: ثبت بالدليل أنّ الأرض كرة، ولا ينافي ذلك قوله: مد الأرض، وذلك أنّ الأرض جسم عظيم. والكرة إذا كانت في غاية الكبر كان قطعة منها تشاهد كالسطح. قال ابن النفيس في شرح كتاب تشريح قانون ابن سينا، معللًا سبب عدم رؤية الأجسام من بعيد: هذا يتم سواء كانت العين مرتفعة أم منخفضة، ولكن العين المرتفعة ترى أكثر مما إذا كانت غير مرتفعة، وسبب ذلك ليس زيادة قوتها أو زيادة إدراكها، بل إن تشكُّل الأرض كرة، فالبعيد جدًّا ما هو على ظاهر الأرض يَنْسَتِرِ عن الرؤية بحدبة الأرض. قال الذهبي[٢]: الأرض في وسط السماء كبطيخة في جوف بطيخة، والسماء محيطة بها من جميع جوانبها، وأسفل العالم هو جوف كرة الأرض، وهو المركز، وهو منتهى السفل والتحت وما دونه لا يسمى تحتًا، بل لا يكون تحتًا، ويكون فوقًا، بحيث لو فرضنا خرق المركز –وهو سفل العالم– إلى تلك الجهة، لكان الخرق إلى جهة فوق. ولو نفذ الخرق جهة السماء من تلك الجهة الأخرى، لَصَعَدَ إلى جهة فوق. وبرهان ذلك: لو فرضنا مسافرًا سافر على كرة الأرض من جهة المشرق إلى جهة المغرب، وامتد مسافرًا، لمشى مسافرًا على الكرة إلى حيث ابتدأ بالسير وقطع الكرة مما يراه الناظر أسفل منه، وهو في سفره هذا لم يبرح الأرض تحته والسماء فوقه. فالسماء التي يشهدها الحس تحت الأرض، هي فوق الأرض لا تحتها؛ لأن السماء فوق الأرض بالذات.

---

(١) «البحر المحيط» لأبي حيان.

(٢) «مختصر العلو» (للذهبي).



✍ **قال أبو بكر الصوفي -كما ورد في «وفيات الأعيان» لابن خلكان-:**

لو وضعنا طرف حبل على أي موضع كان من الأرض، وأدرنا الحبل على كرة الأرض، انتهينا بالطرف الآخر إلى ذلك الموضع من الأرض، التقى الطرفان.

✍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**(١): نفى بعض الجهال أن تكون الأفلاك مستديرة، فمنهم مَن ينفي ذلك جَزْمًا، ومنهم مَن ينفي الجزم به على كل أحد، وكلاهما جهل. فمن أين له نفي ذلك أو نفي العلم به عن جميع الخلق، ولا دليل له على ذلك إلا ما قد يفهمه بفهمه الناقص. هذا وقد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة أن الأفلاك مستديرة، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء:٣٣]. وقال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس:٤٠]، قال ابن عباس: في فلكة مثل فلكة المغزل. وهكذا هو في «لسان العرب» الفلك: الشيء المستدير. وقال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ﴾. والتكوير هو التدوير، ومنه قيل للكرة: كرة، وهي الجسم المستدير، ولهذا يقال للأفلاك: كروية الشكل، ومنه الحديث: «**الشمس والقمر مكوَّران يوم القيامة**» [رواه البخاري]. وقال تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٍ﴾ [الرحمن:٥]. مثل حسبان الرحا. وقال: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك:٣]. وهذا إنما يكون فيما يستدير من أشكال الأجسام دون المضلعات من المثلث أو المربع أو غيرهما، فإنه يتفاوت؛ لأن

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٥/ ١٠٥).

زواياه مخالفة لقوائمه، والجسم المستدير متشابه الجوانب والنواحي، ليس بعضه مخالفًا لبعض، ثم أورد بعض نصوص السنة، وَأَرْدَفَ ذلك بأقوال مَنْ حكى الإجماع على كروية الأرض، فقال: وأما إجماع العلماء، فقال الإمام أبو الحسين أحمد ابن جعفر بن المنادي من أعيان العلماء المشهورين بمعرفة الآثار والتصانيف الكبار في فنون العلوم الدينية من الطبقة الثانية من أصحاب أحمد: لا خلاف بين العلماء أن السماء على مثال الكرة، قال: وكذلك أجمعوا على أن الأرض بجميع حركاتها من البر والبحر مثل الكرة. قال: ويدل عليه أن الشمس والقمر والكواكب لا يوجد طلوعها وغروبها على جميع مَن في نواحي الأرض في وقت واحد؛ بل على المشرق قبل المغرب.

✍ **وقال ابن القيم**[1]: الطائفة الثانية رأت مقابلة هؤلاء بِرَدِّ كل ما قالوه مِن حق وباطل، وظَنُّوا أن من ضرورة تصديق الرسل رد ما عَلِمَهُ هؤلاء بالعقل الضروري، وعلموا مقدماته بالحِسِّ، فنازعوهم فيه وتعرضوا لإبطاله، بمقدمات جدلية لا تُغْنِي من الحق شيئًا، وَلَيْتَهم مع هذه الجناية العظيمة لم يضيفوا ذلك إلى الرسل؛ بل زعموا أن الرسل جاءوا بما يقولونه، فساء ظن أولئك الملاحدة بالرسل، وَظَنُّوا أنهم هم أَعْلَمُ وأَعْرَفُ منهم، والذي سَلَّطَهُم على ذلك جحد هؤلاء لِحَقِّهِم ومكابرتهم إياهم على ما لا يمكن المكابرة عليه مما هو معلوم لهم بالضرورة، كَمُكَابَرَتِهِم إياهم في كون الأفلاك كروية الشكل والأرض كذلك.

(١) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم.



✍ **وقال ابن حزم في «الفِصَل»**: إن أحدًا من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لم يُنكروا تكويرَ الأرض، ولا يُحفظ لِأَحَدٍ منهم في دَفْعِهِ كلمة، بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها، ولا يرد على كل هذا الذي ذُكِرَ قول البعض بأن الأرض بيضاوية زعمًا منه أن الدحو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ أنها على شكل بيضة، لم يقل هذا الكلام أحدٌ من أهل العلم المعتبرين، ولا حتى هو معنًى من معاني اللغة.





شبهـات الملاحـدة

قد ذكرنا جُلَّ الشبهات التي يتمسك بها الملحدون في قضية خلق الكون والحياة والإنسان، وهناك شُبَهٌ وإن شئت قل أوهام سَنَمُرُّ على بعضها مرورًا سريعًا.

الشبهة الأولى: **لماذا خلقنا الله؟ هل هو في حاجة إلينا؟**

وهذه يرجع إليها تفصيلًا في كتب العقيدة، وعلى كُلٍّ؛لابد من العلم بأن الله تعالى كرم كل بني آدم (يعني البشر) على سائر مخلوقاته كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠] فالبشر أحد أفضل مخلوقات الله تعالى وجعل لهم قدرة واختيار وإرادة لفعل الطاعة أو المعصية، وهذه إحدى غايات الخلق قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:٢]، وقد خلق الله الملائكة مجبولون على طاعة الله تعالى فلا يقع عليهم اختبار أو امتحان وخلق الجن وجعل لهم قدرة واختيار لكن الغالب عليهم المعصية فالبشر إذا اختار الطاعة يكون في الآخرة أفضل من الملائكة، وإذا اختار المعصية قد يكون شريكًا للشياطين، قد يقول البعض لو كان الأمر باختياري لاخترت أن أكون ملكًا أريد أن آخذ فرصة أخرى، وهذا قد حدث فعلًا فالإنسان أراد أن يخوض الاختبار فالله تعالى عرض التكاليف على السماوات والأرض والجبال كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢] فأبين أن يحملنها إشفاقًا ووجلًا، ولكن الإنسان حمل هذه الأمانة على جهله وظلمه فالإنسان هو

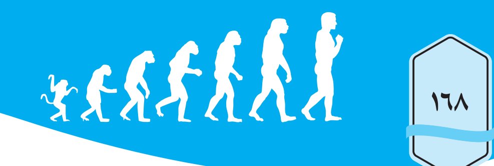


من أراد أن يخوض الاختبار وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف]، لكن هذا الميثاق نحن لا نتذكره ولكن الله أرسل إلينا الرسل ليذكرونا ما نسينا؛ فليس كل شيء فعله الإنسان مثلًا في صغره يتذكره بل يذكره أبواه ونسيانه لا يلغي حقيقة الأمر، وكذلك لو تذكر الإنسان فلا تبقى قيمة للامتحان مثلًا لو أن طالب علم ذاكر إحدى المواد ثم دخل الامتحان ونسي ما قد ذاكره وهو داخل الامتحان فهل يعني ذلك أنه لم يذاكر، ولا يمكن أن يأخذ الكتاب معه لأنه في امتحان ولا يستطيع معرفة إجاباته التي أجابها إلا بعد الانتهاء من الامتحان عندما يرجع إلى الكتاب فيعلم هل كان مصيب أم مخطئ كذلك نحن في الدنيا لا نستطيع أن نعرف النتيجة جنة أو نار إلا بعد انتهاء الاختبار وهذا منتهى العدل، ولذلك كانت الغاية العظمى من الخلق هي العبادة التي من حققها يرجى له نتيجة مبشرة وهي قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] فالله تعالى ما خلق الخلق لحاجته لأحد مخلوقاته ولا ليظهر لنا عجزنا بقدرته بل إذا رأينا عظمة المخلوقات انبهرنا وأثنينا عليه وكبرناه وهذا لا يزيده عظمة ولا كبرياء بل يجعلنا نثني عليه، ومن أثنى عليه ارتبط به واتبعه، ومن اتبعه دخل الجنة التي هي نتيجة الاختبار الصحيحة، وكذلك إذا نظرنا لعظمة المخلوقات الكبيرة كالنجوم والجبال والبحار أدركنا قيمتنا وأن البشر أفضل منها مع عظيم خلقها فندرك فضله علينا فنطيعه وبذلك نكون خضنا الاختبار بسلام، فالله خلق لنا الحياة ليس ليعلم عملنا فيها، ولكن لِيُظْهِرَ حقائق أنفسنا، حتى لا يَبْقى لأحدٍ حُجة إذا تخلَّف عن العبودية.

الشبهة الثانية: ما ذنب مَن وُلِدَ على غير الإسلام وسعادة مَن وُلِدَ مُسلمًا؟

أولًا: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلقَ الجميع على الفطرة الأولى، وهي القبول للإسلام، كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:٣٠]. أما السنة: فقد ورد لفظ الفطرة مصدرًا في أحاديث كثيرة، أشهرها حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كلُّ مولودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء؟**» [متفق عليه]. وفي رواية قال أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في آخر الحديث: «اقرءوا إن شئتم: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:٣٠]». وقد اختلف العلماء في المعنى المراد من الفطرة التي وردت في آية الروم، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على مذاهب، أشهرها وأصحها عند عامة أهل العلم بالتأويل، أنها الإسلام. ومما يدلُّ أيضًا على أن المراد بالفطرة الإسلام ما رواه البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ أن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رَأَى رَجُلًا لَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، قَالَ: «مَا صَلَّيْتَ وَلَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَى غَيْرِ الفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَيْهَا». [رواه البخاري].

وهذه الفطرة لا تتبدل أبدًا كما قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ المراد ما خلقهم عليه من الفطرة لا تبدل فلا يخلقون على غير الفطرة، لا يقع هذا قط والمعنى أن الخلق لا يتبدل فيخلقون على غير الفطرة ولم يرد بذلك أن الفطرة لا تتغير بعد الخلق بل نفس الحديث يبين أنها تتغير، ولهذا شبهها بالبهيمة التي تولد جمعاء ثم تجدع ولا تولد بهيمة قط مخصية ولا مجدوعة، وقد قال





تعالى عن الشيطان: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:١١٩] فالله أقدر الخلق على أن يغيروا ما خلقهم عليه بقدرته ومشيئته وأما تبديل الخلق بأن يخلقوا على غير تلك الفطرة فهذا لا يقدر عليها إلا الله والله لا يفعله. ولذلك خلق الله في كل مخلوق من البشر قدرة وإرادة واختيارًا،بها تقع أفعالهم عن اقتدار واختيار فالعبد قادر على ما أمره الله به من الإيمان وعلى ترك ما نهاه عنه من الكفر فمنهم مَن أصبح مؤمنًا، ومنهم مَن أصبحَ كافرًا. ثانيًا: هل كل مَنْ وُلِدَ على غير الإسلام مات كافرًا؟ وهل كل مَنْ وُلِدَ في الإسلام مات مسلمًا. فالسعادة والتعاسة تقدر بحسب قرب العبد أوبعده عن الفطرة الأولى التي خلق عليها، ولا يظلم ربك أحدًا.

الشبهة الثالثة: **لماذا خلق الله الشر، لطالما أن الشر موجود، إذن الرب غير قادر على مَنْعِه، أو هو رَبٌّ شرير، وإن كان لا يريد الشر فقد خلقنا وتركنا.**

أولًا: لابد من إثبات أن كل ما في الكون من خير وشر قد خلقه الله تعالى وأراد وجوده وإلا إذا وجد شيئًا في كون الله تعالى وهو لم يرده، معنى ذلك أنه وجد رغمًا عنه فكيف يكون إلهًا ويوجد في كونه ما لم يرده!

ثانيًا: هذه الإرادة لوجود الشر لا تعني محبته له فهو قد شاء وجوده مع بغضه له إذن لماذا أوجده وهو لا يحبه؟ أوجده لحكم كثيرة يترتب عليها خيرات كثيرة لم تكن موجودة لولا وجود الشر على سبيل المثال، قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لولا أنكم تذنبون لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم**» فهذه الذنوب لا يحبها الله تعالى، ولكن أراد وجودها لما سيترتب عليها من خيرات

كثيرة تصل لعباد الله تعالى منها فيستغفرون فيغفر الله لهم، ومنها الإنكار على من يفعل الذنب فتظهر عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، فيوجد شهداء وهو سبحانه يحب ذلك، وفيه خير كثير لمن يقع شهيدًا ولذلك قال سبحانه في بيان بعض الحكم من وجود الذنب الذي وقع من بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مخالفة أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة أحد قال تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران:١٤٠]، ويوضح هذا أيضًا أننا نجد في بعض المخلوقات المقدورات شرًّا كالحيات والعقارب، هو شر بالنسبة لي لكنه خير بالنسبة إليها فهو سبيلها للبقاء والغذاء ، أما القول بأنه رب شرير لأنه خلق الشر، فَبَاطِلٌ؛ بل هو خَلَقَ الشر وركَّب فيك معرفتَه حتى تجتنبَ الشر وترفضَه وتمنعَه وَتُقْبِلَ على الخير وتفعله. إذن؛ هو إله خير. وإذا خلق الله الخير فقط ولم يخلق الشر فإن ذلك قد يشير إلى نقصٍ في قدرته تعالى؛ لأنه يعني قدرته على خلق الخير فقط أما خلق الشر فإنه يعجزه. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا؛ لأنه على كل شيء قدير، ومعنى كل شيء، هو الشيء وضده.

الشبهة الرابعة: لماذا يخلد الله الكفار في النار مع أنهم عَصَوْهُ فترةً محدودة؟

الإجابة: بداية لابد من التنبيه على أن الله تعالى هو أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، وأفعاله سبحانه كلها عدل وحكمة، وقد أجاب كثير من أهل العلم عن علة خلود الكفار في النار رغم أن مدة بقائهم ومعصيتهم في الدنيا كانت محدودة، قال أبو بكر الحصني في دفع شبه من شبه وتمرد: لأن العذاب يدوم بدوام سببه بلاشك ولا ريب، وهو قصد الكفر وبقاء العزم عليه، ولا شك أنهم لو عاشوا أبد

الآباد لاستمروا على كفرهم، وكذلك المؤمن يستحق الخلود، وهذا معنى قوله: نية المؤمن خير من عمله. وقد ذكر ابن القيم هذه العلة في معرض بيان حجة من قال بعدم فناء النار في ما نقله في حادي الأرواح: سبب التعذيب لا يزول إلا إذا كان السبب عارضًا -كمعاصي الموحدين- أما إذا كان لازمًا -كالكفر والشرك- فإن أثره لا يزول كما لا يزول السبب، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه في مواضع من كتابه منها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨] فهذا إخبار بأن نفوسهم وطبائعهم لا تقتضي غير الكفر والشرك، وأنها غير قابلة للإيمان أصلًا. وكذلك علاقة العقاب بالعمل ليست علاقة تَسَاوِي زمني بالضرورة، بل هي علاقة سبب بالنتيجة.. مثلًا: في الدنيا رجل يدخن فتتلف رئته باقي عمره، هل نقول: دَخَّنَ خمس سنوات إذن تتلف رئته خمس سنوات من باب العدل؟ لاحظ أننا لا نرى هذه الاعتراضات في حياتنا.. والذي ينتقد مسألة أبدية العذاب فعليه أن يأخذ في الحُسبان أبدية النعيم أيضًا، فكما أن هناك عذابًا أبديًّا، فهناك نَعيمٌ أبديٌّ. فلو عاش الكافر أبدًا لكفر أبدًا، أما بقاء طبقة النار التي يعذب فيها عصاة الموحدين فمُختَلَف فيها بين السلف، قال ابن مسعود: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابًا.

عن الشعبي: جهنم أسرع الدارين عمرانًا وأسرعهما خرابًا، وعن عمر: لو لبث أهل النار عدد رمل عَالِجٍ لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كان النَّاس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب: كانت دورهم ثلاثة:

---

(١) «الدر المنثور» (٣/ ٣٥٠).

دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة؛ فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد؛ فإنهم إذا عُذبوا بقدر جزائهم: أُخرجوا من النار فأُدخلوا الجنَّة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبث المحض» انتهى من الوابل الصيب..

الشبهة الخامسة: ***الله يعلم إلى أين مصيري حتى قبل أن يخلقني، فلماذا سَيُعَذِّبني؟***

مشكلة الملحد في هذه الشبهة أنه لا يريد إلهًا كُلِّي العلم، وكأنه يعيب على الله أنه يعلم ما سيحدث.. الله كُلِّيُّ العلم، وهذا لا يمنع حريةَ الاختيار ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد:١٠].. بل يمكن أن نقول بنفس منظور الملحد: إنه من الظلم ألا يخلق الله الكفار وهم يستحقون العقاب، ثم إن الكفار ليسوا مقهورين على الشر؛ بل إن فطرتهم كانت سليمة، وهم حرَّفوها و لديهم عقل، وأرسل الله لهم أنبياء ورسلًا وهم اختاروا الكفر، وليس من الحكمة وضع الرحمة بمن لا يستحقها. ثم إن الأشرار لو لم يوجدوا لكان ذلك سببًا في عدم وجود بعض الأخيار، وأفعالهم وصبرهم على شر الأشرار، ودعوتهم للأشرار، وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذن؛ فالله تعالى أوجد الجميع وترك حرية الاختيار لِلكُلِّ، وهذا هو ما عليه مَدَارُ الأمر. ثم إن الله لن يظلمَ عبادَه ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:١٠٨]. فلا يقلق الملحد إلا على نفسه.

الشبهة السادسة: لماذا لم يَسْتَشِرنِي اللهُ قبل خلقي[١]؟

الإجابة:

أولًا: هذا السؤال غير منطقي؛ لأن هذا الشخص لم يَكُنْ موجودًا أصلًا حتى يُسْتَشَارَ.. فكأنه يقول: لماذا لم يَسْتَشِرِ اللهُ غيرَ مخلوقٍ في أن يُخلق قبل أن يُخلق!!!

ثانيًا: الاستشارة ليست من أفعال مطلق العلم والحكمة والقدرة.. فالاستشارة إما أن تكون: ممن عنده نَقْصٌ في العلم، أو رغبةٌ في العَوْنِ، أو سياسة للناس، أو لِتردد في الأمر، وكل هذا مُنْتَفٍ في حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى..

ثالثًا: الإنسان لا يُحَاسَبُ على مجرد وجوده، لكنه سَيُحَاسَبُ على أعماله التي فعلها بعد وجوده وطاعته ومعصيته لخالقه..

الشبهة السابعة: لماذا خلق الله الكافر[٢]؟

لابد من التفرقة بين اعتبارين:

✩ اعتبار العدل الإلهي في محاسبة الكافر، وأنه مسئول بالكلية عن أعماله التي جعلت مصيرَه إلى النار.

✩ اعتبار الحكمة الإلهية من خلق الكافر وابتلاء المؤمنين به.

- وينبغي أن يعلم أن خلق الله للكافر وجعل قلبه مريدًا لِلْغَيِّ وللضلال وللكفر، وأن الله تعالى هو الذي خلق هذا القلب ابتداءً وخلق فيه هذه الإرادة ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ

(١) «الإلحاد سؤال وجواب» د. هشام عزمي.

(٢) المصدر السابق.

ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام:١٢٥]، ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧]، إن هذا من جملة الإيمان بالقدر والغيب وليست كل مسائل القدر معلومة لنا؛ بل هناك مسائل فيه هي من الغيب، ينبغي أن نُسَلِّمَ لها ونستسلم لها، ونعلم أن هذا الأمر لحكمة بالغة وعلم تام وعدل تام كبَقِية أفعال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن الله لا يظلم العباد مثقال ذرة، وأنهم لن يحاسبَهم إلا على أفعالهم وأعمالهم، وأن مَنْ يدخل الجنة فبِرَحْمَةٍ الله وفضله، وَمَن يدخل النار فَبِعَدْلِ الله التام، ولذا أرسل إليهم الرسلَ وأنزل عليهم الكتب وَرَغَّبَهُم وَرَهَّبَهُم، وهو سبحانه أعلم بالمهتدين، وأعلم بالشاكرين، وأعلم بِمَن ضَلَّ عن سبيله، سبحانه وبحمده، لا يُسْأَلُ عما يفعل وهم يسألون، والله يعلم

الشبهة الثامنة: لماذا تتعدد الأديان؟ وكيف نعرف الدين الحق(١)؟

الإجابة:

أولًا: تعدد الأديان في حَدِّ ذاته دليل على وجود الله لا العكس، ونظرًا لوجود حاجة فطرية في نفس عامة الخلق إلى التعبُّد ذهبوا يبحثون عن دين يدينون به وإله يتعبدون له..

ثانيًا: تعدد الأديان ليس دليلًا على بطلانها كلها، ولا يلزم منه ذلك لا عقلًا ولا عرفًا ولا واقعًا.. ولكن غاية ما في الأمر أن بعضها حق وبعضها باطل دَخِيل.. وهذا كمثل وجود أنواع جماعة من الناس أطباء وغير أطباء يزعم الجميع أنه طبيب.. فليس الحل حتى أريحَ نفسي أن أزعم أنهم جميعًا غير أطباء؛ بل يلزمني البحث والتحري والتثبُّت حتى أَصِلَ إلى الطبيب منهم مِن الدَّعِيِّ..

(١) المصدر السابق.

ثالثًا: تقدير الله تعالى الخلاف في أمر الديانات بصفة عامة (السماوي والأرضي منها) هو من جملة الاختبار والابتلاء الذي قَدَّرَهُ الله على الخلق، ولم يترك الله عبادَه هملًا، بل أقام عليهم الحجةَ البالغةَ بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وبسط دلائل توحيده والإيمان به في النفوس والفطر وفي الخليقة جميعًا... ولا يُحَاسَبُ العباد ولا يُعَذَّبُوا لمجرد وجودهم وسط هذا الاختبار من الخلافات؛ بل لا يُعَذَّبُ أَحَدٌ إلا بعد وجود عقل تام عنده وبلوغ تام، ووصول دعوة الرسل إليه.. وعذر من لم تبلغه دعوة الرسل ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام:١٤٩].

رابعًا: يُعْرَفُ الدينُ الحَقُّ عن طريق أحد أمرين:

✫ **طريق داخلي..** بالبحث داخل الدين عن صفات الإله المعبود فيه وتعاليمه وشرائعة وصحتها وشموليتها...

✫ **وطريق خارجي..** بالبحث عن دلائل صدق هذا الدين، بالبحث عن دلائل صدق النبوة والرسالة الداعية له...

الشبهة التاسعة: لماذا يجب على الكافر البحث عن الدين الحق، بينما المسلم لا ينبغي له ذلك[1]؟

الجواب:

✫ لأن المسلم لا يجد نقصًا أو تناقُضًا أو خللًا في دينه، وعقيدته وشريعته تجيب له عن كل أسئلته الفطرية وَتُلبي له كل احتياجاته.

(١) المصدر السابق.

بينما غير المسلم نزعم أنه ليس عنده شيء من ذلك ونورد عليه ما يدلُّ على ذلك ولا يجد مدفعًا له.

ومثال ذلك: رجل معه حلقة مفاتيح وطلب منه أن يجرب ما فيها من مفاتيح لفتح الباب، فجرب أول مفتاح ففتح معه، فالعقل يقتضي ألا يجرب باقي المفاتيح؛ لأن الغاية من هذه المفاتيح أن يفتح الباب وقد فتح، أما الآخر فجرب فلم يفتح له الباب، فلا يزال يجرب حتى ينفتحَ له الباب..

الشبهة العاشرة: كيف يدخل كافر قدم خدمات للإنسانية في النار، بينما المسلم الذي يرتكب جرائم وفظائع يدخل الجنة(١)؟

يجب أن يعلم أن الله تعالى لا يعذب أحدًا حتى تقوم عليه الحجة كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]. ومعنى قيام الحجة هو بلوغ الإسلام إلى الشخص وتمكنه من العلم به، كما قال ابن القيم: فإن حجة الله قامت على العبد بإرسال الرسل وإنزال الكتب وبلوغ ذلك إليه وتمكنه من العلم به سواء علم أو جهل، فكل من تمكن من معرفة ما أمر الله به ونهى عنه فقصر عنه ولم يعرفه، فقد قامت عليه الحجة، والله سبحانه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه. أما ما عمله هؤلاء الكفار من خير في الدنيا فإنه لا ينفعهم أمام الله يوم القيامة، فكفرهم وشركهم يحبط كل عمل خير عملوه،وأما في الدنيا فإن الله عَزَّوَجَلَّ يعطي الكافر جزاء ما عمله من خير فيها قبل موته، فإن الله عَزَّوَجَلَّ لا يظلم مثقال ذرة، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة يُعْطَى بها في**

(١) المصدر السابق.



الدنيا ويُجْزَى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها» [رواه مسلم]. وبهذا يتبين لك أن الكافر لو عمل خيرًا يريد به وجه الله، فإنه لا يموت حتى يعطى ثوابه، فإذا جاء إلى الآخرة لم تكن له حسنات يجزى بها. وبيان ذلك أن الله تعالى بين أن جنس الإنسان خاسر إلا من حقق أربعة أمور، الإيمان - العمل الصالح - التواصي بالحق - التواصي بالصبر، الأول منها شرط إذا لم يتحقق لم ينتفع الإنسان بأي عمل آخر، وإن كان يجازي على ما يعمله في الدنيا لكن في الأخرة ليس له نصيب طالما لم يحقق الشرط الأول، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر].

الشبهة الحادية عشرة: *حول حديث: «خلق الله التربة يوم السبت»*:

يتوهم البعض بطلان حديث «**خلق الله التربة يوم السبت**» والذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبَثَّ فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد عصر يوم الجمعة**». مستدلين على ذلك بأن أهل الحديث استنكروا هذا الخبر، فضعفه البخاري بقوله: وقال بعضهم: عن أبي هريرة عن كعب وهو الأصح، وأن هذا الحديث يتعارض مع ما جاء به القرآن الكريم من قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [يونس:٣]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]؛ إذ إن الحديث قد جعل خلق الأرض وحدها قد استغرق سبعة أيام، بينما أثبت القرآن



في أكثـر من موضع أن خلق السـماوات والأرض معًا كان في سـتة أيام. بالإضافة إلى أن هـذا الحديـث مخالف للآثـار القائلة: إن أول السـتة يوم الأحـد وهو الذي نزل عليه أسـماء الأيام: الأحد، الاثنين، الثلاثـاء، الأربعاء، الخميس. وجه إبطال الشبهة:

١ لقد أكد العلماء على صحة الحديث سـندًا، فقد رواه مسلم في صحيحه، ورواه الإمام أحمد في مسـنده، والنسـائي، وابن مردويه، وابن أبي حاتم وغيرهم، وصحح إسـناده أحمد شـاكر والألباني والمعلمي اليماني، أما قول البخاري: «وقال بعضهـم: عـن أبي هريـرة عـن كعـب الأحبار، وهـو أصـح» - فإنـه لا يقدح في صحـة رواية مسـلم، وإنما هو من قبيـل الأصح والصحيـح، والأصح مقدم على الصحيح.

٢ إن التفصيل الذي فالحديث الشريف غير التفصيل الذي في الآيات التي تتحدث عن خلق السـماوات والأرض، لذلـك فالواجب هو ضم أحدهما للآخر كما ذكر أهل العلم ذلك، كما أن خلق آدم لا يعد من الأيام الستة؛ لأن الأرض قد خلقـت قبل خلقه ودبت عليها الحياة قبلـه بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] كما أشار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث إلى خلق السماوات، وإن لم ينص على ذكرها وذلك في يومي الأربعاء والخميس؛ لأن النور والحرارة تحتاجها الدواب ومصدرهما الأجرام السماوية.

٣ ليس هناك دليل على أن ابتداء الخلق كان يوم الأحد، وما روي في ذلك مـن أحاديث مرفوعة لا تصح، وعامتها مأخوذة مـن الإسرائيليات، وكانت هذه

التسمية قبل الإسلام تقليدًا لأهل الكتاب، وهي تسمية طارئة؛ لأنها كانت في اللغات القديمة غير ذلك.

الخلاصة:

ذهب العلماء إلى أن الحديث لا يتعارض مع الآيات التي تذكر أن خلق السماوات والأرض كان في ستة أيام؛ وذلك لأن خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في اليوم السابع، لا يدخل في الأيام المعدودة، لأن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ جزء من الأرض وليس منفصلًا عنها، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون:١٢]، وغيرها من الآيات التي توضح حقيقة خلق الإنسان. وذهب بعض العلماء إلى أن خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ تأخر عن خلق السماوات والأرض المذكور في الآيات؛ وذلك لأن الأرض قد سكنها - قبل آدم - مخلوقات أخرى كالجن وغيرها ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة:٣٠]، وهذا يدل على أن الجن سكنت الأرض قبل بني آدم، وهذا ما ذهب إليه المفسرون. وذهب فريق ثالث إلى أن الخلق المذكور في الآيات يختلف عن الخلق المذكور في الحديث، فالخلق المذكور في الآيات هو خلق السماوات والأرض جملة، أما الخلق المذكور في الحديث فإنه تفصيل لما خلق الله في الأرض من جبال وتربة وشجر ودواب وغير ذلك، وهذا لا يتعارض مع الآيات، ولكن يضم إليها. أشار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثه إلى خلق السماوات والأرض، وإن لم يصرح بذلك؛ إذ الدواب تحتاج إلى النور والحرارة، ولا شك أن مصدرهما الأجرام السماوية، وهذا ما أشار إليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**وخلق النور يوم الأربعاء، وبث الدواب يوم الخميس**». كذلك

أشار النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى أن بدء الخلق كان يوم السبت، وهذا هو الصحيح، أما من ذهب إلى أن بدء الخلق كان يوم الأحد فكان معتمدًا على آثار موقوفة أو ضعيفة قياسًا على هذا الحديث، وهي من الإسرائيليات التي أخذت عن كعب ووهب بن منبه وغيرهما من مسلمي أهل الكتاب، وهذا ما ذكره الإمام السهيلي في «الروض الأنف»، وعاب على من قال: إن أول الأسبوع الأحد لا السبت، ومن ثم فقد ثبتت صحة الحديث سندًا ومتنًا[1].

الشبهة الثانية عشرة[2]: حول قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠]:

يدعي بعض الطاعنين أن القرآن الكريم قد أخطأ في هذه الآية؛ لأن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ قد خلق الملائكة من نور، كما أنه نص في آيات أخرى على أن الجن خلق من النار؛ فقال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر:٢٧]، ونص كذلك على أن آدم خلق من الصلصال؛ فقال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾ [الرحمن:١٤].

وجه إبطال الشبهة: إن الماء أصل جميع الكائنات والمخلوقات الحية؛ فمنه خلقت بنسب كبيرة، وبه تستمر حياتها في النمو والعطاء على أكمل وجه، فإذا قلَّ الماء عن حده الطبيعي باتت حياة هذه الكائنات مهددة بالخطر والهلاك، وهذه حقيقة علمية قد توصل إليها علم الأحياء وعلم الكيمياء الحيوية وعلم وظائف الأعضاء حديثًا، فقد ثبت بالتحليل أن نسبة الماء في جسم الإنسان تتراوح بين

(١) «موسوعة بيان الإسلام» بتصرف.
(٢) المصدر السابق.

٧١٪ في الإنسان البالغ، و٩٣٪ في الجنين ذي الأشهر المحدودة، بينما يكون الماء أكثر من ٨٠٪ من تركيب دم الإنسان، وأكثر من ٩٠٪ من أجساد العديد من النباتات والحيوانات، كذلك أثبت علم الأحياء أن الماء يحتل أكبر نسبة بين سائر المواد التي تتركب منها الخلية الحية، وهي وحدة البناء في كيان كل كائن حي، إنسانًا كان أو حيوانًا أو نباتًا. وكذلك- أثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لحدوث كافة التفاعلات والتحولات التي تتم داخل جسم الأحياء؛ فهو إما وسط، أو عامل مساعد، أو داخل في التفاعلات أو ناتج عنها.

كما أثبت علم وظائف الأعضاء أن الماء ضروري لقيام كل عضو بوظائفه، التي بدونها لا تتوافر مظاهر الحياة ومقوماتها..، فأما عن زعمهم أن القرآن أخطأ في تلك الآية عندما قرر أن الله تعالى خلق من الماء كل شيء حي، في حين خلق الملائكة من نور، وخلق الجن من نار، وخلق آدم من صلصال؛ ففي كلامهم هذا مخالفة كبيرة؛ فثمة فارق كبير بين «جعل» و«خلق»، فـ «جعل» تفيد التحول والصيرورة من شيء إلى شيء، أما «خلق» فتفيد الخلق من العدم وعلى غير مثال سابق. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠]، ولم يقل: (وخلقنا من الماء كل شيء حي)، وهذا تغيير للنص القرآني، أما زعمهم أن الإنسان خلق من صلصال كالفخار ولم يخلق من الماء فالرد على هذا جد بسيط؛ فالصلصال عبارة عن اختلاط الماء بالطين، فالطين لا يخلو من الماء، فهو خليط من التراب والماء، يعضد ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان:٥٤]، ومن ثم فإن مادة خلق الإنسان هي الماء والطين.

وإذا انتقلنا إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر:٢٧]؛ فنار السموم هي اختلاط الهواء بألسنة اللهب، والهواء يكون محملًا ببخار الماء؛ ومن ثم فإن اختلاط الهواء -الذي هو محمل ببخار الماء- بألسنة اللهب ينتج عنه نار السموم، وهي المادة التي خلق منها الجان؛ ومن ثم فالماء موجود في مادة خلق الجان، ولكن بنسبة معينة، والله تعالى قال: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠]، و«من» هنا تفيد التبعيض. أما قولهم إن الملائكة خلقت من نور وليس من الماء؛ فمعلوم أن الماء حينما يتبخر بنسب عالية، فإن ذلك البخر تتكون منه السحب، كما يتم البخر لغاز الميثان، ثم يحدث تأين لغاز الميثان في السحب الركامية، وينتج عن ذلك شحنات كهربائية، وهذه الشحنات يتم تفريغها إما بين سحابة وأخرى، أو بين سحابة والأرض، والبرق هذا النور اللامع الشديد، هو نتيجة هذا التفريغ. فلقد بدأنا بالماء وانتهينا بالنور الذي هو مادة خلق الملائكة.

الشبهة الثالثة عشرة[١]: حول قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين:٤].

مضمون الشبهة: يشكك بعض المغرضين في بديع قدرة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في خلق الإنسان، الذي أخبر عنه قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين:٤]. متسائلين: أين هذا التقويم الحسن، وأين هذا الخلق الذكي، والإنسان به الكثير من الأعضاء الزائدة التي لا فائدة منها، ويمثلون لهذه الأعضاء بما يأتي، الزائدة الدودية، اللوزتان، ضرس العقل.

(١) المصدر السابق.

وجـه إبطال الشـبـهة: أخـبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه خلق الإنسـان، وأنه جعله على أحسـن الوجـوه التي ينبغـي أن يكون عليهـا، وأن أي عضو مـن أعضائه لم يُخلق عبثًـا، وإنما خلق لوظيفة مهمة؛ فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤]، ثم جاءت الدراسـات الطبية الحديثة مؤكدة تلـك الحقيقة العلمية، ومع تقـدم العلم واخـتراع الأجهزة الحديثة التي تمكن بها الأطبـاء من مراقبة الأجهزة الداخلية لجسم الإنسان -رغبة في معرفة جوهره- أخذ الأطباء والعلماء في البحث عـن كل جزء من أجزاء جسـم الإنسـان، ومعرفـة طبيعة عمله، ومـا الحكمة من وجـوده؟ وركز العلماء بحثهم على الأعضاء التـي لا تظهر فائدتها للعين المجردة، ومـن خـلال هذه الأبحاث تَبيَّن أن خلق الإنسـان محكـم، وأن كل شيء فيه خلق بقدر، لا نقص فيه ولا زيادة ولا عبث، ويمكننا بيان ذلك من خلال ذكر الحقائق العلمية التي توصل إليها العلم لبعض هذه الأعضاء.

أولًا: الزائدة الدودية:

الزائدة الدودية التي كان يظن الناس منذ عقود طويلة أنها عضو زائد في الجسم وأنه لا فائدة منها - ظهر للعلماء أن لها منافع هائلة؛ فقد قال فريق طبي أمريكي أنه اكتشـف الدور الحقيقي للزائدة الدوديـة التي تحير العلماء في معرفة فائدتها؛ حيث إنها المسـئولة عن إنتاج وحفظ مجموعة متنوعة من البكتيريا والجراثيم التي تلعب دورًا مفيدًا للمعدة.

وذكـر الفريـق التابـع لجامعـة ديـوك الأمريكية أن هذا الاكتشـاف قد يحسـم الجـدل حيال الـدور المفـترض للزائدة الدوديـة، بعد أن اعتبرت مـدارس الطب الرسـمية لعقـود طويلة أنها عضـو فقد دوره مع تطور الإنسـان وبات من الممكن

إزالتـه دون ارتدادات سـلبية؛ فقد كانت الزائدة دليلًا مـن الأدلة المزعومة لنظرية التطـور الهالكة، فانقلب السـحر على السـاحر وأصبحت دليلًا مـن الأدلة المهمة التي تدحض نظرية التطور.

ووفقًا للدراسـة التـي أجراها هذا الفريق ونشرها في مجلـة الطب النظري فإن عدد الجراثيم والبكتيريا التي يحويها جسم الإنسان تفوق عدد خلاياه، لكن السواد الأعظم من هذه الكائنات الدقيقة يمارس دورًا إيجابيًّا داخل الجسم، ويساعد على هضم الأطعمة. وتشـير الدراسـة إلى أن أمراضًا معينة، مثل: الكوليرا أو الإسهال الشـديد قد تؤدي إلى إفراغ الأمعاء من هـذه البكتيريا والجراثيم المفيدة، وهنا يبدأ دور الزائدة التي يتوجب عليها في هذه الحالة العمل على إعادة إنتاج تلك الجراثيم وحفظها.

وللتأكيـد على صحة ما ذكرناه، اعتبرت الدراسـة أن موقع الزائدة الدودية في الطرف الأسـفل من الأمعاء الغليظة التي تعتبر ممرًا أحادي الاتجاه للطعام تشكل دليلًا على ذلك.

وهذا الاكتشـاف قد تسـابقت وسـائل الإعلام المقروءة والمسموعة على نشره بين الناس، ومن أهم الوسائل جريدة الشرق الأوسط؛ حيث كتبت تقول: لأجيال مضت، كان ينظر للزائدة كجزء من الأمعاء زائد عن الحاجة،عديم الوظيفة، عديم الفائـدة، مزعج، يتم رفضه واسـتئصاله، وكان الجراحون يقومـون بإزالة الزائدة الدودية كعمل دوري روتيني، ويعيش الناس بعدها ومن دونها بشكل مريح.

أمـا الآن فبعـض العلماء يعتقـدون أنهم أوضحـوا الوظيفة الحقيقيـة للزائدة، بأنهـا تأوي وتحمي الجراثيم المفيدة والجيـدة للأمعاء، وتبدو وظيفة الزائدة متعلقة

بالكمية الهائلة للبكتيريا التي تقطن الجهاز الهضمي البشري. واستنادًا إلى دراسة قام بها البروفيسور «بيل باركر» أستاذ الجراحة، مع مجموعة من الجراحين وأخصائي المناعة في جامعة ديوك، ونُشرت في مجلة الطب النظري، فإن البكتيريا توجد -في الوضع المثالي للجسم- بأعداد كبيرة تفوق عدد خلايا الجسم البشري، وتُعدّ أغلب البكتيريا من النوع الجيد الذي يساعد على هضم الغذاء، وتعمل الزائدة كمنزل آمن جيد للبكتيريا، خاصة إذا نظرنا إلى موقعها بين الأمعاء الغليظة في طريق تدفق الغذاء والجراثيم في الأمعاء ولها نهايةمسدودة. وقد تموت مجموعة من هذه البكتيريا في الأمعاء أو تطرد خارج الجسم، كما في حالات الإسهال، مثل: الكوليرا أو الزحار الأميبي؛ مما يفقد الجسم البكتيريا المفيدة بالأمعاء، وتكون وظيفة الزائدة في تلك الحالة أن تتصرف مثل مصنع للبكتيريا، تزرع الجراثيم الجيدة لتعيد تشغيل النظام الهضمي.

ثانيًا: اللوزتان:

اللوزتان عضو مهم من أعضاء جسم الإنسان، يتكون من نسيج ليمفاوي متعدد، وبه عدة تجاويف لزيادة مساحة السطح المواجه لأي ميكروب، ويُغَطَّى هذا الجزء المكشوف بغشاء يحمل أجسامًا مناعية وأجسامًا مضادة بداخل الخلايا الليمفاوية، وخلايا تنتج مادة تقوي مناعة الجسم، وتقوي اللوزتين، ولحمية خلف الأنف، وباقي الخلايا الليمفاوية على جانبي الجزء الخلفي للسان وجدار البلعوم تعمل على التصدي لأي ميكروب يدخل الجسم عن طريق الأنف أو الفم والتعرف عليه، وإرسال إشارة إلى المحطة التالية للجهاز الليمفاوي (الغدد الليمفاوية المحيطة بالفك السفلي والرقبة) لإنتاج الأجسام المناعية المضادة

للميكـروب والقضـاء عليـه عند الإصابـة الأولى بهـذا الميكروب، وتكـون لديها القدرة للتعرف على الميكروب نفسه والتصدي له عند تكرر الإصابة.

ويجـب ألَّا تـزال اللوزتـان في حالة أنهما طبيعيتـان، أما إذا حـدث لهما التهاب متكرر من ٤ إلى ٥ مرات سـنويًّا يفضـل إزالتهما. ونزيد الأمر وضوحًا فنقول: إن مهمة اللوزتين الأساسـية هي تشكيل خط دفاعي ضد كل ما يهدد جسم الإنسان مـن ميكروبـات غازيـة، فـإذا ما دخل ميكـروب غازٍ عـن طريق فتحتـي الفم أو الأنـف، فـإن هذا الخط الدفاعـي يتصدى له، وتدور رحى معركـة ضارية لا تهدأ حتى يتم تحطيم ذلك الميكروب.

ثالثًا: ضرس العقل:

هنـاك شـبه إجماع عالمي على سـبب هذه التسـمية –ضرس العقـل– ونراه من خلال التسـمية الإنجليزيـة القريبة من التسـمية العربيـة «ضرس العقل»، فاللغة الإنجليزية تطلق تسـمية مشـابهة وهي (wisdom molar)، ولكن هذا الإجماع هو إجمـاع عـلى الظن؛ ذاك أن تأويل هذه التسـمية ومآلها يعود إلى الفـترة الزمنية التي يظهـر فيهـا ضرس العقل في الحفرة الفموية، وهي تمتد نسـبيًّا من عمر ١٧ إلى ٢٥ سنة، وعلى ذلك ظهور ضرس العقل ووجوده في الفم يشير إلى سن تعقل الإنسان ونضوجـه الفكري. وكانـت النظرية القديمة تلـوم ضروس العقل لكونها تبزغ في هـذه الفترة من الزمان، فإنها تضغط على الأسـنان وتسـبب تزاحمها، وشـاع خلع ضروس العقل كإجراء روتيني لمنع تزاحم الأسـنان، وخاصة لهؤلاء الذين عدلوا أسنانهم بالتقويم.

وبعد دراسات أخرى أكثر حداثة أثبت العلماء أن السبب الحقيقي ليس ضروس العقل، وإنما يعود إلى طريقة نمو الوجه والفكين وخاصة الفك السفلي، وأن نموه الذي يمتد إلى ما بعد عمر العشرين ونمو الأنسجة المحيطة، يشكلان السبب في تزاحم الأسنان وليس ضروس العقل؛ لأن كثيرًا من الناس الذين ليس لديهم ضروس عقل أو الذين خلعوها ما زالوا معرضين إلى تزاحم الأسنان. وهذه الدراسات جعلت الأطباء يحرمون خلع هذه الضروس إلا إذا كان هناك ما يستدعي ذلك؛ مثل التسوس أو التهابات اللثة المحيطة، وقد أصدرت بريطانيا نشرة حكومية طبية تمنع خلع ضروس العقل في حالة أنها سليمة، وذلك حين تلقى أطباء الأسنان في بريطانيا تحذيرًا رسميًّا من عدم خلع أسنان العقل لمرضاهم إذا كانت في حالة سليمة، حتى لو رغب المرضى في عكس ذلك، وقد جاء ذلك من جانب المعهد الوطني للجودة الصحية. ويرجع ذلك إلى أهمية ضروس العقل، والدور الذي تلعبه لصالح جسم الإنسان، ويمكننا أن نجمل ذلك في النقاط الآتية:

١ أن ضرس العقل «الرحى الثالثة» يلعب دورًا مهمًّا بين مجموعة أسنان الفكين يتجسد هذا الدور في تأمين التراص بين الأسنان، وانتظام مجموعة الأسنان في سلسلة متماسكة ومتراصة؛ فقد ثبت أن القلع غير المبرر والمبكر لأضراس العقل، يتسبب في فراغات بين الأسنان على مستوى القواطع الأمامية، ولكن حدوث هذه الفراغات يحتاج إلى زمن طويل حتى يظهر، وبالإحصاء تبين أن ظهور هذه الفراغات عند الأشخاص الذين تخلصوا من ضرس العقل يظهر بين سن ٥٠ - ٦٠ عامًا، وكثيرًا ما يأتي إلى العيادات أشخاص يشكون من ظهور فراغات بين أسنانهم الأمامية لم تكن موجودة، وبعد الفحص والتأكد

من عدم وجود أية إصابة على مستوى اللثة والنسج الداعمة، يلاحظ أن هؤلاء الأشخاص فقدوا أضراس العقل مبكرًا.

٢ كثيرًا ما كان لضرس العقل دور مهم في إنقاذ الموقف عندما يكون طبيب الأسنان بصدد إجراء تعويض ثابت «جسور»، في حال فقد الرحى الثانية لأسباب قاهرة، ويشكل هنا ضرس العقل دعامة احتياط تجنب المريض القيام بعملية زرع أسنان، ودخوله في تعقيدات الزرع والتكاليف الباهظة، ونشير إلى أن إصابة الرحى الثانية بأمراض قد تودي بحياتها أمر صعب، ولكن هنا تبقى الرحى الثالثة صمام أمان يجب المحافظة عليه وعدم التعسف في قلعه.

٣ أن هذه الأضراس تساعد في عملية المضغ حتى لو أصيبت بالتسوس.

٤ أنها تشكل ركيزة لوضع الأسنان الاصطناعية في حال وقوع الأسنان الطبيعية. ومن خلال هذه الفوائد يتبين لنا أهمية ضرس العقل، وأنه لم يخلق في الإنسان عبثًا؛ ولذلك حَثَّ الأطباء على عدم خلعه في حالة أنه سليم من التسوس والأمراض.

الشبهة الرابعة عشرة: ***أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس أبًا للبشر:***

يتوهَّم بعض المفكرين أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس أبًا للبشر، ولم يكن أول بشر خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على هذه الأرض، ولا هو أوَّل مخلوق عاقل من غير الملائكة والجن، وإنما هو أبو الإنسان، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلق قبله من جنسه خلائق كثيرين عاشوا قبل آدم ملايين السنين، وكانوا في تلك الأزمان خاضعين للتصرف الإلهي من التسوية والتعديل والتهذيب ثم انقرضوا جميعًا بعد أن



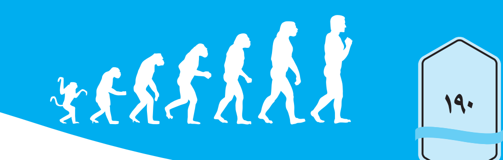
انتخب الله آدم من أب وأم منهم، كما انتخب -حواء زوجة آدم- من أب وأم كذلك من آخر أجيال البشر الأولين، وأن آدم وحواء وحدهما هما اللذان بقيا ليكونا أبوين لنوع جديد من ذلك الجنس الذي انقرض. ويستدلون على ذلك بقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على لسان الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠]، فالملائكة لا يعلمون الغيب، فكيف عرفوا أن أولاد آدم سيفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، لو لم يروا ذلك من قبل آدم من جنسه. ويحاولون التفريق بين لفظي بشر وإنسان في القرآن الكريم؛ لإثبات هذه الفكرة، كما يستدلون على زعمهم هذا ببعض الحفريات القديمة التي ترجع إلى أكثر من مليون عام، الأمر الذي يدل على وجود بشر قبل الإنسان الذي لا يتجاوز عمره على الأرض أربعين ألف سنة.

وجوه إبطال الشبهة:

على الرغم من أن قضية خلق الإنسان تُعدُّ من أكثر القضايا غموضًا وخفاء في سبيل البحث العلمي؛ حيث تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، إن لم تخرج من دائرة الوعي التاريخي ذاته، ويُعتمد في تحديدها على مجموعة من الفرضيات العلمية التي تفتقد الدليل القاطع على صدقها - إلا أنها جاءت واضحة في القرآن الكريم، وقريبة من الفهم المنطقي والقانون العقلي لها؛ حيث تُعرض القضية واضحة؛ إذ خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى آدم من طين، ثم سوَّاه ونفخ فيه من روحه وخلق منه حواء، وأنزلهما إلى الأرض ومنهما تكاثر الخلق، وازداد النسل بصورته الطبيعية بين الذكر والأنثى، وهذه بداية الخلق، ولم يكن هناك قبله بشري على الأرض. أما عن قول الملائكة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠]؛ فإنه لا يصح دليلًا على وجود بشر قبل آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فقد يكون قياس

الملائكة على خلق آخر سكن الأرض قبل الإنسان وأفسدوا فيها وسفكوا الدماء مثل الجن، أو أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر الملائكة بفساد هذا الخلق الذي يخلقه. ومن ثم؛ قالوا ذلك، أو أنهم فهموا من لفظ خليفة أن هذا يقع فيهم؛ لأن الخليفة هو الذي يأمر بالإصلاح.

ثم إن التفرقة بين لفظي البشر والإنسان تفرقة غير منطقية ولا دليل عليها؛ فلفظ البشر والإنسان لهما مدلول واحد هو ذلك الخلق الذي خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيده، وهو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو أوّل بشر وأوّل إنسان على السواء، ولا فرق بينهما. فكلمة بشر مرادفة لكلمة إنسان بشكل لا لبس فيه، ويتبيّن هذا من معاجم اللغة، وهو معلوم من اللغة بالضرورة. وتأتي كلمة «البشر» في الدلالة على آدم؛ أو على عموم أفراد بني الإنسان، فيما يتصل بالخلق، كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾ [الحجر:٢٨]، وتأتي في الدلالة على بني الإنسان عمومًا فيما لا يتصل بالخلق، كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [المائدة:١٨] فإن هذا يدل دلالة أكيدة على أن «البشر» مرادف لـ«الإنسان»، كذلك لفظ «الإنسان» ورد في حديث القرآن عن قصة الخلق مسبوقًا وملحوقًا بالكلمات نفسها التي وردت مع اللفظ «بشر»، وذلك في مثل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾ [الحجر:٢٦]، ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾ [الحجر:٢٨]. وهذا يدلُّ بوضوح على اتفاق كلمتي البشر والإنسان على مدلول واحد؛





ولا يصح بحال من الأحوال التفرقة بينهما، وليس في اختلاف اللفظين دليل على وجود خلق قبل آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

أما الأحافير فقد ظهر من المفكرين من قال: إنهم وجدوا الدليل على هذا من خلال ما اكتُشف من الأحافير القديمة، لعظام وجماجم بشرية، منها أحفورة إنسان سابيان وعمرها ١٣٠ ألف سنة، وأحفورة إنسان روديسيا وأحفورة إنسان هيدلبرج، واكتشفت أحفورة إنسان كينيا وقُدِّرَ عمره بنحو مليون وتسعمائة ألف سنة.

في عام ١٩٧٢م نشر ريتشارد ليكي أحد علماء الأنثروبولوجي (علم الإنسان) أنه اكتشف في كينيا بقايا جمجمة، يرجع تاريخها إلى مليونين ونصف المليون من السنين، وهو أقدم أثر لبني البشر، وزعم تشارلز داروين في القرن التاسع عشر أن الإنسان الحالي انحدر من سلالة القردة، وأنه كان يمشي على أربع منذ مليون سنة مضت، ثم انتصب على قدميه بعد ذلك، إلا أن نظرية ريتشارد ليكي عارضته بشدة، وأكَّدت أن الإنسان كان يمشي منتصب القامة منذ مليونين ونصف المليون من السنين، وندرك نحن من قراءة القرآن الكريم وقصص الأنبياء فيه أن آدم لا يتجاوز الثلاثين ألف سنة مضت. وزعم قوم آخرون أن ما قالته الملائكة لربهم عند خلق آدم يدلُّ على أنهم شاهدوا آدم آخر من قبل، وشاهدوا نسله منتشرين في الأرض، يفسدون فيها ويسفكون الدماء، ويدعم هذا الرأي -في نظر بعض المفكرين- أن الأحافير القديمة مثل أحفورة جاوة أو أحفورة روديسيا وغير ذلك من الأحافير القديمة تشير إلى أكثر من آدم ظهر على هذه الأرض، قبل آدم الذي جاء ذكره في القرآن الكريم، وأن آدم الذي نعرفه ليس هو أول البشر.

وفي الحقيقة يظل رأي هؤلاء حول هذه المسألة حبيس النظر أو الخيال العلمي الذي لا يخرج إلى حيز الواقع أو الإثبات العلمي؛ وذلك لأن الأحفورة لا تثبت يقينًا -بحال من الأحوال- أنها لبشر كان قبل آدم على الأرض، فربما ترجع هذه الأحفورة لحيوان آخر أو لنوع من القرود وليس بالضرورة لإنسان. فالأحافير القديمة لا تدل على وجود آدم آخر قبل آدم الذي نعرفه؛ لأن الأحافير هي أشكال صخرية أو معدنية لمخلوقات طُمرت في الأرض زمنًا طويلًا، فاستُبْدِل السيلكون أو أملاح معدنية أخرى في الصخور بالمواد العضوية في الجسم المطمور. ومن ثم؛ لا يمكن أن نقطع برأي علمي عن الأصل الوراثي للأحفورة، إن كانت لإنسان أو لنوع من القرود قريب الشبه بالإنسان. ويتعرف العلماء على نوع الأحفورة من شكلها الخارجي فقط، ولكن هذا التعرف ليس مؤكَّدًا علميًّا؛ إذ يستحيل على العلم أن يتعرَّف على جنس المخلوق ونوعه إلا بفحص شفرته الوراثية الموجودة في نواة خلية من خلاياه، ولما كانت الخلايا قد تحلَّلت تمامًا واختفت، وحلَّ محلها عناصر من صخور الأرض؛ فإن العثور على أحفورة وفحصها لا يعيننا أبدًا على التعرف على خلقها علميًّا أو تحديد نوعها وراثيًّا.

ومن هنا لا يمكن أن نقطع علميًّا بأنها لإنسان؛ إذ يستحيل علينا أن نفحص الحامض النووي فيها، وقال العالم «جوهانز هوردزلر» سنة ١٨٥٦م أنه عثر على فك إنسان يرجع تاريخه إلى عشرة ملايين سنة، فمن أين عرف أنه إنسان؟ وفي سنة ١٩٧٢م اكتشف «ريتشارد ليكي» -أحد علماء الأنثروبولوجي (علم الإنسان)- في كينيا بقايا جمجمة يرجع تاريخها إلى مليونين ونصف المليون عام، وقال: إنها أقدم أثر من نوعه للإنسان الأول. ولكن من أدراه أنها جمجمة إنسان؟! لا يقطع بذلك إلا علم الوراثة، وعلم الوراثة لا دخل له مطلقًا في تحديد جنس الأحافير.



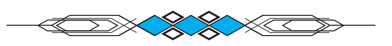
وعلى هذا؛ فإن الأحافير العلمية لا تثبت بيقين وجود بشر قبل آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولا تفي بدليل قاطع على ذلك، وأن الأحفورات التي تم اكتشافها، وترجع إلى ملايين السنين ليس بالضرورة أن تكون أحفورات بشرية، كانت موجودة في هذا الزمن البعيد، فربما تكون لمخلوقات أخرى أو لجنس من الحيوانات الشبيهة بالإنسان كأنواع القرود والشمبانزي، فلا تدل بيقين على وجود بشر على الأرض قبل آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[١].

وفي الختام، فهذه بعض التساؤلات لمن وقعَ في فخ هذه الفرضية المقيتة، عَلَّها تكون سببًا في التفكر في خلل هذه الخرافة المسماة نظرية دارون.



(١) المصدر السابق.

وأخيرًا: أسئلة للملحدين أتباع داروين



١ قلتم: إن تطور الخلية الأحادية للمتعددة ثم للأحياء المختلفة؛ أمر افتراضي اعتمد على تفسير ظاهرة الموجود مع اكتشافات الحفريات ومعرفة تاريخها، فقلتم إن الخلايا الأحادية قد وُجدت قبل بليون عام أو أكثر، وظهرت اللافقاريات قبل «٥٠٠ – ٦٠٠» مليون سنة مع الديدان والحشرات، وبدأت الفقاريات في الظهور قبل ٤٥٠ مليون سنة ومثلها الأسماك، وظهرت الفقاريات البرية قبل ٣٥٠ مليون سنة، وظهرت الثدييات قبل ١٨٠ مليون سنة والطيور قبل ١٣٥ مليون سنة، وأول إنسان قبل حوالي ٦ مليون سنة على حسب ما ذكرتم في نتائج حفرياتكم. فهل رأيتم هذا التطوّر بأعينكم؟بما أنه لم يسبق لأحد أن رأى عملية التطوّر هذه فعليًّا من قبل ولا يمكن حتى إثبات أن هذه العملية تتم بشكل مستمر، فهي –بناءً على كلامكم– غير موجودة.

٢ حاليًا في عالم الحيوانات فقط يوجد حوالي أكثر من خمسة ملايين نوع. وبلا شك فإنّ الخلايا الأحادية ما زالت موجودة حتى الآن كالبكتيريا من غير أن نرى لها تطورًا، وهنالك من الأحياء ما هو موجود بصورته التي وُجِدَ بها في سحيق الزمان، فكيف يمكن أن نستنتج من غير برهان أن الأنواع الأخيرة كانت نتاج تطور الأنواع الأولى بالطفرات والصدفة، مع تواجد الأحياء ذات الخلايا الواحدة حتى يومنا هذا؟.

٣ الداروينية وخَلْق الذباب: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ [الحج:٧٣]. خَلْقُ الذباب مستحيل كخلق الجمل والفيل؛ لأن الذباب يحتوي على ذلك السر المعجز، سر الحياة، فيستوي في استحالة خلقه مع الجمل والفيل، ولكن الأسلوبَ القرآنيَّ المعجز يختار الذباب الصغير الحقير؛ لأن العجز عن خلقه يلقي في الحس ظِلَّ الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل والفيل! فَلِكُلِّ مَن يَدَّعِي بأنه ليسَ هناك خالق، أو أن هنالك طريقة للخلق بدون خالق فليخلق ذبابة، وَلْنُطَبِّق ذلك على الداروينية:

- الذبابة حشرة ولم يُوجَد أي تطور في الحشرات
- الذبابة تتغذى على أنواع مختلفة ولها أشكال مختلفة.
- الذبابة ذكر وأنثى وتتناسل، فكيف يفسر التطور ذلك!
- الذبابة حية تطير وتأكل وتتبرز وتموت، فما سر ذلك؟ فهذه الحشرة الصغيرة وحدها تؤكد بأن لها خالقًا، وأنها حجة لمن يدعي وجودها بالصدفة، وحقًّا قول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣].

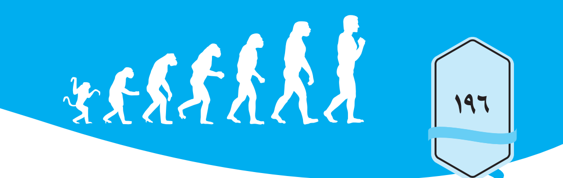


الخاتمة

لِيعلم الجميعُ أن الشريعةَ الإسلامية قد حكمت على الخلق أحكامًا جميلة لا يمكن إصلاح الأمور إلا بها؛ لأنها توجه الظواهر والبواطن إلى الخير، وَتَذُودُهم عن الشرور. أما باطنها فلأن المتصِفِين بها، الملتزمين بالدين على وجهه، قد توجهت قلوبُهم إلى القيام بالدين، واعتبره أفرض الفروض وأوجب الواجبات، رَاجِين بذلك فضل الله وثوابه، محتسبين خيره، ومَن خرج عن هذا منهم فقد جعلت له الشريعه من الحواجز و الرواجع والحدود ما يعينه على التزامه في عقائده وأخلاقه وآدابه و حقوقه الجميلة المعترف بحسنها عند العقلاء و ذلك السبيل الوحيد إلى إصلاح المجتمع واستقامة الأحوال وسلوك الصراط المستقيم.

وأما القوانين الملحدة؛ فإن غايتها إذا قَوِيَت أن تُسَيْطِرَ على بعض الظواهر. وأما الأخلاق والبواطن والإيمان والأمن على الأرواح وعلى الأموال والحقوق؛ فهيهات أن تقوم بها قوانين إلحادية تهدف و تقصد أن يكون البشر كالبهائم إباحيين فوضويين في أفكارهم وإرادتهم ومراداتهم، وَتُفْضِي إلى الشرور وتنتهي إلى الحروب، وهذا أمر لا يرتاب فيه عاقل، ومما يؤيد هذا أن الأحكام الدينية التي أرشدَ إليها الشارعُ باقيةٌ ببقاء البشر، صالحةٌ لكل زمان ومكان، بل لا تصلح الأمورُ إلا بها.

وأما قوانين البشر وأنظمة السياسيين التي لم تُبْنَ على الدين، فإنها مؤقتة بحسب ما يرون من مصالحهم ومضارهم في الوقت الذي هم فيه، ثم تتغير وتتبدل، وربما





غَيِّرَهَـا وَاضِعُوها لأنها مِن صنيع البشر، وصنعهم كله ناقص، واعلم أنه لا يوجد قانـون صحيـح أخذت به الأمـم إلا وهو في الدين على أكمل مـا يكون وأصح ما يكون وأسـلم مـا يكون إلى النقص، فليـأتِ المرتابُ بمثال واحـد خارج عن هذا الأصل إن كان صادقًا.



المراجع

١ «حقيقة الخلق ونظرية التطور» محمد فتح الله كولن.

٢ «داروين ونظرية التطور» شمس الدين آق بلوت.

٣ «أفي الله شك؟ بحث في علاقة العلم بالإيمان». حمد المرزوقي.

٤ «الإلحاد» محمد الخضر حسين.

٥ «آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين» أبو الفداء ابن مسعود.

٦ «الإلحاد، أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها». عبد الرحمن عبد الخالق.

٧ «خرافة الإلحاد» عمرو شريف.

٨ «الله يتجلَّى في عصر العلم» مجموعة من المؤلفين.

٩ «الإسلام يتحدى» وحيد الدين خان.

١٠ «الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين». عبد الرحمن ناصر السعدي.

١١ «رسالة في الرد على التطوريين» أبو الفداء ابن مسعود.

١٢ «المعجزة الخالدة، براهين ساطعة وأدلة قاطعة» علي محمد الصلابي.

١٣ «العقيدة في الله» عمر الأشقر.

١٤ «الفيزياء ووجود الخالق» جعفر شيخ إدريس.

١٥ «شبهات الملحدين والإجابة عنها» محمد جواد مغنية.

١٦ «الاستدلال بالقرآن على فرضية التطور الموجَّه - قراءة نقدية» سلطان العميري.



١٧ تشارلز داروين: «أصل الأنواع» ترجمة إسماعيل مظهر، مكتبة النهضة، بغداد ١٩٣٧.

١٨ «عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين» صالح البليهي.

١٩ «الأدلة المادية على وجود الله» محمد متولي الشعراوي.

٢٠ «كي لا يستمر الهوان» د. مهدي علي قاضي.

٢١ «الاستدلال بالقرآن على فرضية التطور الموجه (قراءة نقدية)» سلطان العميري.

٢٢ «ويكيبيديا الموسوعة الحرة».

٢٣ «مجموعة الفتاوى» لابن تيمية. دار الوفاء.

٢٤ «فطرية الدين» د. محمد إسماعيل المقدم.

٢٥ «موسوعة بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام».

٢٦ «الإلحاد سؤال وجواب» د. هشام عزمي.

٢٧ «تفسير الشعراوي» الشيخ محمد متولي الشعراوي.

٢٨ «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول» حافظ أحمد حكمي.



المحتويات



تم بحمد الله